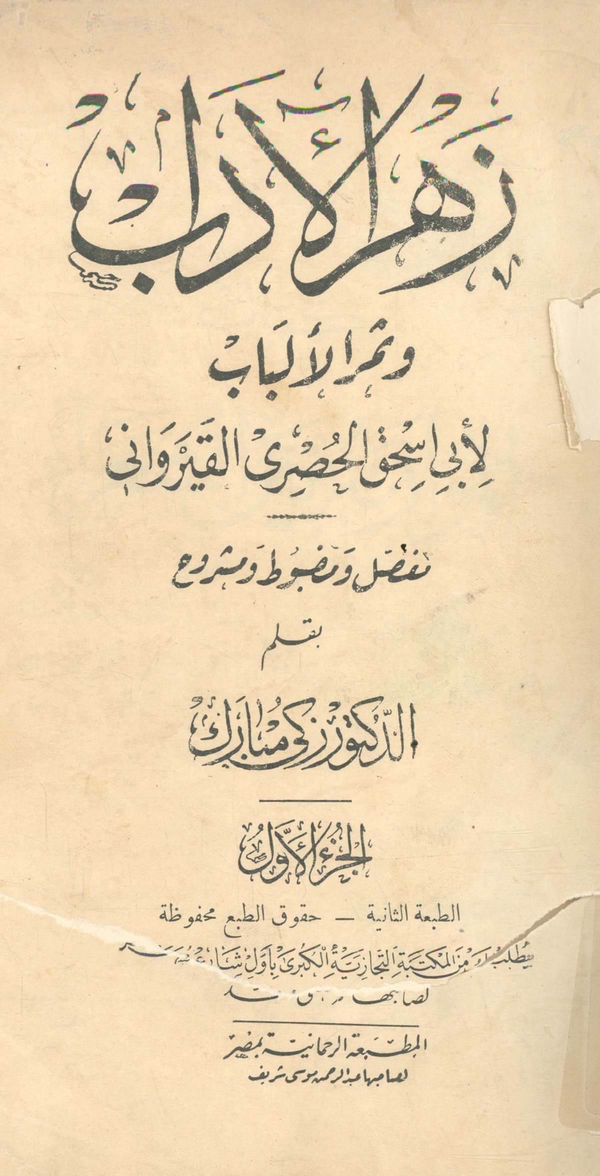


زهر الآداب

وثمر الألباب

لأبى إسحق الحصرى القيروانى

مفصل ومضبوط ومشروح

بقلم

الدكتور زكى مبارك

الجزء الأول

الطبعة الثانية —

يطلب [illegible] من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع [illegible]
لصاحبها [illegible]

المطبعة الرحمانية بمصر
لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

كتاب



هو الكتاب الذى يثقِّف عقلك ، ويهذِّب ذوقك ، ويُوقظ وجدانك ، ويطبع فيك الحاسة الفنية ، ويعصمك من الخطأ فى فهم أغراض الشعر ومذاهب الشعراء

مقدمة الطبعة الاولى

الُحصْرى القيروانى — أبو الحسن الُحصْرى — طَرَف من أخباره — حياته الأدبية — داليته ودالية شوقى — أبو اسحق الُحصْرى شعره ونثره — طريقته فى التأليف — التعريف بزهر الآداب — إغفال المجون — تهذيب كتب المتقدمين — رأى الدكتور طه حسين تهذيب زهر الآداب — تفصيله وضبطه وشرحه — قيمته الأدبية

الحصرى القيروانى

الحصرى — بضم الحاء المهملة وسكون الصاد المهملة وبعدها راء مهملة — نسبة الى عمل الُحصْرِ أو بيعها ، كما ذكر ابن خِلكان — والقيروانى نسبة إلى مدينة القَيْروان

ويعرف تاريخ الآداب رجلين بهذا الاسم أولهما :

أبو الحسن الُحصْرى

وأبو الحسن هذا هو على بن عبد الغنى الفِهرى المقرئ الضرير القيروانى ، وقد كان — كما ذكر ابن بسّام فى الذخيرة — بَحْر بَرَاعة ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة

طرأ على الأندلس — كما قال ابن بسام — منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان ، والأدب بأفق الأندلس

يومئذٍ نافقُ السُّوق ، معمور الطريق ، فتهاداه ملوك الطوائف تهادىَ الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار بالأُنس المقيم

ولكنه ، فيما نُقِل ، لم يطمئن هناك ، فاحتمل على مَضَض بَيْنَ زمانه ، وبُعْد قُطره ، ثم اشتملت عليه مدينة طنجة بعد خلع ملوك الطوائف ، وتُوُفِّى بها سنة ٤٨٨ هجرية

طَرَف من أخباره

ذُكِر أنه لما كان مقيما بمدينة طَنْجة أرسل غلامه إلى المعتمد ابن عبّاد صاحب اشبيليّة ، واسمها فى بلادهم حِمْص ، فأبطأ عنه ، وبلغه أن المعتمد لم يحفل به ، فقال :

نَبِّهِ الرَّكْبَ الهُجُوعا * ولُم الدَّهْرَ الفَجُوعا
حِمْصُ الجَنَّةُ قالت * لغلامى لا رُجُوعا
رَحِمَ الله غلامى * مات فى الجنة جُوعا

وهذه الأبيات غاية فى خفة الروح

وحُكى أن المعتمد بن عباد بعث الى أبى العرب الزبيدى خمسمائة دينار ، وأمره أن يتجهز بها ويتوجه اليه ، وكان بجزيرة صِقِلِّية وهو من أهلها ، وبعث مثلها إلى أبى الحسن الحُصْرى ، وهو بالقيروان ، فكتب اليه أبو العرب :

لا تَعْجَبنَّ لرأسى كيف شاب أسًى * واعْجَبْ لأَسْوَدِ عينى كيف لم يَشِبِ
البحر للرُّوم لا يجرى السَّفين به * إلا على غَرَرٍ والبَرُّ للعرَبِ

وكتب له الحصرى :

أمرتنى بركوب البحر أقطعه * غيرى، لك الخير، فاخصصه بذا الداء

ما أنت نوح فتنجينى سفينته * ولا المسيح أنا أمشى على الماء

حياته الادبية

ذكروا أنه كان عالما بالقرآءات وطرقها ، وأنه أقرأ الناس القرآن الكريم يسبتة وغيرها ، وأن له قصيدة نظمها فى قراآت نافع ، عدد أبياتها ٢٠٩ ، وأن له ديوان شعر ، وهو القائل :

أقول له وقد حيا بكأس * لها من مسك رقته ختام

أمن خديك يعصر؟ قال كلا * متى عصرت من الورد المدام؟

وأشهر قصائده تلك الدالية التى افتن فى معارضتها الشعراء [1] ولنذكرها هنا لقيمتها وأثرها فى تاريخ الآداب العربية . قال :

ياليل الصب متى غده * أقيام الساعة موعده

رقد السمار وأرقه * أسف للبين يردده

فبكاه النجم ورق له * مما يرعاه ويرصده

كلف بغزال ذى هيف * خوف الواشين يشرده

نصبت عيناى له شركا * فى النوم فعز تصيده

وكفى عجبا أنى قنص * للسرب سبانى أغيده

---

(١) تجد هذه المعارضات فى مجموعة صغيرة نشرها الاديب محى الدين افندى رضا سنة ١٩١٩

صَنَمٌ للفتنة مُنْتَصِبٌ * أهواه ولا أتَعَبَّدُهُ
صاحٍ والخمر جَنَى فَمِهِ * سكرانُ اللحظ مُعَرْبِدُهُ
يَنْضُو من مُقلته سَيْفاً * وكأنَّ نُعَاساً يُغمِدُهُ
فيريقُ دَمَ العشاقِ به * والويلُ لمَن يتقلَّدُهُ
كلا لا ذنبَ لمن قتلت * عيناه ولم تَقْتُل يَدُهُ

يا من جَحَدَتْ عيناه دَمِى * وعلى خَدَّيه تَوَرُّدُهُ
خدَّاكَ قد اَعترَفا بدمى * فعلامَ جُفُونُكَ تجحدُهُ
إنى لأُعيذكَ من قَتْلِى * وأظنك لا تتعمَّدُهُ
بالله هَبِ المشتاق كرًى * فلعلَّ خيالك يُسْعِدُهُ
ماضرَّكَ لو داويتَ ضَنَى * صَبٍّ يُدْنيك وتُبعِدُهُ
لم يُبْقِ هواكَ لهُ رَمَقاً * فلْيبكِ عليه عُوَّدُهُ
وغداً يَقضى أو بعد غدٍ * هل من نَظَرٍ يتزوَّدُهُ

ياأهل الشوق لنا شَرَقٌ * بالدمع يفيض مورّدُهُ
يهوَى المشتاق لقاءكُمُ * وصروف الدهر تُبعِّدُهُ
ماأحلى الوصل وأعذبَهُ * لولا الأيام تنكِّدُهُ
بالبين وبالهجران فيا * لَفؤادى كيف تجلُّدُهُ

وممن عارض هذه القصيدة من المتقدمين نجم الدين القمراوى إذ يقول:

قد ملَّ مريضكَ عُوَّدُهُ * ورثى لأسيرِكَ حُسَّدُهُ

لم يُبقِ جفاكَ سوى نَفَسٍ * زفراتُ الشوق تُصعِّدُه

هاروت يُعنعِن فن السحـ * ـرِ الى عينيك ويُسنِدُه

واذا أغمدت اللحظ فتكـ * ـتَ فكيف وأنت تجرِّده

كم سهَّلَ خدُّكَ وجهَ رضاً * والحاجب منك يُعقِّده

ما أشركَ فيك القلبَ فلِمْ * فى نار الهجر تُخلِّده

وناصح الدين الأرَّجانى إذ يقول:

هل أنت بطولك مُسعِدُه * يا ليل فَصُبْحكُ موعدُه

لا كان قصيرَ الليل فتًى * ميعادُ منيّتهِ غدُه

فى صدرى من كَلَفٍ بِكمُ * جندٌ للشوق يُجنِّده

أعليل اللحظ وعلته * منها المتألّم عوَّده

عيناكَ لسفك دمى جنتَا * فالصُّدغ علامَ تجعدُه

ودمى لا يحسن محمله * فى الناسِ فلِمْ تتقلَّده

لم أنس برامة موقفنا * والشمل أظلّ تبدُّده

رَشَأٌ قد أفلت من شَرَكى * والبين غدا يتصيَّده

سِربٌ قد عنَّ بذى سَلَمٍ * وغدا بفؤادى أغيدُه

وتطاول يتبعهم نَظَراً * صبٌّ قد طال تبلُّده

حرّان القلب متيَّمُه * حيران الطرف مُسهَّده

وأبرع من عارضها من المعاصرين فَخر مِصْر والشرق أمير الشعراء أحمد شوقى بك إذ يقول:

مُضناكَ جفاهُ مَرْقدُهُ * وبكاهُ ورحَّم عُوَّدُه

حيرانُ القلب مُعَذَّبهُ * مقروح الجفن مسهدهُ
أودى حُرَقاً إلا رمقاً * يُبقيهِ عليك وتنفدهُ
يستهوى الوُرْقَ تأَوُّههُ * ويُذيب الصخر تنهُّدهُ (١)
ويُناجى النجم ويتبعهُ * ويُقيم الليلَ ويُقعِدهُ
ويُعلِّم كلَّ مطوَّقةٍ * شَجَناً فى الدَّوح تردِّدهُ
كم مدَّ لطيفك من شَرَكٍ * وتأدَّب لايتصيَّدهُ
فعساك بغُمض مُسْعِفهُ * ولعلَّ خيالك مُسْعِدهُ
الحسن حلفت «بيوسُفِهِ» * و«السورةِ» أنك مفردهُ
قد ودَّ جمالك أو قبساً * حوراء الخلد وأمْرَدهُ
وتمنَّتْ كل مُقطِّعةٍ * يدها لو تُبعثُ تشهدهُ
جحدت عيناك زكىَّ دمى * أكذلك خدكَ يجحدهُ
قد عزَّ شهودى إذ رمتَا * فأشرت لخدك أُشهِدهُ
وهممت بجيدك أشرِكهُ * فأبى واستكبر أصيَدهُ
وهَزَزْتُ قوامك أعطفهُ * فنبا وتمنَّع أمَلَدهُ (٢)
سببٌ لرضاك أُمَهِّدهُ * ما بال الخصر يُعقِّدهُ
بينى فى الحب وبينك ما * لا يقدر واشٍ يُفسدهُ
ما بال العاذل يفتح لى * باب السلْوان وأوصِدهُ
ويقول تكاد تُجنُّ به * فأقول وأُوشِك أعبده
مولاىَ وروحى فى يدهِ * قد ضيعها سَلمتْ يَدُهُ

---

(١) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة (٢) الاملد والاملود الغصن اللين الناعم

ناقوس القلب يدقّ له * وحنايا الأضلع معبده
حسّادي فيه أعذرهم * وأحقّ بعذري حسّده

قسماً بثنايا لؤلؤها * قسم الياقوت منضّده
ورضاب يوعد كوثره * مقتول العشق ومشهده
وبخال كاد يحجّ له * لو كان يقبّل أسوده
وقوام يروى الغصن له * نسباً والرمح يفنّده
وبخصر أوهن من جلدى * وعوادى الهجر تبدّده
ماخنت هواك ولا خطرت * سلوى بالقلب تبرّده

وإنما ذكرت حياة أبى الحسن الحصْرى ، وشيئاً من أخباره ، لأنى رأيت أكثر الناس يحسبونه صاحب زهر الآداب ، ولأنى أحب دائما أن أقدم للقارىء ما يُمتِعُ عقله ووجدانه من المعارف الأدبية ، لأية مناسبة ، ولأن أبا الحسن الحصْرى ابن خالة أبى إسحق الحصري صاحب زهر الآداب ، وفى هذه القرابة ما يدعو للتنويه به فى هذا المقام ، والظفر للقارىء على أىّ حال [1]

أبو اسحق الحصرى

أما أبو إسحق الحصْرى فهو ابراهيم بن على بن تميم المتوفّى سنة ٤٥٣ هجرية ، وقد عُنىَ به كثير من كتّاب التراجم : فتكلم عنه

(١) فى كتاب (الموازنة بين الشعراء) فصل مسهب فى الموازنة بين الحصرى وشوقى ، فليرجع اليه القارىء ان شاء .

ابن رشيق فى الأنموذج، وابن بسّام فى الذخيرة، والرشيد بن الزبير فى الجنان، وابن خلكان فى وَفيَات الأعيان.

وقد كان شباب القيروان — فيما قالوا — يجتمعون عنده، ويأخذون عنه، وكان لديهم من المُكْرَمين.

شعره ونثره

أورد ابن رشيق من شعره هذين البيتين:

إنى أُحِبُّك حُبًّا ليس يبلغُهُ * فَهْمٌ ولا ينتهى وصفٌ إلى صِفَتِهْ

أقصى نهاية علمى فيه معرفتى * بالعجز مِنّىَ عن إدراك مَعْرِفَتِهْ

وأورد له ابن بسّام هذين البيتين

أَوْرَدَ قلبي الردى * لامُ عِذارٍ بَدَا

أسود كالكفر فى * فى أبيَضَ مثل الهدى

واختار له ياقوت هذه المقطوعة:

ياهل بكيت كما بكت ورْقُ الحمائم فى الغُصونِ

هتفت سُحيرا والربى للقطر رافعة الجفون

فكأنها صاغت على شجوى شجى تلك اللُّحون

ذكرتنى عهداً مضى للأُنس منقطع القرين

فتصرمت أيامهـا وكأنها رجع الجفون

واختار له ايضاً

كتمتُ هواك حتى عيل صبرى وأدنتنى مكاتمتى لرمسى

ولم أقدر على إخفاء حال يحول بها الأسى دون التأسى
وحبك مالك لحظى ولفظى واظهارى وإضمارى وحسى
فان أنطق ففيك جميع نطقى وان أسكت ففيك حديث نفسى

ولو نقلت إلينا من شعره طائفة صالحة لاستطعنا أن نعيّن منزلته بين الشعراء

أما نثره فمُستَمْلَح ، ويغلب فيه السَّجْع المقبول ، الخالص من شوائب الصنعة والتكلف ، والسجع فى الأصل حلية وزينة ، وانما يعاب عند الغلوّ والإغراق

وإليك أنموذجاً مما جاء من نثره فى مقدمة كتابه ، قال :

« ولم أذهب فى هذا الاختيار ، إلى مطولات الأخبار ، كأحاديث صعصعة ابن صوْحان ، وخالد بن صفوان ، ونظائرهما ، إذ كانت هذه (يريد الفِقَر الصغيرة) أجمل لفظا ، وأسهل حفظا ، وهو كتاب يتصرف فيه الناظر من نثره ، إلى شعره ، ومطبوعه ، إلى مصنوعه ، ومحاورته ، إلى مفاخرته ، ومناقلته ، إلى مساجلته ، وخطابه المبهت ، إلى جوابه المُسكِت ، وتشبيهاته المصيبة ، إلى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة ، إلى أمثاله السائرة ، وجِدِّه المعجِب ، إلى هزله المطرب ، وجزله الرائع ، إلى رقيقه البارع »

وهذا كما ترى سجع يجمع بين دِقَّة الصُّنع ، ورِقّة الطبع ، فهو فى دقته مطبوع ، لا مصنوع

طريقته فى التأليف

الأدب لا موضوع له ، كما يقول أستاذنا الجليل الشيخ سيد المرصفى ، وكذلك كان يفهمه أبو إسحق الحصْرى ، فهو لا يحفِل بترتيب المسائل ، ولا بتبويب الموضوعات . وإنما يتصرف من الجد إلى الهزل ، ومن الأوصاف إلى التشبيهات ، ومن الشعر إلى النثر ، ومن المطبوع إلى المصنوع ، وهذه الطريقة من أهم الطُّرُق فى التأليف ، وإنْ عابها من لا يفرق بين الموضوعات العلمية ، والموضوعات الأدبية

ذكروا أنه ترك كتاباً اسمه « المصون فى سر الهوى المكنون » فى مجلد واحد ، فيه مُلَح وآداب ، أما كتابه الخالد فهو « زهر الآداب وثمر الألباب » وإنه ليسجع حتى فى تسمية كُتبه ، وكذلك كان يفعل فى عهده المؤلفون

التعريف بزهر الآداب

كان المتقدمون لا يصفون زهر الآداب إلا بأنه « جَمَعَ كلَّ غَرِيبةٍ » وهو وصف صادق ، وإنى ذاكرٌ هنا بعض صفات هذا الكتاب ، وعلى الأخص الصفات التى تعين منهج مُؤلِّفه ، وتميز اتجاه بعض الأفكار في العصر الذى عاش فيه

وإنا لنجده :

أولا — يهتم ببراعة المطلع ، وحسن الختام ، فيبدأ كتابه بهذه الجملة :

«الحمد لله الذى اختص الانسان ، بفضيلة البيان ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، المرسل بالنور المبين ، والكتاب المستبين ، الذى تحدّى الخلق أن يأتوا بمثله ، فعجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليما كثيراً »

ويختمه بهذه العبارة :

«وقال ابن الأعرابى : أمدح بيت قاله المحدَثون قول أبى نُواس

أخذت بحبلٍ من حِبال محمَّدٍ * أمِنْتُ به من طارِقِ الحدَثان[1] »

ثانياً — يُعْنى عناية خاصة بالكلام عن الصحابة والتابعين ، فينقل أخبارهم ، ويدوّن آثارهم ، وكانت هذه فيما يظهر عادة إسلامية ، فى ذلك الحين

ثالثاً — يجعل الكلام فى المصيبة بأبناء النبوة باباً من أبواب الأدب فينقل هذه التعابير :

— قد نُعِيَ سَليلٌ من سُلالة النبوة ، وفرع من شجرة الرسالة ، وعضو من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصىّ والبتول

— تجدّد فى بيت الرسالة رُزْءٌ جدّد المصائب ، واستعاد النوائب

— انها لمصيبة تحيَّفت جانب الوحى المنزل ، وذكَّرت بموت النبى المرسل . الخ الخ

ويتصل بهذا عنايته بأوصاف الأشراف . كنقله هذه العبارات :

---

(١) فى احدى النسخ المخطوطة فصل في صفات الله عز شأنه ، ختم به الكتاب وذلك توفيق فى حسن الختام

— « استتق عِرقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ثدى الرسالة وتهدّلت أغصانه عن نبعة الامامة ، وتبجبحت أطرافه فى عَرْصَة الشرف والسيادة ، وتفقأت بيضته من سُلالة الطهارة ، قد جذب القرآن بضَبْعِه وشقّ الوحى عن بصره وسمعه » الخ الخ

وهذا الاتجاه يدل على وجهة سياسية خاصة ، فصلّتها ببعض التفصيل فى كتاب « الأخلاق عند الغزالى » وإلاّ فان النبي يقول : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » بل الله يقول : «فاذا نُفخ فى الصور فلا أنساب بينهم »

رابعاً — يُبْدِئ الحصْرى ويعيد فى الكلام عن البلاغة والبلغاء ، والشعر والشعراء ، والإنشاء والمنشئين ، وكذلك كان أهل عصره يهتمون بدرس النثر والشعر ، ونحن مدينون لهم بما يتصل بهذا الباب من المعارف الأدبية

خامساً — يذكر كثيراً من الآداب الاجتماعية التى كان يحمدها الناس لعهده ، فيذكر ما يجمل فى معاملة الملوك ، ويتحدث عن فضل الليل ، والحرص على الأدب ، وواجب النُّسّاخ ، وما الى ذلك مما يتصل بما على المرء من الواجبات ، وما له من الحقوق

اغفال المجون

وقد جرى أبو إسحق الحصرى فى زهر الآداب على إغفال المُجون ، فنجده يقول عن راشد بن أرشد :

« وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره ، وصُنتُ الكتاب عن ذكره »

وقد صرحت بانكار هذا المنهج فى « مدامع العشاق » وبينت هنالك أن حرص الحصرى على الأخلاق ضيّع علينا ما أعرض عنه من الآثار الأدبية ، وكنا فى حاجة إلى أن نعرف كل ما ترك الأولون !

وأحب أن يعلم القارىء أن المجون لون من ألوان الغذاء التى تحيا بها العقول ، فكما أن الأجسام تحتاج فى تغذيتها إلى المواد المختلفة ، والعناصر المتنوعة : من الملح ، والحلو ، والمرّ ، كذلك العقول تحتاج فى تغذيتها إلى المعارف المتباينة : من جدّ القول وهزله ، وحلوه ومرّه ، ولكنّ أكثر الناس لا يفقهون !

على أن الحصرى لم يُخْلِ كتابه من المجون ، بل ومن فاحش المجون ، وللقارىء أن يتتبع ما وقع من ذلك فى ألفاف الكتاب ليرى كيف غُلِب المؤلف على أمره ، فأباح ما لا يباح ! [1]

---

(١) فى مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب (حب ابن أبى ربيعة وشعره) تفصيل لآراء الباحثين ومناهج المؤلفين فى تخير الادب المكشوف . وقد صارحنا الاستاذ على الجارم أحد شعراء الوجدان الممتازين فى هذا العصر باستنكاره ما جاء فى تلك المقدمة ، وأضاف الى ذلك انكاره لمنهج التأليف الذي اختاره مؤلف حب ابن أبى ربيعة وشعره لأنه فى رأيه لا يصلح لأن تطلع عليه فتاة . غير انه استدرك فقال : ولكن يظهر أن حرصنا على التجمل فى التأليف هو الذى جعل فتياتنا من بين فتيات العالم أضعف وأوهن من أن يقدم لهن الادب المكشوف ، ولو انهن ألفن محادثة الرجال ، وخفت الحواجز بين الجنسين ، لتأصلت فيهن المناعة الكافية لمقاومة الغواية . ثم ضرب المثل بنساء الانجليز والامريكان ... وأنا أذهب الى أبعد من ذلك فأقرر أن بعض الغى رشد ، وأن الحياة تفقد حيويتها اذا انقلبت الى هدى خالص لا يشوبه ضلال .

تهذيب كتب المتقدمين

يهتم كثير من علماء العصر بتهذيب كتب المتقدمين ، وهذا التهذيب ينحصر فى حذف المجون وضم بعض الموضوعات إلى بعض ، وأنا أنكر هذا الأسلوب ، والعهد قريب بما كتبه أستاذنا الدكتور طه حسين فى نقد مهذّب الأغانى الذى أظهره الأستاذ الكبير محمد بك الخضرى منذ أسابيع ، ويرجّح أن يترك المعاصرون هذه الطريقة المنكرة ، بعد تلك الحملة التى أصماهم بها صاحب حديث الأربعاء

تهذيب زهر الآداب

ولقد رأيت أن أترك تلك الطريقة فى تهذيب زهر الآداب ، لأن المؤلف لم يرد أن يكون كتابه ذا فصول وأبواب ، وإنما أراد أن يتصرف القارىء فيه من الشعر إلى النثر ، ومن الجد إلى الهزل ، إلى آخر ما قال

وقد ظلّ بين يدىّ نحو تسعة أشهر وأنا معتقل فى سنة ١٩٢٠ ، فقرأته ، ثم قرأته ، وعُنيت بضبطه ، وتصحيح ما وقع فيه من الأغلاط ، ثم رأيت أن أفصله ، والتفصيل فيما أريد هو أن أضع عنواناً لكل موضوع ، وما أكثر ما فى الكتاب من الموضوعات ، لأن المؤلف وضع قليلا من العناوين ، ثم أخذ يستطرد من معنى إلى معنى ، ومن

غرض إلى غرض ، من غير أن يهتم بالترتيب والتبويب

وأرجو أن لا يجد القارىء فى هذا الصُّنع تشويهاً لعمل المؤلف ، فقد أبقيت الكتاب كما هو ، وأبقيت على عناوينه وأبوابه ، وفِقَرِهِ وفصوله ، ووضعت ما أبدعت من العناوين فى نُمْط خاص ، فاذا شاء القارىء أن يعرف كيف وَضع الكتابَ مُؤلفه فليرفع فقط ماجَدّ من العناوين

أهمية هذا التفصيل

على أننى مطمئن إلى ما صنعت ، فقد كان الكتاب متقاذِف الأرجاء ، بسبب ما كثر فيه من الاستطراد ، فأصبح بفضل هذا التفصيل ، محدود الموضوعات ، بحيث يهتدى فيه القارىء إلى مئات المسائل الأدبية ، من غير أن يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب .

ولم أحجم عن تكرار العنوان الواحد حين يقتضى المقام ذلك ، وربما أضفت كلة يتميز بها العنوان الجديد

الضبط والشرح

كان زهر الآداب مطبوعا على هامش العقد الفريد ، من غير ضبط ولا شرح ، وكان يكفى أن يطبع الكتاب طبعة أزهرية ليصبح مثالا فى المسخ والتشويه ، ولتقذى فى قراءته العيون ، وتضل فى فهمه العقول ؛ فأنفقت من جُهْدى ومن وقتى ، فى تحقيق ما جناه مَرُّ السنين

وعَبَثُ الجاهلين ، مالا أمُنُّ به على القارىء إلا وأنا آسفٌ محزون ، لأنى مدينٌ لمن طبعوه أولَ مرة على أيّ حال ، أحسن الله جزاءهم ، وتجاوز عمّا رماهم به الزمن من ألوان الضعف والقصُور

فى الطبعة القديمة كثير من الأغلاط ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد كان الأدب يوم ظهرت قليل الأنصار ، وقد اعتمدت فى ضبط هذه الطبعة على مراجعة الأصول التى أخذ منها زهر الآداب ، وعلى ما أثق به من مختلف المعاجم والقواميس ، فان استطاع القارىء أن يلفتنى إلى خطأٍ فاتنى إصلاحه ، فانى بشكره خليق .

أما الشرح فقد اجتهدت فى أن يكون غاية فى الايجاز ، لأن الإطناب فى شرح الكتب الأدبية من جملة العيوب ، وقد تمر الصفحة بلا شرح ، حين تستغنى عن ذلك ، لأنى أمقت التكلف ، وأُبغِض المتكلّفين .

وقد قسمت الكتاب إلى أربعة أجزاء ، وكان المؤلف قسمه إلى ثلاثة ، وهى مسألة اعتبارية ، لأن الكتاب فى الأصل مبنى على التنقل والاستطراد

قيمة زهر الآداب

كان المتقدمون يُعْنون بدراسة الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والنوادر لأبي على القالى ، وكانت هذه الكتب أصول الأدب عندهم كما ذكر ابن خلدون ، وعندى أن زهر الآداب أغزر مادةً ، وأكبر قيمةً من جميع تلك المصنّفات ، لان ذوق الُحصرى ذوقٌ أدبيٌّ صِرْف ، أما أولئك فقد كانت أهواؤهم مُوزعةً بين اللغة ، والرواية ، والنحو ، والتصريف

إن زهر الآداب دائرة معارف أدبية ، شاء الله أن تسلم من جناية الليالى ، والحمد لله على أن كنت المُوَفّق إلى إحياء هذا الأثر النفيس

محمد زكى عبد السلام مبارك

٢٢ فبراير سنة ١٩٢٥

مقدمة الطبعة الثانية

موضوع زهر الآداب — الوصف عند كتاب القرن الرابع — نماذج من التعابير الوصفية — نظرية الفن للفن وقيمة الزخرف والصنعة — الخصومات الأدبية فى القرن الرابع

رأى القارئ فى مقدمة الطبعة الأولى اشارات الى الخصائص التى امتاز بها زهر الآداب ، ونريد فى هذه الكلمة ان تنص على ان هذا الكتاب أريد به أن يكون صورة للعصر الذى عاش فيه مؤلفه رحمه الله ، وانه ليذكر ان أبا الفضل العباس بن سليمان رحل الى المشرق فى طلب الكتب « باذلا فى ذلك ماله ، مستعذباً فيه تعبه ، الى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف طريفة ، وغرائب غريبة » ثم سأله أن يجمع له من مختارها كتاباً يكتفى به عن جملتها ، وأن يضيف الى ذلك من كلام المتقدمين ما قاربه وقارنه وشابهه وماثله الخ . فغاية الكتاب اذاً تخيُّر ما طاب من ثمرات العقول فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس

ولنذكر أولا ان الحصرى توفى سنة ٤٥٣ ، ولكننا نرجح انه وضع زهر الآداب قبل وفاته بأكثر من عشرين عاماً ، فقد حدثنا فى أثناء كتابه انه يعاصر الثعالبى اذ قال « وأبو منصور يعيش الى وقتنا هذا »

حين أشار الى مختار ما كتبه الميكالى اليه . والثعالبي توفى سنة ٤٢٩ ؛ وانما عيّنّا أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس لأن الحصرى أشار الى ان فيمن نقل عنهم من أدركه بعمره ، أو لحقه أهل دهره . ولذلك العهد من حياة الأدب طابع خاص ، فصلت خصائصه ومميزاته فى كتابى الذى وضعته بالفرنسية عن النثر فى القرن الرابع ، وانى لمشير هنا الى بعض الجوانب البارزة فى أدب ذلك العصر ليكون القارىء على بينة من الروح الذى استوحاه مؤلف زهر الآداب

أظهر ميزة فى ذلك العصر هى اجادة الوصف ، فقد اهتم كتّابه اهتماماً عظيما بوصف ما وقعت عليه أعينهم أو جرى فى خواطرهم ، ولم يكن الوصف عندهم مما يأتي عفواً عند المناسبات الطارئة كما كان الحال فى أوائل العصر الاسلامى ، لا ، بل تعمدوا استقصاء الموضوعات الوصفية: فأطالوا الحديث عن الازهار ، والرياض ، والنبات ، والنسيم والرياح ، والليل والنجوم ، والجداول والغدران ، والأنهار ، والبحار ، والأحواض والقصور ، ومنازل اللهو ، ومجالس الشراب ، والنساء والغلمان ، والجوارى السود ، والقيان ، وآلات الطرب ، ومحاسن الشباب ، وأهوال المشيب ، والرعد والبرق ، والمطر والثلج والصحو ، والبلاغة والشعر والنثر ، والخيل ، والسيوف ، والنار ، والأفاعى ، والثعابين ، والطيور ، والأطعمة ، والفواكه ، والسكاكين ، والكؤوس ، والخواتم والحلى ، والقلائد ، والمحابر ، والأقلام ، والسفن ، والدواب ، والجيوش والأساطيل ، وأيام الصيف والشتاء والربيع

وأطنبوا في وصف المعاني الوجدانية ، كما أطنبوا في وصف المرئيات ، فتكلموا عن أهواء النفوس ونزعاتها ، فوصفوا الحقد ، والبغض والكرم ، والنبل ، وعرضوا لما يقع لأهل المهن وللرؤساء : من الهنات والعورات . كل ذلك بطريقة مقصودة تدل على انه كان لهم برنامج خاص لم يعرفه أسلافهم . وهذا المذهب له عيوبه ومزاياه : فعيبه أنه حملهم على التكلف والاسراف ، وحسنه أنه حملهم على تنظيم أفكارهم وترتيب أغراضهم ، فان القارىء يرى لهم قوة في تصوير المرئيات والمعنويات لا يراها لمن سبقوهم ، وذلك بفضل هذا الاتجاه الذي جعل في عصرهم مدرسة وصفية لا نراها في عصر الخلفاء ولا عهد بني أمية ولا أوائل أيام بني العباس .

ولا ننكر أن الكتّاب السابقين أجادوا الوصف في كثير من الموضوعات ولكننا نقرر أن كتاب القرن الرابع عمدوا إلى كل ما يقع عليه الحس ، أو يجري في الخاطر ، أو ينقده العقل ، فوصفوه وصفا مفصلا مقصوداً بطريقة لم يفكر في مثلها المتقدمون

***

وقد قدم لنا صاحب زهر الآداب شواهد كثيرة في مواطن متفرقة من كتابه عن الأوصاف التي عني بها كتاب ذلك العصر . فلنثبت منها شيئا ليرى القارئ صدق ما نراه من قصد رجال ذلك العهد الى إجادة الوصف

من ذلك قولهم في وصف الماء :

— ماء كالزجاج الأزرق

— غدير كعين الشمس

— ماء كلسان الشمعة ، في صفاء الدمعة ، يسبح في الرضراض ، سبح النضناض .

— ماء أزرق كعين السِّنور ، صاف كقضيب البلور .

— غدير ترقرقت فيه دموع السحائب ، وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب .

وقولهم في وصف سكِّين :

« سكين كأن القدر سائقها ، أو الأجل سابقها ، مُرهفَة الصدر ، ممنطقة الخصر ، يجول عليها فرند العِتق ، ويموج فيها ماء الجوهر ، كأن المنية تبرق من حدها ، والأجل يلمع من متنها ، ركبت في نصاب آبنوس كأن الحدق نفضت عليه صبغها ، وحب القلوب كستة لباسها ، أخذ لها حديدها الناصع بحظ من الروم ، وضرب لها نصابها الحالك بسهم من الزنج ، فكأنها ليل من تحت نهار ، أو مجمراً بدى سنا نار ، ذات غِرار ماض ، وذباب قاض .

سكين أحسن من التلاق ، وأقطع من الفراق ، تفعل فعل الاعداء وتنفع نفع الأصدقاء »

وقولهم في وصف متكبر :

« قد أسكرته خمرة الكبر ، واستغرقته لذة التيه ، كأن كسرى

حامل غاشيته، وقارون وكيل نفقته، وبلقيس احدى داياته، وكأن يوسف لم ينظر الا بطلعته، وداود لم ينطق الا بنغمته، ولقمان لم يتكلم الا بحكمته والشمس لم تطلع الا من جبينه، والغمام لم يبد إلا من يمينه »

وكان من أثر ذلك أن أصبح هذا العصر غنياً جداً بالتعابير الوصفية الرائعة فى أكثر أبواب الوصف. ومن ذا الذى يرتاب فى جمال قولهم فى وصف النثر والنظم مما اختاره صاحب زهر الآداب:

— نثر كنثر الورد، ونظم كنظم العقد

— نثر كالسحر أو أدق، ونظم كالماء أو أرق

— رسالة كالروضة الأنيقة، وقصيدة كالمخدّرة الرشيقة

— نثر كما تفتّح الزهَر، ونظم كما تنفّس السحَر

وقولهم فى أوصاف النساء:

— هى روضة الحسن، وضَرة الشمس، وبدر الارض

— هى من وجهها فى صباح شامس، ومن شعرها فى ليل دامس، كأنها فلقة قمر على بُرج فضة

— بدر التّم يضىء تحت نقابها، وغصن البان يهتز تحت ثيابها

— لها عنق كابريق اللاجين، وسرة كمدهن العاج

— مطلع الشمس من وجهها، ونبت الدر من فمها، وملقط الورد من خدها، ومنبع السحر من طرفها، ومبادى الليل من شعرها، ومغرس الغصن من قدها، ومهيل الرمل من ردفها. الخ الخ

وقولهم فى صفات الغلمان :

— جاءنا فى غِلالة تنمّ على ما يستره ، وتحنو مع رقتها على ما يظهره

— الجنة مجتناة من قربه ، وماء الجمال يترقرق فى خده ، ومحاسن الربيع بين سَحره ونحره ، والقمر فضلة من حسنه

— له طُرّة كالغَسَق ، على غُرة كالفلَق

— الحسن ما فوق أزراره ، والطيب ما تحت إزاره

— هو قمر فى التصوير ، وشمس فى التأثير

— وجه بماء الحسن مغسول ، وطرف بمرود السحر مكحول

— شادنٌ فاترٌ طرفُه ، ساحرٌ لفظه ، تكاد القلوب تأكله ، والعيون تشربه

— السحر فى ألحاظه ، والشَّهد فى ألفاظه . الخ الخ

ولقد ظلت هذه التعابير الوصفية منبعاً يستقى منه الكتاب الى العصر الحديث ، والنقاد فى مصر أُعجبوا بقول حافظ ابراهيم فى وصف الصهباء :

خمرة قيل انهم عصروها * من خدود الملاح فى يوم عرس

وهو خيال سبق اليه كتاب القرن الرابع ، وردده ابن خفاجة إذ قال :

وشربتها عذراء تحسب انها * معصورة من وجنتى عذراء

وقد ظن أستاذنا الدكتور طه حسين ان حافظ ابراهيم أول من ألمّ بهذا الخيال فنقده وسفّهه حين عرض لنقد ترجمة البؤساء . فلينقل

المعركة اذن الى ميدان القرن الرابع ، وان كنت لا أدرى كيف يعاف الشراب المعصور من خدود الملاح

وكذلك أعجب النقاد بقول السيد توفيق البكرى فى وصف النساء

« صدور كالاغريض ، أوصدور البزاة البيض »[1]

وهى عبارة مأخوذة من قول الثعالبى فى وصف آثار السرى الرفاء :

« كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الحدق الملاح »[2]

وكذلك يمكن رد اكثر التعابير الوصفية التى يُغرم بها كتاب الصنعة فى العصر الحاضر من امثال الأساتذة: صادق عنبر ومحمد السباعى ومحمد هلال.

وكأن القرن الرابع يؤدى للقرون التى تلته ما اخذه عن القرون التى سبقته ، فقد كان كُتّابه مولَعين بحل الشعر لا يرونه معنى بديعاً ، ولا خيالا طريفاً الا اقتبسوه ، وأضافوه الى ثروتهم النثرية

وقد أشاع كتاب القرن الرابع نظرية (الفن للفن) وان لم يدركوا ما لهذه النظرية من الأوضاع والتقاليد ، فقد عودوا القراء تذوق الكتابة البديعة ، وحببوا اليهم النثر المصنوع ، فأصبح المتأدبون يتأملون مواقع الألفاظ وقرار التراكيب ، وصارت فنون البديع من تورية وجناس وطباق أصولا فنية يجد القارىء لذة ومُتعة حين يراها

---

(١) صهاريج اللؤلؤ ص ٢٣٤

(٢) اليتيمة ص ٤٥٠ ج ١

وقعت موقعاً حسناً وأصابت الغرض الذى وضعت له ، ولو كان غرضاً لفظياً لا يتوقف عليه تمام المعنى المقصود

***

ولكن أليس لهذا الزخرف قيمة فى فهم ذلك العصر ؟ بلى ، إنه يدلنا على أن أولئك الناس عرفوا لغتهم معرفة جيدة، ووقفوا على أسرارها وطرائق تعبيرها ، وكان همهم أن يرتبوا الألفاظ والمعانى والتعابير والأخيلة، حتى استطاع كاتبهم أن يحشر أرباب الصناعات فى صعيد واحد ثم ينطقهم بأسرار البلاغة ، كل على طريقته وبأسلوبه الذى يختاره فى مقر مهنته ومهد عمله .[1] وما نحسب كتاب القرون الأولى مثلا كانوا يفكرون فى جمع شتات اللغة لتصبح طوع أفكارهم وأقلامهم ، وإنما كانوا قوما يكتفون فى سبيل الوصول إلى أغراضهم بالعبارة الواضحة الموجزة التى يفهمها عامة الناس وخاصتهم . أما كتاب هذا القرن فقد أصبحوا فى حاجة إلى صفوة تقرأ لهم وتفهم عنهم ، إذ أصبح خيالهم قويا ولغتهم غنية لا يدرك أسرارها الجمهور ، فليس كل قارىء ولا كل سامع يستطيع أن يتذوق تشبيه الخط الجميل بأزهار الربيع ، والألفاظ بقلائد النحور ، والمعانى باللآلىء ، ولا أن يدرك كيف تتمنى كل جارحة أن تكون أذنا تلتقط درر الكلام وجواهره ، أو عينا تجتلى مطالعه ومناظره ، أو لسانا يدرس محاسنه ومفاخره .

---

(١) راجع ص ١٥٤ من هذا الجزء

إذن فالصنعة التى عُرف بها كتاب القرن الرابع لها وجهان : وجه جميل يدل على حذقهم وبراعتهم ، ووجه آخر يدل على بعدهم من غاية البيان وهى الوضوح ،إذ كان الاغراق فى الصنعة بابا من الغموض

***

ومن أهم الجوانب التى تمثل الحياة العقلية فى ذلك العصر الخصومات العنيفة التى قامت بين الكتاب ، فقد كانت بينهم مناوشات ومجادلات نشأت عن اطماعهم فى الحياة المادية ، وكانوا يمثلون غالبا طوائف من الأفكار الدينية والسياسية يقومون فى الدفاع عنها بما تقوم به الجرائد المغرضة فى العصر الحاضر ، وكان لهم من القوة ما كان للشعراء ، فلم يكن بد من أن يتنافس أصحاب الملك فى تقريبهم ، ولم يكن بد كذلك من أن يتنافس هؤلاء فى الاستئثار بالحظوة عند الوزراء والرؤساء والملوك

وفى الرسالة التى كتبها بديع الزمان الى أبى نصر بن المرزبان فقرات مُرة تمثل ما كان عليه كتاب ذلك العصر من الطمع فى المناصب الرسمية ومن ضعف الخلق عند الغنى ، ومن النُّبل عند الفقر: إذ « تنسيهم أيام الدونة أوقات الخشونة ، وازمان العذوبة ،ساعات الصعوبة » وقد كانوا كما قال : « ما اتسعت دورهم إلا ضاقت صدورهم ، ولا أُوقدت نارهم الا انطفأ نورهم،ولا زاد مالهم الانقص معروفهم ، ولاورمت أكياسهم الا ورمت أنوفهم ، ولا صلحت أحوالهم إلا فسدت أعمالهم ، ولا فاض جاهم إلا غاضت مياههم، ولا لانت برودهم إلا صلبت خدودهم»[1]

(١) رسائل بديع الزمان ص ١٤٥

وفى تلك المنافسات الشديدة ، وتلك الدسائس الملعونة ، التى كانت تقع بين الكتاب دليل على جشعهم فى حب الحياة وفهمهم لها فهما ماديا يتناسب مع تلك العبقريات الغنية التى ظهرت فى فِقرهم ورسائلهم وأبحاثهم ، فانه من المؤلم ان تظل قوة الحقد ويقظة الأثرة ، وشدة العداوة ، فى كل عصر من السمات الغالية على كبار الكتاب ، ومن النادر أن نجد كاتبا كريما يعطف على زملائه ويحب لهم الخير ويتمنى لهم السَّداد . وقديما أفزعت هذه الظاهرة عبد الحميد بن يحيى — وكان رجلا نبيلا — فكتب وصيته المعروفة يدعو بها الكتاب الى التعاون ونبذ الاحقاد ، وفى أيامنا تُبعث تلك الشمائل من جديد فلا نجد كاتبا فى العالم العربى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، بحيث نظن ان شبوب العبقرية يوحى بالطمع والاستبداد بالفضل، والاستئثار بالجاه

وأهم الخصومات التى وقعت بين كتاب ذلك العصر خصومة الهمذانى والخوارزمى، وخصومة التوحيدى والصاحب بن عباد

أما خصومة الهمذانى والخوارزمى فترجع إلى رغبة الهمذانى فى الظهور ، وطمعه فى الانفراد بالشهرة ، وأهم مصدر لهذه الخصومة الرسالة المطولة التى كتبها الهمذانى فى وصف المناظرة التى قامت بينه وبين الخوارزمى ، وهى رسالة مغرضة مملوءة بالتحامل والصَّغرنة ، وليس فيها أفكار جدية تجعل خصومة الرجلين خصومة بين عقلين ، إنما هى محاورات لفظية تدل على غلبة الزخرف وتمكنه فى السيطرة على عقول أهل ذلك الجيل . ولو أن الخوارزمى دوّن بدوره تلك المناظرة لرأينا وجهين فى بسط ذلك الحادث

الأدبي واستطعنا أن نستخلص من مقابلة النصين نفس الرجلين، ولكن الهمذاني تكلم وحده فعرفنا فقط مبلغ زهوه وكبريائه وطمعه في كبت كاتب كان يومئذ على رأس الكاتبين

أما خصومة التوحيدي لابن عباد فترجع فيما ذكر كتاب التراجم إلى سبب مادي، وذلك أن التوحيدي رغب في مال ابن عباد وجاهه فضاق عنه صدر هذا، فكتب التوحيدي كتابه «أخلاق الوزيرين» وهو كتاب جارح كشف به عورات ابن العميد وابن عباد. ثم عاد إليهما بالتجريح أيضا في كتابه (الامتاع والمؤانسة) وأسلوبه في الهجاء أسلوب خطر فظيع إذ يختلق الحوادث والاشارات وينطقهما برسائل ومقطوعات تهوى بهما إلى الحضيض. ويعتبر التوحيدي من الوجهة الفنية رجلا خصب الذهن، غني اللغة، وافر المحصول، قوي الخيال

وقد تنبه المتأدبون الى تحامل التوحيدي وإسرافه في التعصب والتحامل وشاع الاعتقاد بأن كتابه أخلاق الوزيرين كتاب مشئوم لا يملكه أحد إلا انعكست أحواله، ويذكر ابن خلكان انه جرب هذا وجربه من يثق به[1] فاذا صح هذا الوهم كان التوحيدي قد عوقب على بغيه وظلمه وبهتانه: فقد أنطق الصاحب بن عباد بعبارات مخجلة يندى لها وجه القارىء، وينفر منها الطبع والذوق، وان كانت وضعت بأسلوب شائق خلاب

*
* *

(١) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٧٠

تلك ، أيها القارىء، كلمة وجيزة أقدم بها الطبعة الثانية ، راجيا أن تكون كافية فى وصف الاتجاهات الفنية والعقلية التى عمل فى ظلالها مؤلف زهر الآداب ، وانى لآمل أن يكون فى هذه الطبعة من آثار الجهد والحرص على الصواب بعض ما يجب فى خدمة الأدب العربى الذى أصبح إحياؤه ونشره من أظهر محامد مصر فى العصر الحديث

زكى مبارك

مصر الجديدة فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩



مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اختص الانسان بفضيلة البيان ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، المرسل بالنور المبين ، والكتاب المستبين ، الذى تحدّى الخلق أن يأتوا بمثله ، فعجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليما كثيراً

وبعد فهذا كتاب اخترت فيه قطعة كافية من البلاغات : فى الشعر والخبَر ، والفصول ، والفِقر[1] مما حسُن لفظه ومعناه ، واستُدِل بفحواه على مغزاه[2] ولم يكن شارداً حُوشياً[3] ، ولا ساقطا سُوقياً[4] بل كان جميعُ مافيه، من ألفاظه ومعانيه ، كما قال البحترى[5] :

فى نظام من البلاغة ما شكَّ * امرؤٌ أنه نظامُ فريدِ[6]

حُزْنَ مستعمل الكلام اختياراً * وتجنبن ظُلْمة التعقيدِ

وركبن اللفظ القريب فأدركْ * نَ به غاية المراد البعيدِ

ولم أذهب فى هذا الاختيار ، إلى مطوّلات الأخبار ، كأحاديث صعصعة

(١) الفقر : جمع فقرة بكسر الفاء وفتحها ، وهى فصل أو بيت شعر ، وتقول : ما أحسن فقر كلامه ، أى نكتَه ، وهي فى الأصل حلى تصاغ على شكل فقر الظهر.

(٢) مغزى الكلام : هو المراد منه ، وفحواه هو ما يفهم منه ذلك المراد

(٣) الحوشى : الوحشى ، وقد وصف زهير بأنه كان لا يتتبع حوشى الكلام —

(٤) السوقى : نسبة الى السوقة ، وهم عامة الناس

(٥) البحترى شاعر مبدع من شعراء الدولة العباسية ، ولد فى منبج — بين الفرات وحلب — سنة ٢٠٦ وتوفى سنة ٢٨٤.

(٦) الفريد : هو الدر الذى يفصل بين الذهب فى القلادة المفصلة ، فالدر فيها فريد والذهب مفرد ، بتشديد الراء .

ابن صوحان[١] ، وخالد بن صفوان[٢] ، ونظائرهما ، إذ كانت هذه أجمل لفظا ، وأسهل حفظاً . وهو كتاب يتصرّف الناظر فيه من نثره ، إلى شعره ، ومطبوعه ، إلى مصنوعه ، ومحاورته ، إلى مفاخرته ، ومناقلته[٣] إلى مساجلته[٤] ، وخطابه المبهت[٥] إلى جوابه المسكت ، وتشبيهاته المصيبة ، الى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة ، إلى أمثاله السائرة ، وجِدّه المعجب[٦] إلى هزله المطرب ، وجزله الرائع ، إلى رقيقه البارع

وقد نزعت فيما جمعت عن ترتيب البيوت[٧] وعن إبعاد الشكل عن شكله ، و إفراد الشيء من مثله ، فجعلت بعضه مسلسلا[٨] وتركت بعضه مرسلا[٩] ليحصل محرَّر النقْد[١٠] ، مقدَّر السَّرد[١١] قد أخذ بطرفى التأليف ، واشتمل على حاشيتَىْ التصنيف ، وقد يعزّ المعنى فألحق الشكل بنظائره ، وأعلق الأول بآخره ، وتبقى منه بقية أصرفها فى سائره[١٢] ليسلم من التطويل الممل ، والتقصير المخل ، وتظهر فى التجميع إفادة الاجتماع ، وفى التفريق لذاذة الإمتاع ، فيكمل منه مايونق القلوب والأسماع[١٣] إذ كان الخروج من جد إلى هزل ، ومن حَزْن إلى سهل[١٤] ، أنفى للكَلَل[١٥] وأبعد من الملَل ، وقد قال اسماعيل ابن القاسم[١٦]

---

(١) صعصعة بن صوحان خطيب بليغ من سادات عبد القيس . شهد صفين مع على ونفاه المغيرة من الكوفة الى الجزيرة أو إلى البحرين بأمر معاوية فمات فيها حوالى سنة ٦٠ للهجرة (٢) خالد بن صفوان كان من مشاهير الفصحاء وله أخبار مع عمر ابن عبدالعزيز وهشام بن عبد الملك توفى نحو سنة ١١٥

(٣) ناقل الشاعر الشاعر : ناقضه ، ورجل نقل بفتح فكسر وذو نقل بفتحتين اذا كان جليلا مناقلا (٤) المساجلة : المفاخرة (٥) المبهت : المحير (٦) المعجب الذى يعجبك جماله (٧) البيوت كالأبيات : جمع بيت (٨) مسلسل : من السلسلة بفتح السين وهى اتصال الشيء بالشيء (٩) مرسل : غير مسلسل (١٠) النقد : الوزن

(١١) السرد : النسج ، والتحرير والتقدير : الضبط (١٢) سائره : باقيه

(١٣) يونق : يعجب (١٤) الحزن ماغلظ من الارض ويقابله السهل (١٥) الكلل : الاعياء ، ومثله الكلال (١٦) هو أبو على القالى كما ذكر السيوطى فى بغية الوعاة :

لا يصلح النفس اذ كانت مدابرةً * الا التنقل من حالٍ الى حالِ[1]

وكان السبب الذى دعانى إلى تأليفه ، وندبنى إلى تصنيفه ، ما رأيته من رغبة أبى الفضل العباس بن سليمان ، أطال الله مُدّته ، وأدام نعمته ، فى الأدب[2] و إنفاق عمره فى الطلب ، ومالِه فى الكتب ، وأن اجتهاده فى ذلك حمله على أن ارتحل إلى المشرق بسببها ، وأغمَض فى طلبها[3] باذلا فى ذلك ماله ، مستعذبا فيه تعبه ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف طريفة ، وغرائب غريبة ، وسألنى أن أجمع له من مختارها كتاباً يكتفى به عن جملتها ، وأضيف إلى ذلك من كلام المتقدّمين : ما قاربَه ، وقارنه ، وشابهه ، وماثَله ، فسارعت إلى مراده ، وأعنته على اجتهاده ، وألفت له هذا الكتاب ، ليستغنى به عن جميع كتب الآداب ، إذ كان موشّحاً من بدائع البديع[4] ، ولآلىء الميكالى ، وشهىّ الخوارزمى ، وغرائب الصاحب ، ونفيس قابوس ، وشذور أبى منصور[5] بكلام يمتزج بأجزاء النفس لطافة ، وبالهواء رِقة ، وبالماء عذوبة . وليس لى فى تأليفه من الافتخار ، أكثر من حسن الاختيار ، واختيار المرء قطعة من عقله ، تدل على تخلفه أو فضله ، ولاشك إن شاء الله فى استجادة ما استجدت ، واستحسان ما أوردت إذ كان معلوماً أنه ما انجذبت نفس ، ولا اجتمع حِسّ ، ولا مال سِر ، ولا جال فِكر ، فى أفضل من معنى لطيف ، ظهر فى لفظ شريف ، فكساه من حسن الموقع قبولا لايُدفع ، وأبرزه يختال من صفاء السبك ، وصحة الديباجة ، وكثرة المائية ، فى أجمل حُلة ، وأجل حِلية

ولد سنة ٢٨٨ بديار بكر وتوفى فى قرطبة سنة ٣٥٦ . ومن أشهر مؤلفاته كتاب الامالى

(١) مدابرة : ذاتُ سأم وملال ، والمدابرة فى الاصل : الهزيمه (٢) فى الادب : متعلق بكلمة رغبة (٣) أغمض وغمض: ذهب ، وغمض السيف فى اللحم غاب

(٤) موشح : مرصع (٥) البديع والميكالى والخوارزمى والصاحب وقابوس وأبو منصور : كل هؤلاء أعلام سيورد المؤلف طرفا من منظومهم ومنثورهم ، وهم من رجاله

يستنبط الروح اللطيف نسيمهُ أرجاً ويُؤكل بالضمير ويُشرب[1]

وقد رغبت فى التجافى عن المشهور ، فى جميع المذكور ، من الأسلوب الذى ذهبت إليه ، والنحو الذى عوّلت عليه ، لأن أوّل ما يقرع الآذان ، أدعى إلى الاستحسان، مما مجته[2] النفوس لطول تكراره، ولفظته[3] العقول لكثرة استمراره، فوجدت ذلك يتعذر ، ولا يتيسر ، ويمتنع ، ولايتسع[4] ويوجب ترك ماندر ، إذا اشتهر ، وهذا يوجب فى التصنيف دَخَلا[5] ، ويكسب التأليف خَللا ، فلم أعرض إلا عما أهانه الاستعمال ، وأذاله الابتذال[6] ، والمعنى إذا استدعى القلوب إلى حفظه ، ما ظهر من مُستحسَن لفظه : من بارع عبارة[7] ، وناصع استعارة، وعذوبة مورد ، وسهولة مقصِد ، وحسن تفصيل ، وإصابة تمثيل ، وتطابُق أنحاء ، وتجانس أجزاء ، وتمكن ترتيب ، ولطافة تهذيب ، مع صحة طبع ، وجودة إيضاح يثقفه تثقيف القِداح ، ويصوره أفضل تصوير ، ويقدّره أكمل تقدير ، فهو مشرق فى جوانب السمع ، لا يُخلقه عوده على المستعيد[8]

وهو المشيَّع بالمسامع إن مضى * وهو المضاعف حُسْنُه ان كُرِّرا

وإن كنت قد استدركت على كثير ممن سبقنى إلى مثل ما جريت إليه ، واقتصرت فى هذا الكتاب عليه ، لِمُلَح أوردتها كنوافث السحر[9] ، وفِقَر نظمتها كالغِنَى بعد الفقر ، من ألفاظ أهل العصر ، فى محاول النثر ، ومعقود الشعر ، وفيهم من أدركته بعمرى، أولحقه أهل دهرى ، ولهم من لطائف الابتداع وتوليدات الاختراع ، أبكار لم تفترعها الأسماع[10] ، يصبو إليها القلب والطَّرف،

القرن الرابع ، وسنذكر تراجمهم حين يعود المؤلف إلى الحديث عن آثارهم الأدبية

(١) يستنبط : يستخرج (٢) مجته: مقتته (٣) لفظته :رمته (٤) يتسع: يسهل

(٥) الدخل والدخل : العيب ، ونخلة مدخولة : عفنة الجوف (٦) أذاله : أهانه

(٧) من إضافة الصفة للموصوف ، أى عبارة بارعة ، وكذلك مابعده

(٨) لا يخلقه : لا يذهب بجدته ورونقه (٩) الملح : جمع ملحة ، وهى الكلمة المستملحة المستعذبة. النوافث : جمع نافثة، وهى الساحرة (١٠) افترع البكر فض بكارتها

ويقطر منها ماء الملاحة والظَّرف ، وتمتزج بأجزاء النفس ، وتسترجع نافر الأُنس ، تخللت تضاعيفه ؛ ووشّحت تأليفه ؛ وطرزت ديباجه ، ورصّعت تاجه ، ونظمت عقوده ، ورقمت بُروده ، فَنَوْرها يرفّ ، ونورها يشِف ، فى روض من الكلم مونِق ، ورونق من الحكم مشرِق

صفا ونفى ع•ه القذى فكأنهُ * إذا ما استشفّته العيون تصعّدا(١)

فهو كما قلت

بديعُ نثرٍ رقّ حتى غدا * يجرى مع الروح كما تجرى
من مُذهَب الوشْى على وجهه * ديباجة ليست من الشعر(٢)
كزهرة الدنيا وقد أقبلت * ترود فى رونقها النضر(٣)
أو كالنسيم الغض غِبّ الحيا * يختال فى أردية الفجر(٤)

ولعل فى كثير مما تركت ، ما هو أجود من قليل مما أدركت ، إذ كان اقتصارا من كلّ على بعض ، ومن فيض على بَرْض(٥) ، ولكنى اجتهدت ، فى اختيار ما وجدت ، وقد تدخل اللفظة فى شفاعة اللفظات ، ويمر البيت فى خلال الأبيات ، وتعرض الحكاية فى عرض الحكايات ، يتم بها المعنى المراد ، وليست مما يُستجاد ، ويبعث عليها فرط الضرورة اليها فى إصلاح خلل ، فمهما تره من ذلك فى هذا الاختيار ، فلا تُعرض عنه بطرف الإنكار ، وما أقل ذلك فى جميع المسالك الجارية فى هذا الكتاب ، الموسوم بزهر الآداب ، وثمر الألباب ، لكنى أردت أن أشارك من يخرج من ضيقة الاعتزار ، الى فسحة الاعتذار

ويسىءُ بالاحسان ظنًّا لا كمن * يأتيك وهو بشعره مفتون(٦)

والله المؤيد والمسدّد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل

---

(١) تصعد : ارتفع (٢) وشى مذهب : مطرز بالذهب
(٣) ترود : تختال (٤) غب الحيا : عقب المطر (٥) فيض : كثير ، وبرض : قليل
(٦) هكذا حور المؤلف البيت ، وهو لأبى تمام ، ونصه فى الاصل ،

ويسىءُ بالاحسان ظنا لا كمن * هو بابنه وبشعره مفتون

ان من البيان لسحرا

روى عن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما قال : وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزِّبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم ، فقال الزِّبرقان : يا رسول الله : أنا سيد تميم ، والمطاع فيهم ، والمجاب منهم ، آخذُ لهم بحقهم ، وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك — يعنى عمراً — فقال عمرو : أجل يا رسول الله ، إنه مانعٌ لحوزته ، (١) ، مطاع فى عشيرته ، شديد العارضة فيهم (٢)

فقال الزبرقان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى شرفى ! فقال عمرو ، أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضَيِّق العطَن (٣) زمِن المروءة (٤) أحمق الأب لئيم الخال ، حديث الغنى ؛ فرأى الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا اختلف قوله ، فقال : يارسول الله ، رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت : فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الثانية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة) ويروى لحِكما ، والأول أصح . والذى روى أهل الثّبت (٥) من هذا الحديث أنه قدم رجلان من أهل المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحراً ، أو من بعض البيان لسحرا .

---

(١) حوزة الرجل : ما يحوزه و يملكه (٢) العارضة : البديهة وقوة الكلام

(٣) العطن : المناخ حول الورد ، وضيق العطن كناية عن البخل

(٤) زمن : بالى (٥) أهل الثبت : أهل الثقة

عمرو بن الاهتم والزبرقان بن بدر

وعمرو بن الاهتم هو عمرو بن سنان بن سُمى بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث والحارث هو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناه ابن تميم . وسمى سنان الأهتم لأن قيس بن عاصم المِنقَرى سيد أهل الوبر ضربه بقوسه فهتم فاه . هذا قول أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . وقال غيره بل هُتم فُوه يوم الكلاب الثانى ، وهو يوم كان لبنى تميم على أهل اليمن ، وكان عمرو يلقب المكحلّ لجماله ، وبنو الاهتم أهل بيت بلاغة فى الجاهلية والاسلام ، وعبد الله بن عمرو بن الاهتم هو جدّ خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة وكان يقال : الخطابة فى آل عمرو . وكان شعره حُلَلاً منشّرَة عند الملوك تأخذ منه ما شاءت . وهو القائل

ذرينى فان البخل يا أم مالكٍ * لصالح أخلاق الرجال سَرُوقُ

لعمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها * ولكنّ أخلاق الرجال تضيق[1]

والزبرقان اسمه حصن بن بدر بن امرئ القيس بن الحارث بن بهدلة ابن عوف بن كعب بن سعيد ، وسمى الزبرقان لجماله ، والزبرقان القمر ، وقيل لأنه كان يزبرق عمامته ، أى يصفرها فى الحرب ؛ وكانوا يسمون الكلام الغريب السحر الحلال ويقولون : اللفظ الجميل من إحدى النفثات فى العُقَد

---

(١) هذا البيت ورد أيضا فى أبيات بشار التى مطلعها :

خليلى إن العسر سوف يفيق   وإن يسارا فى غد لخليق

غلام يتكلم فى حضرة عمر بن عبد العزيز

وذكر بعض الرواة أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قدم عليه وفود أهل كل بلد ، فتقدم إليه وفد أهل الحجاز ، فاشرأب منهم غلام للكلام [1] فقال عمر : ياغلام ! ليتكلم من هو أسن منك ! فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ! إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فاذا منح الله عبده لسانا لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد أجاد له الاختيار ، ولو أن الأمور بالسن لكان هاهنا من هو أحق بمجلسك منك ! فقال عمر : صدقت ، تكلم فهذا السحر الحلال . فقال يا أمير المؤمنين! نحن وفد التهنئة ، لا وفد المرزئة [2] ، ولم تقدمنا اليك رغبة ولا رهبة ، لأنا قد أمنا فى أيامك ماخفنا ، وأدركنا ما طلبنا .

فسأل عمر عن سن الغلام فقيل عشر سنين

وقد روى أن محمد بن كعب القرظى كان حاضراً ، فنظر إلى وجه عمر قد تهلل عند ثناء الغلام عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك ، فان قوماً خدعهم الثناء ، وغرهم الشكر ، فزلت أقدامهم ، فهووا في النار [3] أعاذك الله أن تكون منهم ، وألحقك بسالف هذه الأمة ؛ فبكى عمر حتى خيف عليه ، وقال : اللهم لاتخلنا من واعظ .

وقد روى أن عمر قال للغلام : عظنى ؛ فقال هذا الكلام ، وفيه زيادة يسيرة ونقص

---

(١) اشرأب : تطلع (٢) المرزئة : الاستجداء وطلب النوال (٣) هووا : سقطوا ، من هوى يهوى على وزن ضرب يضرب ، بخلاف هوى يهوى على وزن علم يعلم فانه بمعنى أحب

السحر الحلال

أخذ قول عمر : (هذا السحر الحلال) أبو تمام فقال يعاتب أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى

إذا ما الحاجةُ انبعثَتْ يداها ☆ جعلتَ المنعَ منك لها عِقالا
فأين قصائدٌ لى فيك تأبى ☆ وتأنف أن أُهان وأن أُذالا
هي السحر الحلال لمجتليهِ ☆ ولم أر قبلها سحراً حلالا

وكتب أبو الفضل بن العميد[1] إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب ورد اليه :- « وصل ما وصلتنى به ، جعلنى الله فداك ، من كتابك ، بل نعمتك التامة ، ومنتك العامة ، فقرت عينى بوروده ، وشُفيتْ نفسى بوفوده ، ونشرته فحكى نسيم الرياض غب المطر ، وتنفس الانوار فى السحرَ[2] وتأملت مفتتحه ، وما اشتمل عليه من لطائف كلمك ، و بدائع حِكَمك ، فوجدته قد تحمّل من فنون البر عنك ، وضروب الفضل منك ، جِداً وهزلا ، ملأ عينى ، وغمر قلبى ، وغلب فكرى ، وبهرَ لُبِّى ، فبقيت لا أدرى : أسمُوط در خصصتنى بها ، أم عقود جوهر منحتنيها ؟ كما لا أدرى أبكراً زففتها فيه ، أم روضةً جهزتها منه ، ولا أدرى أخدوداً ضُرِّجت حياء ضمّنته ؛ أم نجوماً طلعت عشاءً أودعته ، ولا أدرى أجدُّك أبلغ وألطف ، أم هزلك أرفع وأظرف ، وأنا أوكّل بتتبع ما انطوى عليه نفسا لاترى الحظ إلا ما اقتنته منه ، ولا تعدّ الفضل إلا فيما أخذته عنه ، وأمتع بتأمله عيناً لا تقر إلا بمثله ، مما يصدر عن يدك ، ويرد من عندك ، وأعطيه نظراً

---

(١) الأنوار : جمع نور بفتح النون وهو نوار الزهر

(٢) كان ابن العميد امام الكتاب فى عصره حتى قيل فيه :

بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد . توفى سنه ٣٦٠ بعدأن تولى كثيرا من المناصب العالية

لا يملُّه ، وطرفا لايطرف دونه ، وأجعله مِثالاً أرتسمه وأحتذيه ، وأمتع خُلقي بروتقه ، وأغذّى نفسي ببهجته ، وأمزج قريحتي برقته ، وأشرح صدرى بقراءته ولئن كنت عن تحصيل ماقلتَه عاجزا ، وفي تعديد ما ذكرتَه متخلفا، لقد عرفت أنه ما سمعت به من السحر الحلال »

وقال بعض المحَدثين يمدح كاتباً

واذا جرى قلم له فى مُهْرَقٍ * عَجْلانَ فى رَفَلاَنِه ووجيفهِ[1]
نظمت مراشفه قلائد نُظّمَت * بنفيس جوهر لفظه وشريفهِ
بدْعاً من السحر الحلال تولّدت * عن ذهن مصقول الذكاء مَشُوفهِ[2]
مَثَلاً لضاربهِ وزاد مسافرٍ * جُعِلت وتحفة قادم لأليفهِ

وصف رجل نبيل

وعلى ذكر قوله وتحفة قادم قال اسحاق بن ابراهيم الموصلى : وصف رجل رجلا فقال : (كان والله سَمْحاً سَهْلا ، كأنما بينه و بين القلوب نَسب، أو بينه و بين الحياة سَبَب ، انما هو عيادة مريض ، وتحفة قادم ، وواسطة عِقد)

كلمة تهديد

وأخذ بعض بنى العباس رجلا طالبياً فهم بعقوبته ، فقال الطالبي : والله لولا أن أفسد دينى بفساد دنياك لملكتُ من لساني أكثرَ مما ملكتَ من سَوْطك، والله ان كلامى لفوق الشعر ، ودون السّحر ، وان أيسره ليثقب الخردل ويحط الجندل

(١) المهرق بفتح الراء : الصحيفة والجمع مهارق — عجلان : مسرع — الرفلان : السير فى تبختر — والوجيف : السير السريع (٢) المشوف : المجلو

حلاوة الحديث

وقال على بن العباس[1] يصف حديث امرأة

وحديثُها السحرُ الحلالُ لو أنهُ * لم يَجْنِ قتل المسلم المتحرِّزِ[2]

إن طال لم يُملَلْ وان هى أوجَزَتْ * ود المحدث أنها لم تُوجِزِ

شَرَكُ العقول ونزهة ما مثلها * للمطمئنّ وعُقْلَةُ المستوفِزِ[3]

ألمَّ فى بيته الآخر بقول الطائى

كَواعِبُ أترابٌ لغيداءَ أصبحتْ * وليس لها فى الحسن شَكْلٌ ولا تِربُ[4]

لها منظرٌ قَيْدُ النواظِرِ لم يَزَلْ * يرُوحُ ويغدو فى خَفَارَتِه الُحبُّ[5]

وأول من استثار هذا المعنى امرؤ القيس بن حُجر الكِنْدى فى قوله

وقد أغتدِى والطير فى وُكُناتِها * بمنجردٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيكلِ[6]

وقالت عُلَيّة بنت المهدى

أَشرَبْ على ذكر الغزال * الأغيدِ الحلو الدَّلالْ

اشرب عليه وقل له * يا غُلَّ ألباب الرجال[7]

---

(١) هو ابن الرومى المتوفى سنة ٢٨٣ (٢) المتحرز: المتحفظ (٣) الشرك: الفخ — العقلة: العقال — المستوفز: المستعجل — والشاعر يذكر أن حديث هذه المرأة نزهة للمطمئن وعقال لمن يهم بالانصراف — وفى كتاب «أفنان الجمال» روائع من الشعر فى حلاوة الحديث (٤) الكواعب: جمع كاعب وهى الفتاة تكعَّب ثديها، أى نتأ كالكعب — أتراب: خدينات، وتاربت الفتاة الفتاة: خادنتها، قال كثير

تتارب بيضا إذا استلعبت كأُم الظباء ترف الكباثا

وقد يراد بالأتراب الشبيهات فى السن والحسن — والغيداء: الناعمة

(٥) قيد النواظر: هو للنواظر كالقيد — الخفارة: الحماية (٦) الوكنات جمع وكنة وهى العش، والمنجرد الفرس سقط شعره من الضمور، والأوابد الوحوش النافرة، والهيكل الضخم (٧) الغل: هو الطوق يوضع فى عنق الأسير

علية بنت المهدى

وكانت علية لطيفة المعنى ، رقيقة الشعر ، حسنة مجارى الكلام ، ولها ألحان حسان ، وعلقت بغلام اسمه رشا ، وفيه تقول

أضحى الفؤاد بزينبا * حباً كئيباً متعبا
فجعلت زينب سترةً * وكتمت أمراً معجبا

فنمى الأمر إلى أخيها الرشيد ، فأبعده ، وقيل قتله

وعلقت بعده بغلام اسمه طل ، فقال لها الرشيد : والله لئن ذكرته لأقتلنك! فدخل عليها يوما على حين غفلة وهى تقرأ : فان لم يصبها وابل فما نهى عنه أمير المؤمنين ، فضحك وقال : ولا كل هذا[1] وهى القائلة

يا عاذلى قد كنتُ قبلك عاذلا * حتى ابتليتُ فصرت صباً ذاهلا
الحب أول ما يكون مجانةً * فاذا تحكّم صار شغْلا شاغلا[2]
أرضَى فيغضب قاتلى فتعجّبوا * يرْضي القتيل ولا يُرضِّى القاتلا

والقائلة

وُضع الحب على الجوْر فلو * أنصف المعشوق فيه لسَمُجْ[3]
ليس يُستحسَنُ فى نعْتِ الهوى * عاشق يُحْسِنُ تأليف الحجج

وكأنها ذهبت فى الأول إلى قول العباس بن الأحنف

وأحسن أيام الهوى يومك الذى * تُروَّعُ بالهجران فيه وبالعتْبِ
إذا لم يكن فى الحب سُخْطٌ ولا رضى * فأين حلاوات الرسائل والكُتْب

---

(١) انظر غرام النساء بالنساء فى كتاب « مدامع العشاق » لتقابل صور الفساد فى المدنية القديمة بصوره فى المدنية الحديثة (٢) المجانة : العبث (٣) سمج : قبح

وقد زاد النميري في هذا فقال

راحتي في مقالة العذَّال * وشفائي في قيلهم بعد قال

لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب * لصبٍّ إلا بخمس خصال

بسماع الأذى وعذل نصيحٍ * وعتابٍ وهجرةٍ وتقالِ (١)

وقال بعض المحدثين

لولا اطّراد الصيد لم تك لذةٌ * فتطاردي لي في الوصال قليلا (٢)

هذا الشراب أخو الحياة وماله * من لذة حتى يصيب غليلا (٣)

وقال آخر

دع الصب يَصْلى بالأذى من حبيبه * فان الأذى ممن تُحب سُرورُ (٤)

غُبارُ قطيع الشاء في عين ذئبها * اذا ما تلا آثارهنّ ذَرُورُ (٥)

وأنشد الأصمعي (٦)

لا خير في الحبِّ وقفاً لا تحركه * عوارض اليأس أو يرتاحه الطمع

لو كان لي صبرها أو عندها جزعي * لكنت أملك ما آتي وما أدَعُ

اذا دعا باسمها داعٍ ليحزنني * كادت له شُعْبة من مهجتي تقع (٧)

لا أحمل اللوم فيها والغرام بها * لا حمل الله نفساً فوق ما تسعُ

وهذا البيت كقول علي بن العباس الرومي

لا تكثرنّ ملامةَ العشاق * فكفاهمُ بالوجد والأشواقِ

إن البلاء يطاقُ غير مضاعفٍ * فاذا تضاعفَ كان غير مُطَاق

(١) التقالي: التباغض (٢) اطراد الصيد: جريه (٣) الغليل: الظمأ الشديد

(٤) يصلى: يحترق (٥) الذرور: هو الملح يذر على اللحم والفلفل يوضع على الثريد وهو كذلك الدواء في العين. والمراد أن غبار الشاء في عين الذئب هو كالتوابل توضع على الطعام.

(٦) هو عبد الملك بن قريب ونسب إلى جده أصمع نشأ بالبصرة وأخذ عن فصحاء البادية واتصل بالرشيد توفي سنة ٢١٦ (٧) شعبة: قطعة

لا تُطْفِئَنّ جوىً بلوم إنهُ * كالريح تُغْرى النارَ بالإحراق

ويشبه بيتَ عُلية الآخر بيت أنشد فى هذا من شعر رُوِىَ لأبى نواس ورواه قوم لعنان جارية الناطفى (١) وهو

حُلو العتاب يَهيجهُ الادلالُ * لم يَحْلُ إلا بالعتاب وصالُ

لم يَهْوَ قطُّ ولم يُسَمّ بعاشق * من كان يصرف وجهه التَّعْذالُ (٢)

وجميع أسباب الغرام يسيرةٌ * ما لم يكن غدرٌ ولا استبدالُ

تصف القضيب على الكثيب قناتُها * ولها من البدر المنير مثالُ

ولربّ لابسة قناع ملاحةٍ * حسناء سار بحسنها الأمثالُ

كَسَتِ الحداثةُ ظَرْفَها وجمالها * نوراً فماء شبابها يختال (٣)

وكأنها والكأسُ فوق بنانها * شمسٌ يمدُّ بها إليك هلال

حتى إذا ما استأنست بحديثها * وتكلمت بلسانها الجِرْيال (٤)

قلنا لها إن صدّقت أقوالها * أفعالها وجرى بهنّ الفال

قولى فليس تراك عينُ نميمة * حَضَرَ النصيح وغابت العذالُ

وضمير ما اشتملت عليه ضلوعنا * سِرٌّ لدى أبوابه أقفال

قيد الاوابد

وقد أخذ أبو الطيب المتنبى معنى قيد الأوابد فقال يصف كلباً:

نيلُ المُنى وحكم نفس المُرْسِلِ * وعُقْلة الظبى وحتف التَّتْفُلِ (٥)

كأنه من علمه بالمَقْتَلِ * علّمَ بقْراط فِصَادَ الأكْحَلِ (٦)

(١) الناطفى رجل من أهل بغداد، وعنان شاعرة ماجنة سمع بها الرشيد فاشتراها بعد أن غالى بها سيدها ولها أخبار كثيرة مع أبى نواس توفيت فى نحو سنة ٢٠٠

(٢) التعذال: اللوم ومثله العذل (٣) يختال يترقرق (٤) الجريال: الخمر، يريد الشاعر ان يصف تلك الحسناء بعدم التحرز فى الحديث وقد لعبت برأسها الصهباء

(٥) التتفل: الثعلب. وفي النسخ القديمة (المتقل) وهو تصحيف (٦) بقراط:

وقال فى بنى حمدان

مُتَصَعْلِكِينَ على كثافةِ ملكهم * متواضعين على عظيم الشانِ (١)

يتقيّلون ظِلال كل مُطَهَّمٍ * أَجَلِ الظليمِ ورِبقةِ السِّرحان (٢)

وقال أعرابى يصف فرساً : انه لدَرَكِ الطالب ، ومنجى الهارب ، وقيد الرهان . وزين الفِناء .

وقال بعض أهل العصر فى وصف غلام :

(وجهه قيد الأبصار ، وأمد الأفكار ونهاية الاعتبار)

وقال أبو القاسم اسماعيل بن عباد (٣)

وقد أغتدى للصَّيد غُدْوَةَ أصْيَدٍ * أُعاجِلُ فيها الوحشَ والوحشُ هُجَّدُ (٤)

فعنَّتْ ظِباءٌ خفن تحتىَ مطْلَقَ الـ يدين به أيدى الوحُوش تُقَيَّدُ (٥)

فأدركتها والسيف لمعة بارق * ولم يغْنِها إحضارها حين تجهدُ (٦)

وقد رُعتها إذ كان شَعْرِىَ رائعاً * وطَرْفُ مشيبى عن عِذارىَ أرمَدُ (٧)

وما بلغتْ حدَّ الثلاثين مدّتى * وهذا طِراز الشيب فيه يُمَدَّدُ (٨)

---

(١) متصعلك : متظاهر بالفقر . والكثافة : الضخامة (٢) مطهم : مضمر دقيق الجسم — الظليم : ذكر النعام، والربقة: الرباط ، والسرحان الذئب — والمعنى أنهم يتقيلون ظلال كل جواد فى عدوه أجل الظليم وقيد الذئب (٣) هو الصاحب بن عباد المشهور المتوفى سنة ٣٨٥ (٤) الأصيد: من يرفع رأسه كبرا من كبار الأطباء القدماء ، والأ كحل عرق فى اليد (٥) عنت : عرضت ، ومطلق اليدين وصف للفرس بالسرعة

(٦) الاحضار : نوع من السير ، وتجهد : تتعب (٧) أرمد : كليل البصر ، يريد أن الشيب لم يسم ببصره الى عذاره

(٨) الطراز : الموضع الذى تنسج فيه الثياب الجياد

عود الى حلاوة الحديث

وأبيات ابن الرومى من أجود ما قيل فى حسن الحديث ، وقد توسع الشعراء فى هذا الباب وكثر إحسانهم ، كما كثر افتنانهم ، وسأجرى شأواً فى مختار ماقيل فى ذلك وأعود إلى ما بدأت به . قال القَطامى واسمه عُمَيْر بن شُيَيم التغلَبى (١) وسمى القطامى لقوله

يَحُطُّهنَّ جانباً فجانباً * حطّ القطامىّ القطا القواربا (٢)

وقال أبو عبيدة ويقال للصقر قطامى وقطامى

وفى الخُدورِ غمامات برقْنَ لنا * حتى تصيّدْننا من كل مُصطادِ
يَقتلننا بحديث ليس يعلمه * من يتّقين ولا مكنونه بادِ (٣)
فهنَّ ينبذْنَ من قول يُصِبنَ به * مواقع الماء من ذى الغُلّة الصادى (٤)

وقال أبو حية النميرى واسمه الهيثم بن الربيع

وخبَّركِ الواشون أن لن أحبكم * بلى وستُورِ الله ذات المحارمِ
وإن دماً ــ لو تعلمين جنيتهِ (٥) * على الحيّ جانى مثلِهِ غيرُ سالمِ
أصدُّ وما الصدُّ الذى تعلمينهُ * عزاءٌ بنا إلا ابتلاع العلاقمِ (٦)

---

(١) فى النسخ القديمة (الثعلبى) وهو تحريف (٢) القوارب : طالبات الماء .

(٣) يتقين : يخفن ــ باد: ظاهر (٤) مواقع الماء من الظمآن كناية عن الاحشاء والمراد أن حديثهن يشفى الصب المغرم كما يطفىء الماء لوعة الغليل !

(٥) لوتعلمين جملة معترضة ولو هنا للتمنى (٦) العلاقم : جمع علقم ، وهو الحنظل وكل شىء مر . ورواية المبرد .

أصد وما الصد الذى تعلمينه شفاء لنا الا اجتراع العلاقم

والاجتراع مصدر اجترع الماء ابتلعه

حياءً وتُقْيا[١] أن تشيعَ نميمةٌ * بنا وبكم أفٍّ لأهل النمائم[٢]

أما إنه لو كان غيركَ أرقلَتْ * إليه القنا بالراعفات اللهاذمِ[٣]

ولكنه واللهِ ما طَلَّ مُسْلِماً * كغُرِّ الثنايا واضحات الملاغمِ[٤]

إذا هنَّ ساقَطْنَ الأحاديث للفتى * سِقاطَ[٥] حصَى المرْجان من كفِّ ناظمِ

رَمَيْن فأنفذْنَ القلوب[٦] ولا ترى * دماً مائِراً إلا جرى في الحيازمِ[٧]

وقال أيضاً :

حديثٌ إذا لم تخش عيناً كأنهُ * إذا ساقطتهُ الشَّهد أو هو أطيبُ

لوَ أنك تستشفي به بعد سكْرَةٍ * من الموت كادتْ سكرة الموت تذهبُ

إلى هذا يتطرق قول الآخر وان لم يكن منه :

أقول لأصحابي وهم يعذُلونني * ودَمْعُ جُفُوني دائم العَبَرات

بذكر منًى نفسي فبلُّوا إذا دنا * خروجي من الدنيا جُفُوفَ لهَاتي[٨]

وقال سُدَيف مولى بني هاشم يصف نساء

وإذا نطقن تخالُهنَّ نواطقا * دُرًّا يُفصَّلُ لُؤلؤاً مكنونا

---

(١) تقيا : خوف، ورواية المبرد بقيا (٢) أف لأهل النمائم : تبا لهم ! (٣) أرقلت : أسرعت — الراعفات والرواعف : الرماح تسيل الرُّعاف بضم الراء وهو الدم — اللهاذم : القواطع والمفرد لهذم على وزن جعفر (٤) الغر : البيض — الملاغم : هي طرف الانف وما حوله الى الشفتين ، والوضوح : البياض والاشراق . وطل : من قولهم دم مطلول اذا مضى هدرا . وأثبت هذا البيت في النسخ القديمة هكذا .

ولكنه والله ما ظل مسلما لغر الثنايا واضحات الملاغم

وهو تحريف . ورواية المبرد « ولكن لعمر الله » الخ والكاف فاعل « طل » في قوله « ماطل مسلما كغر الثنايا »

(٥) هذه رواية المبرد، وفي الاصل « سقوط » (٦) أنفذن القلوب : من قولهم رميته فأنفذته اذا أنفذت فيه السهم . ورواية المبرد « اقصدن القلوب » بمعنى اصبنها من قولهم قصدت الرجل اذا طعنته فلم تخطىء مقاتله (٧) مائر : سائل — الحيازم جمع حيزوم وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر (٨) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق —

وإذا ابتسمن فإنهن غمامةٌ * أو أُقحُوان الرمل بات مَعِينا[1]
وإذا طَرَفن طرفن عن حدَق المها * وفضَلْنَهنّ محاجراً وجفونا[2]
وكأن أجياد الظباء تَمُدُّها * وخُصُورهنّ لطافةً ولُدُونا[3]
وأصحّ ما رأتِ العيون محاجراً * ولهنّ أمرضُ ما رأيتُ عيونا
وكأنهنَّ إذا نهضن لحاجةٍ * ينهضن بالعقُدات من يَبْرينا[4]

وقال الطائى[5]

تُعطيكَ منطقِها فتعلم أنهُ * لجَنَى عذُوبتِه يمرُّ بثغرِها
وأظُنُّ حَبْل وصالها لمحبها * أوهى وأضعف قوّةً من خصرها

أخذه أبو القاسم بن هانىء[6] فقال يمدح جعفر بن على ، إلا أنه قلبه

قد طيّبَ الأفواهَ طِيبُ ثنائِه * من أجل ذا نجد الثغورَ عِذَابا

وهذا البيتان من الشعر الرائع وفى معناها عقد فصل ممتع فى (مدامع العشاق) عنوانه : لوعة الشوق — فليرجع اليه القارىء إن شاء (١) الاقحوان : زهر ابيض تشبه به الثغور الناصعة البياض — والمعين : المطور ، والمطر يزيد الزهر نضرة

(٢) طرفن : حركن عيونهن — والمها : الغزلان (٣) الاجياد : جمع جيد بكسر الجيم وهو العنق ، واللدون واللدونة بضم اللام : الرقة (٤) العقدات : جمع عقدة وهى السفح والكثيب ، ويبرين : اسم مكان من اصقاع البحرين ، يقول فيه ابو زياد الكلابى

أزاك الى كثبانِ يبرينَ صبةً   وهذا لعمرى لو قنعتَ كثيبُ
وان الكثيب الفرد من ايمن الحمى   الى وان لم آته لحبيب

(٥) نسبة شاذة الى طيءٍ ، وكلما ذكر « الطائى » فالمراد أبو تمام ، وهو شاعر فحل من شعراء الدولة العباسية . ولد فى جاسم ، وهى قرية قريبة من دمشق سنة ١٩٠ للهجرة ونقل صغيرا الى مصر ، وأقام بها مدة يسقى الماء فى جامع عمرو . ثم رحل الى مقر الخلافة بعد أن نبغ فى الشعر والادب فاتصل بالمعتصم ووزيره محمد بن الزيات ، ثم ولاه الحسن بن وهب بريد الموصل فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٣١ . وله ديوان شعر مطبوع وهو مؤلف ديوان الحماسة .

(٦) محمد بن هانىء من أكبر شعراء الاندلس وأشهرهم . وكان يسمى «متنبى الغرب» لجزالة شعره وقوة عارضته ، وهو صاحب الكافية المشهورة التى يقول فى مطلعها :

وكأنما ضَرَبَ السماء سُرادِقاً * بالزَّاب أو رفع النجومَ قِبابا[1]
أرضاً وطئت الدُّرَّ رَضْراضاً بها * والمسك تُرباً والرياض جَنابا[2]

وقال الطائى :

بسطت إليك بنانةً أُسْرُوعا * تصف الفراقَ ومُقْلَةً ينبوعا[3]
كادت لعِرفان النوى ألفاظُها * من رِقة الشكوى تكون دُمُوعا

ومن جيِّد هذا المعنى وقديمه قول النابغة الذبيانى[4]

لو أنها عرَضتْ لأشمطَ راهبٍ * عبدَ الالَه صَرُورةٍ متعبِّد[5]
لرنا لِبَهجتها وطيب حديثها * ولخالَهُ رُشداً وان لم يَرْشُدِ
نظرتْ اليك بحاجةٍ لم تقضها * نظرَ السَّقيم الى وجوه العُوَّدِ[6]

ومن مشهور الكلام قول الآخر :

وكنتُ إذا ما زرت سعْدَى بأرضها * أرى الأرض تُطوى لى ويدنو بعيدها
مِنَ الخَفِراتِ البيض وَدَّ جليسُها * إذا ما انقضت أُحدوثةٌ لو تُعيدُها[7]
تَحَلَّلُ أحقادى إذا ما لقِيتُها * وتُرْمَى بلاجُرْمٍ علىَّ حُقودُها[8]

فتكات لحظك أم سيوف أبيك   وكؤوس خمر أم مراشف فيك

توفى سنة ٣٦٢ بعد أن جاب كثيراً من الاقطار واتصل بكثير من الرؤساء . أما جعفر بن على ممدوحه فقد توفى سنة ٣٦٤

(١) الزاب : من اعمال افريقية (٢) الرضراض والرضرض : صغار الحصى

(٣) الاسروع دود أحمر الرأس تشبه به الانامل المخضبة (٤) شاعر جاهلى صحب النعمان ابن المنذر وأجاد القول في الاعتذار

(٥) الاشمط : من يخالط بياض شعره سواد — صرووة . وصارورة . وصرور : لم يتزوج . للواحد والجمع (٦) العود : جمع عائد . والمراد أنها تنظر بتكسر وفتور كما ينظر السقيم الى وجوه العواد — انظر (سحر العيون) فى كتاب أفنان « الجمال »

(٧) الخفرات : من الخفر بفتحتين : وهو الحياء

(٨) تحلل : تتحلل وتذوب — والاحقاد والحقود جمع حقد ، والجرم : الذنب

وقال بشار :

وكأنَّ رَجْعَ حديثها * قِطَعُ الرِّياض كُسِينَ زَهْرا

حَوراء إن نظرتْ اليـ * ـك سقتك بالعينين خَمْرا[1]

تُنسى الغويّ معادَهُ * وتكون للحكماء ذِكرا

وكأنها برد الشرا * ب صفا ووافق منك فِطْرا[2]

وكأن تحت لسانها * هاروتَ ينفثُ فيه سِحْرا

وتخال ما جُمِعتْ عليـ * ـه ثيابُها ذهباً وعِطْراً[3]

وسمع بشار قول كُثيِّر بن عبد الرحمن[4]

ألا إنما ليلى عصا خيزُرانةٍ * اذا غمزُوها بالأكُفِّ تلين

فقال : قاتل الله أبا صخر ! يزعم أنها عصا ويعتذر بأنها خيزرانة ، ولو قال عصا مُخ أو عصا زِبد ، لكان قد هجَّنَ مع ذكر العصا ، هلاّ قال كما قلت

ودعجاء المحاجر من مَعَدٍّ * كأنّ حديثها ثمر الجِنان[5]

إذا قامت لحاجتها تثنّت * كأن عِظامها من خيزُرانِ

وبعد قول كثير : (ألا إنما ليلى عصا خيزرانة) :

تمتَّعْ بها ما ساعفتك ولا يكنْ * عليك شجًى فى الصدْرِ حين تَبينُ

وإن هى أعطتك اللِّيان فإنها * لآخرَ من خُلاّنها ستلينُ

وإن حلفَتْ لا ينقض النأيُ عهدَها * فليس لمخضوب البنانِ يمين

وقال البحترى :

ولما التقينا واللِّوى موعدٌ لنا * تعجّب رائى الدُّر حُسْناً ولاقِطُهْ

فمن لؤلؤٍ تجنيهِ عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تُساقطُهْ

---

(١) حوراء : من الحور بفتحتين ، وهو شدة بياض بياض العين مع شدة سوادسوادها
(٢) فى الاصل (وافق فيه قطرا) والذى اثبتناه اوفق (٣) يصف جسمها بأنه قطعة من الذهب والعطر (٤) هو كثير عزة المتوفى سنة ١٠٥ (٥) دعجاء : حوراء

وقال المتنبي :

أَمنعمةٌ بالعَوْدة الظبيةُ التى * بغير وَلِىٍّ كان نائلُها الوَسْمِى [1]

ترشَّفْتُ فاها سُحْرةً فكأننى * ترشّفتُ حَرَّ الوجد من بارِدِ الظَّلْم [2]

فتاةٌ تَساوَى عِقدها وكلامها * ومَبْسِمُها الدُّرِّىُّ فى النثر والنظم

الشعر والبيان

عاد الحديث الأول، قال أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجى حدثنا يوسف بن يعقوب قال : أخبرنى جدى قراءةً عليه عن أبى داود عن محمد بن عبيد الله عن أبى اسحق عن البراء يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

إن من الشعر لحِكَما ، وإن من البيان لسحراً

قال أبو القاسم هكذا روينا الخبر ، وراجعت فيه الشيخ فقال : نعم هو « ان من الشعر لحكما » بضم الحاء وتسكين الكاف ، قال: ووجهه عندى إذا روى هكذا : إن من الشعر ما يلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه ، إصابة للمعنى وقصداً للصواب ، وفى هذا يقول أبو تمام:

ولولاَ سبيلٌ سنَّها الشعر ما دَرَى * بُغاةُ العلى من أين تُؤتَى المكارم [3]

يُرَى حكمةً مافيه وهو فُكاهةٌ * ويُرْضَى بما يَقضى به وهو ظالم

انتهى كلام أبى القاسم *

وقد وجدنا فى الشعر أبياتاً يُجرى على رسمها ، ويُمضى على حكمها . فقد كان بنو آنف الناقة إذا ذكر أحد عند أحد منهم أنف الناقة فضلا عن أن ينسبهم

---

(١) الوسمى : المطر الاول والولى المطر الذى يليه

(٢) الظلم بفتح الظاء الثغر ، قال كعب بن زهير

تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت * كأنه منهل بالراح معلول

وفى أساس البلاغة : الظلم كأنه ظلمة تركب متون الاسنان من شدة الصفاء

(٣) البغاة : الطلاب . وفى الاصل « بغاة الندى » وما اثبتناه ادق

اليه ، اشتد غضبهم عليه ، فما هو إلا أن قال الحُطَيئة[١] يمدحهم

سِيرى أمامَ فان الأكثرين حصًى * والأطيبين اذا ما يُنْسَبُون أبا
قومٌ اذا عقدوا عَقْداً لجارِهمُ * شدّوا العَناج وشدوا فوقه الكَرَبا[٢]
قوم همُ الأنفُ والأذناب غيرهُمُ * ومن يُسوِّى بأنف الناقة الذنَبا ؟

فصار أحدهم اذا سئل عن انتسابه لم يبدأ إلا به

عبد الله بن كعب

وأنف الناقة هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن زيد مناة بن تميم ، وكان بنو العجلان يفخرون بهذا الاسم ، ويتشرّفون بهذا الوَسْم ، إذ كان عبد الله بن كعب جدّهم إنما سمى العجلان لتعجيله القِرى للضيفان : وذلك أن حيًّا من طيءٍ نزلوا به ، فبعث اليهم بِقِراهم عَبْداً له ، وقال له اعجل عليهم ، ففعل العبد فأعتقه لعجلته ، فقال القوم ما ينبغى أن يسمى الا العجْلان ، فسمى بذلك فكان شرفا لهم ، حتى قال النجاشى واسمه قيس بن عمرو بن مالك بن حزن ابن الحارث بن كعب يهجوهم

أولئكَ أخوال اللّعين وأسْرةُ الـهجين ورَهْط الواهن المتذللِ[٣]
وما سمى العجلان إلا لقولِهِ * خذالقَعْبَ واحْلُب أيها العبدواعجلِ

فصار الرجل منهم اذا سئل عن نسبه قال كعبى ، ويكنى عن العجلان

---

(١) هو جرول ابن اوس ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ، كان سليط اللسان لم يكديسلم من هجائه أحد ، وقد سجنه عمر بن الخطاب لذلك ، توفى نحوسنة ٣٠

(٢) العناج : حبل الدلو وزمام الناقة . والكرب أيضا من حبال الدلو ، والمراد أنهم اذا عقدوا عقداً ربطوه بحبل بعد حبل ، وهذا كناية عن وثاقة العهد

(٣) الاسرة والرهط بمعنى القوم ، والهجين : غير الشريف ، والواهن : الضعيف

حكومة عمر فى الشعر

وزعمت الرواة أن بنى العجلان استَعْدَوْا [(١)] على النجاشى لما قال هذا الشعر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقالوا هجانا ، قال : وما قال فيكم ؟ فأنشدوه قوله

إذا الله عادى أهل لؤم ورِقّةٍ * فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبلِ

فقال إن الله لا يعادى مسلما ، قالوا فقد قال

قُبيِّلَةٌ لا يغدرون بذمّةٍ * ولا يظلمون الناسَ حبّةَ خَرْدَلِ [(٢)]

فقال: وددت أن آل الخطاب كانوا كذلك ! قالوا فقد قال :

تعاف الكلابُ الضارياتُ لُحومَهُمْ * وتأكل من عوف بن كعب بن نهشلِ

فقال : كفى ضَياعًا مَن تأكل الكلاب لحمه !

قالوا فقد قال :

ولا يَردون الماء الا عشيةً * إذا صدر الوُرّادُ عن كلّ مَنْهَلِ [(٣)]

فقال : ذلك أصفى للماء ، وأقل للزحام !

قالوا فقد قال :

وما سمِّىَ العجلان الا لقوله * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجلِ

فقال : سيد القوم خادمهم !

وكان عمر رضى الله عنه أعلم بما فى هذا الشعر ولكنه درأ الحدود بالشبهات [(٤)]

جمرات العرب

وهؤلاء بنو نمير بن عامر بن صعصعة من القوم أحد جمرات العرب وأشرف بيوت قيس بن عيلان بن مُضر . وجمرات العرب ثلاثة : وإنما سموا بذلك لأنهم

---

(١) استعانوا واستنصروا (٢) قبيلة تصغير قبيلة . وفى الاصل قبيلته وهو تحريف . والمعنى أنهم لا يقدرون لضعفهم على ظلم أحد (٣) يريد أنهم لايستطيعون ورود الماء إلا اذا انصرف عنه الناس (٤) هذا الحديث رواه ابن رشيق فى العمدة بشىء من التفصيل فليراجع هناك

يتوافرون فى أنفسهم ، لم يدخلوا معهم غيرهم ، والتجمير فى كلام العرب التجميع ، وهم بنو عامر و بنو الحارث بن كعب ؛ و بنو ضبة بن أد . فطفئت جمرتان وهما بنو ضبة لأنها حالفت الرباب ، و بنو الحارث لأنها حالفت مَذحِج ، و بقيت نمير لم تحالف ، فهى على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم اذا قيل له ممن أنت ، قال : نميرى كما ترى ! إدلالاً بنسبه ، وافتخاراً بمنصبه ، حتى قال جرير ابن الخطفى لعُبَيد بن حصين الراعى أحد بنى نمير بن عامر

فغُضَّ الطرف انك من نُميرٍ * فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

كعب وكلاب ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة . فصار الرجل منهم اذا قيل له: ممن أنت ؟ يقول عامرى ، ويكنى عن نمير

انتقام امرأة

ومرّت امرأة بقوم من بنى نمير فأحدّوا النظر اليها فقال منهم قائل : والله انها لَرشْحَاء[1] فقالت:يا بنى نمير والله ما امتثلتم فىّ واحدة من اثنتين ، لا قول الله عز وجل : «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» ولا قول الشاعر : « فغضّ الطرف انك من نمير » البيت

تعريض قادح

وسايَرَ شُرَيك بن عبد الله النميرى يزيد بن عمر بن هُبيرة الفزارى ، فبرزت بغلة شُريك[2] فقال له يزيد : غضّ من لجامها ، فقال : إنها مكتوبة أصلح الله الأمير ، فضحك ، وقال : ما ذهبت حيث أردت ، وانما عرّض بقوله غضّ من لجامها بقول جرير * فغض الطرف انك من نمير * فعرض له شريك بقول ابن دارة

لا تأمَنَنَّ فزاريًّا خلوتَ بهِ * على قَلُوصِكَ واكتبها بأسيارِ[3]

---

(١) رشحاء : كثيرة العرق ، وذلك من عيوب النساء

(٢) برزت : سبقت (٣) اكتبها : مأخوذ من الكتبة بضم الكاف وسكون الباء.

و بنو فزارة يُرمون بإتيان الابل ، ولذلك قال الفرزدق ليزيد بن عبد الملك. لما ولّى عمر ابن هبيرة [1] العراق

أميرَ المؤمنين لَأنْتَ مَرْءٌ * أمينٌ ليس بالطمِع الحريصِ
أوَلّيتَ العراق ورافِدَيْهِ * فزاريا أحذَّ يد القميص [2]
ولم يك قبلها راعى مخاضٍ * ليأمنَهُ على ورِكَىْ قَلُوصِ [3]
تفهّق بالعراق أبو المثنّى * وعلَّم قومهُ أكل الخبيصِ [4]

الرافدان : دجلة والفرات

دفع شعر جرير

وقال بعض النميريين يجيب جريرا عن شعره

نميرٌ جمرة العرب التي لم * تزل فى الحرب تلتهب التهابا
وانى إذ أسُبُّ بها كليباً * فتحت عليهم للخَسف بابا
ولولا أن يقال هجا نميراً * ولم نسمع لشاعرهم جوابا
رغبنا عن هجاء بنى كليبٍ * وكيف يشاتم الناس الكلابا

فما نفع نميرا ، ولا ضرّ جريرا ، بل كان كما قال الفرزدق

ما ضرّ تَغلِب وائلٍ أهجوتها * أم بُلْت حيث تناطح البحرانِ

وهو سير يكتب به حياء الناقة لئلا ينزى عليها . وكتب الناقة يكتبها بكسر التاء وضمها فى المضارع ختم حياءها (١) عمر بن هبيرة الفزارى أمير من الدهاة الشجعان ولاه عمر بن عبد العزيز الجزيرة فأقام فيها الى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك فولاه امارة العراق وخراسان . توفى نحو سنة ١٩٠

(٢) أحذ ، مقطوع ، ومقطوع يد القميص كناية عن السارق (٣) القلوص الناقة ، والخوف على وركى الناقة كناية عن الخوف عليها من أن يأتيها الفزارى ! (٤) تفهق : عاش عيشة الترف — الخبيص: طعام يعمل من التمر والسمن

وقال أبو جعفر محمد بن منذر مولى بنى صبير بن يربوع فى هجائه لثقيف

وسوف يزيدكم ضَعَةً هجائى * كما وضع الهجاء بنى نميرِ

وسمع الراعى (١) منشدا ينشد

وعاوٍ عوى من غير شىء رميتُه * بقافيةٍ أنفاذُها تقطر الدما (٢)

خَروجٍ بأفواه الرواة كأنها * فَرَى هندوانىّ اذا هُزَّ صمَّمَا (٣)

فارتاع له ، وقال : لمن هذا ؟ قيل لجرير ، قال لعن الله من يلومنى أن يغلبنى مثل هذا !

فضل الشعر

وقد بنى الشعر لقوم بيوتا شريفة ، وهدم لآخرين أبنية منيفة

وماهو إلا القول يسْرى فتغتدى * له غُرَرٌ فى أوجهٍ ومواسِمُ

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى (٤) : سمعت أبا عَمْرو بن العلاء، ورجل يقول : إنما الشعر كالمِيسَم (٥) فقال : وكيف يكون ذلك كذلك ، والميسم يذهب بذهاب الجلد ، ويدْرس مع طول العهد ، والشعر يبقى على الأبناء ، بعد الآباء ، ما بقيت الأرض والسماء ! — والى هذا نحا الطائى فى قوله

وانى رأيت الوَسْمَ فى خُلُق الفتى * هو الوَسْم لا ما كان فى الشَّعْرِ والجلدِ

وقال عمر رحمة الله عليه : تعلموا الشعر ، فان فيه محاسن تبتغى ، ومساوىء تتقى . وقال أبو تمام

إن القوافىَ والمساعى لم تزلْ * مثل النظام اذا أصاب فريدا

(١) الراعى هو عبيد بن حصين النميرى شاعر فحل كان يفضل الفرزدق على جرير فهجاه جرير واستمر بينهما العداء. توفى نحو سنة ٩٠

(٢) أنفاذ : جمع نفذ بفتحتين وهو الشق تحدثه الطعنة النافذة (٣) الهندوانى السيف والفرى : الشق والصدع ، وصمم : اصاب المفصل وقطعه (٤) كان من أبصر الناس بعلوم اللغة العربية توفى سنة ٢٠٩ (٥) الميسم : المكواة

هى جوهرٌ نثرٌ فان ألَّفته * فى الشعر كان قلائداً وعقودا
من أجل ذلك كانت العرب الأُلى * يدعون هذا سؤدداً مجدودا
وتَنِدُّ عندهم العلى الا اذا * جُعِلَت لها مِرَرُ القصيد قيودا (١)

وقال على بن الرومى:

أرى الشعر يُحيي الناس والمجد بالذى * تُبقِّيه أرواحٌ له عَطِرَاتُ
وما المجد لولا الشعر الا معاهدٌ * وما الناس الا أعظمٌ نَخِرَاتُ

شذور من كلام الرسول

رجعت إلى ماقطعت، بما هو أحق وأولى، وأجل وأعلى، وهو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: الكريم النَّجْر (٢)، العظيم القدر، الذى هو النهاية فى البيان، والغاية فى البرهان، المشتمل على جوامع الكلم، وبدائع الحكم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أفصح العرب، بَيْدَ أنى من قريش، واسترُضعت فى سعد بن بكر! وليس بعض كلامه بأولى من بعض بالاختيار، ولا أحق بالتقديم والإيثار؛ ولكنى أورد ماتيسر منه فى أول هذا الكتاب استفتاحا، وتيمناً بذلك واستنجاحا، .وهذه شذور من قوله صلى الله عليه وسلم الصريح الفصيح، العزيز الوجيز، المتضمن بقليل من المبانى، كثير المعانى، قوله للانصار:

— إنكم لتقلون عند الطمع، وتكثرون عند الفزَع

وقوله عليه السلام: المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على مَن سواهم.

— الناس كإبل مائة لاتجد فيها راحلة.

— إياكم وخضراء الدِّمن (٣).

(١) المرر: جمع مرة بكسر الميم وهى إحكام الفتل، وتند: تنفر وتشرد (٢) النجر: الأصل
(٢) الدمن: جمع دمنة وهى مربط الابل والخيل ينبت فيها النبات فيكون رائع الخضرة لكثرة الماء والسماد، وخضراء الدمن كناية عن المرأة الوسيمة تدرج من بيت السوء

— كل الصيد فى جوف الفَرا [١] . قاله لأبى سفيان بن حرب .

— الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام إذا فقهوا .

— المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

— أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

— المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور .

— المرأة كالضلع ان رُمْتَ قِوامها كسرتها [٢] وان داريتها استمتعت بها .

— اليد العُليا خير من اليد السفلى .

— مَطْل الغنى ظلم .

— يد الله مع الجماعة .

— الحياء شُعبة من الايمان .

— مَثَل أبى بكر كالقطر ، أينما وقع نفع .

— لا تجعلونى فى أعجاز كتبكم كقدَح الراكب [٣] .

— أربعة من كنوز الجنة : كتمان الصدقة والمرض والمصيبة والفاقة .

— جنة الرجل داره .

— الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا .

— كفى بالسلامة داء .

— إنكم لن تسَعوا الناس بأموالكم ، فسَعوهم بأخلاقكم .

— ماقلّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى .

— كلٌّ مُيسَّر لما خلق له .

— اليمين حِنث أو مندمة . [٤]

---

(١) الفرا : حمار الوحش ، (كل الصيد فى جوف الفرا) مثل ، ومعناه أن من نال الأمر العظيم كان خليقا أن ينسى ما سواه مما ينال الناس (٢) القوام بالكسر : التقويم (٣) الأعجاز : الأواخر (٤) الحنث بكسر الحاء : الذنب ، والمعنى أنك حين تقسم تقع بين الذنب أو الندم

— دع ما يريبك إلى مالا يريبك .
— انصر أخاك ظالماً كان أو مظلوماً.
— احترسوا من الناس بسوء الظن .
— الندم توبة .
— انتظار الفرج عبادة .
— نعم صومعة الرجل بيته .
— المستشير مُعان والمستشار مؤتمن .
— المرء كثير بأخيه .
— إن للقلوب صدأ كصدإ الحديد ، وجلاؤها الاستغفار .
— اليوم الرّهان وغداً السِّباق ، والجنة الغاية .
— كل من في الدنيا ضيف ، وما في يده عارية ، والضيف مرتحل ، والعارية مؤدّاة

ومن جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام ما رواه أهل الصحيح عن علقمة بن وقّاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ماهاجر إليه ! »

قال أبو القاسم حمزة بن محمد الكناني سمعت أهل العلم يقولون ، هذا الحديث ثُلث الاسلام ، والثلث الثاني ما رواه النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الحلال بيِّن ، والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات ، فمن تركها كان أوفى لدينه وعرضه ، ومن واقعها كان الراتع حول الحمى ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه [1] »

---

(١) الحمى : الشيء المحمى الممنوع

قال والثالث ما رواه مالك بن شهاب عن على بن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مِن حُسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه .

شعراء الرسول

وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر وأثاب عليه وندب حسان بن ثابت اليه (١) ، وقال : إن الله ليؤيده بروح القدس ما نافحَ عن نبيه (٢) ولما انتهى شعر أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب إلى النبي صلى الله عليه وسلم شقّ عليه (٣) فدعا عبد الله بن رواحة (٤) فاستنشده فأنشده فقال : أنت شاعر كريم ، ثم دعا كعب بن مالك فاستنشده فانشده . فقال : انت تحسن صفة الحرب . ثم دعا بحسان بن ثابت فقال : أجب عنى ، فأخرج لسانه فضرب به أرنبته (٥) ثم قال والذى بعثك بالحق ما أحب أن لى به مِقْوَلا فى معَد ، ولو أن لسانا فرى الشّعر لفراه (٦) ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَمَسّ من أبى سفيان ، فقال : وكيف و بينى وبينه الرّحم التى قد علمت ! فقال أسلّك منه كما تُسل الشعرة من العجين ! فقال اذهب إلى أبى بكر، وكان أعلم الناس بأنساب قريش ، وسائر العرب ، وعنه أخذ جبير بن مطعم علم النسب ، فمضى حسان اليه فذكر له معايبه ، فقال حسان بن ثابت

وإن سنام المجد من آل هاشم * بنو بيت مخزوم ووالدُك العبدُ
ومَن ولَدَتْ أبناء زهرةَ منهمُ * كرامٌ ولم يقرب عجائزَك المجدُ (٧)
ولستَ كعباسٍ ولا كابن أمهِ * ولكن لئيمٌ لا يقوم له زَند (٨)

---

(١) ندب : دعا (٢) نفح : دافع (٣) شق عليه : عظم عليه (٤) عبد الله بن رواحة صحابى يعد فى الأمراء والشعراء الراجزين . كان يكتب فى الجاهلية . شهد العقبة وبدرا واحدا . واستخلفه النبى على المدينة فى إحدى غزاوته . توفى سنة ٨

(٥) الأرنبة طرف الأنف (٦) يفرى الشعر : يمحوه ، ومحو الشعر كناية عن غاية الايذاء (٧) العجائز : جمع عجوز (٨) الزند : موصل طرف الذراع فى الكف

وإن امرءًا كانت سُمَيَّةُ أُمَّهُ * وسَمْراءُ مغمورٌ اذا بلغ الجَهْدُ(١)

وأنت زنيمٌ نِيطَ فى آل هاشم * كما نِيطَ خَلْفَ الراكب القدحُ الفَرْدُ(٢)

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان قال : هذا كلام لم يغب عنه ابن أبى قحافة ، يعنى ببنى بيت مخزوم عبد الله وأبا طالب والزبير بن عبد المطلب بن هاشم أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وأخواتهم برة وأميمة والبيضاء وهى أم حكيم والبيضاء جدة عثمان بن عفان أم أمه وقوله (ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام) يعنى أميمة وصفية أم الزبير بن العوام أمهما هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة . وقوله (ولست كعباس ولا كابن أمه) أم العباس نُتيلة امرأة ابن جعفر بن واسط وأخوه لأمه ضرار بن عبد المطلب . وقوله (وان امرأ كانت سمية أمه وسمراء) سمية أم أبى سفيان ، وسمراء أم أبيه ، وليس هذا موضع إطناب فى رفع الانساب

وكان عبد الأعلى بن عبد الرحمن الأموى عتب على بعض ولد الحارث فقال له مُعرِّضا بما قال حسان

إخالُ بالعمِّ وبالجدِّ * مفتخِراً بالقَدَح الفَرْدِ(٣)

الْهَجْ بحسان وأشعارِهِ * فانها أَدْعَى الى المَجْدِ

لولاسيوف الأزد لم تؤمنوا * ولم تُقيموا سُورَةَ الحمدِ

فتوعّدوه فخافهم ، فقال :

بنى هاشم عفواً عفا الله عنكمُ * وان كان ثوبى حَشْوُ ثنييهِ مُجرِمُ

لكم حَرَمُ الرحمن والبيت والصَّفا * وجَمْعٌ وما ضمَّ الحطيم وزمزمُ

فان قلتمُ بادَهْتَنَا بعظيمةٍ * فأحلامكم منها أجلُّ وأعظمُ

---

(١) الجهد : التعب . وبلوغه شدته ، وهذا كناية عن السعى للمجد ، والمغمور = الخامل (٢) زنيم : دعى معلق بمن ليس منه . ونيط بكسر النون : علق

(٣) إخال بكسر الهمزة : أظن ، والمعنى : أظنك مفتخرا بالقدح الفرد

أبو سفيان

وأسلم أبو سفيان رحمه الله وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنَين ، وكان ممسكا بلجام بغلته حين فرّ الناس ، وهو أحد الذين ثبتوا ، وهم على ما ذكره أبو محمد عبد الملك ابن هشام: أبو بكر وعمر وعلى والعباس وأبو سفيان بن الحارث وابنه والفضل و ربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد، قتل يومئذ ، وبعض الناس يعد فيهم قُثَم بن العباس ولا يعد ابن أبى سفيان

وكان أبو سفيان من أشعر قريش وهو القائل

لقد عَلِمَتْ قريشٌ غير فخرٍ * بأنّا نحن أجوَدُهم حِصَانا
وأكثرهم دروعاً سابغاتٍ * وأمضاهم اذا طعنوا سنانا [(١)]
وأدفعهم عن الضرّاء عنهم * وأبينهم إذا نطقوا لسانا

شعر كعب بن مالك

ويروى أن ابن سيرين قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره قد شنق ناقته بزمامها ، حتى وضعت رأسها عند مقدمة الرحل ، إذ قال : يا كعب ابن مالك ، احدبنا ! فقال كعب :

قضينا من تِهامة كل حقٍ * وخيبرَ ثم أجممنا السيوفا [(٢)]
نخيّرها ولو نطقت لقالت * قواطعهنّ دَوسا أو ثقيفا

فقال عليه السلام : والذى نفسى بيده لهى أشد عليهم من رشق النبل ! ويقال إن دوسا أسلمت فرَقا [(٣)] من كلمة كعب هذه [(٤)] ، وقالوا : اذهبوا فخذوا لأنفسكم الأمان ، من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم !

---

(١) سابغات : طويلة ضافية (٢) أجممنا : أرحنا (٣) فرقا : خوفا (٤) كان كعب بن مالك جيد الشعر حتى قال روح بن زنباع : أشجع بيت وصف به رجل قومه قول كعب :

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا   يوما ونلحقها إذا لم تلحق

وكانت وفاته سنة ٥٥

قصة النضر بن الحارث

وقتل النبي صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث وكان ممن أُسِر يوم بدر وكان شديد العداوة لله ولرسوله ، وقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه صبرا [١] فعرضت للنبي صلى الله عليه وسلم أخته قُتَيلة بنت الحارث . وفي بعض الروايات أن قتيلة ابنته [٢] فأنشدته

يا راكباً إن الأثيلَ مظِنةٌ * من صبح غاديةٍ وأنت موفّق

أبلغ بها ميتاً بأن تحية * ما إن تزال بها النجائب تَعنَق [٣]

منّي اليه وعَبرة مسفوحة * جادت بواكفها وأخرى تخنُق [٤]

هل يسمعنّي النضر ان ناديتهُ * إن كان يسمع ميِّت لا ينطق

ظلّت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحامٌ هناك تشقّق [٥]

قسراً يقاد الى المنية متعباً * رَسفَ المقيد وهو عانٍ مَوثق [٦]

أمحمدٌ ها أنت صِنوُ كريمةٍ * في قومها والفَحْلُ فحلٌ مُعْرِق [٧]

ما كانَ ضَرَّكَ لو مننتَ وربما * منّ الفتى وهو المغيظُ المُحنَق [٨]

فالنضر أقرب مَنْ قتلت قرابةً * وأحقهم ان كان عِتق يُعتقُ

أو كنت قابلَ فديةٍ فَلَيُفْدَيَنْ * بأعزِّ ما يُغلي به من ينفقُ

فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها ودمعت عيناه ، وقال لأبي بكر : لو كنت سمعت شعرها ما قتلته !

والنضر هذا هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف

(١) صبراً : حبسا (٢) في الاصل «أتته» وهو تحريف (٣) تعنق : من العنق، بفتحتين ، وهو السير الحثيث (٤) الواكف : الدائم الجريان (٥) تنوشه : تناله بالطعن (٦) قسرا : قهرا — والرسف : مشي المقيد — عان : أسير — موثق : مقيد (٧) صنو : ابن — معرق : أصيل (٨) من : صفح ، والمحنق : المملوء بالغيظ

ابن عبد الدار [١] قال الزبير بن بكار [٢] وسمعت بعض أهل العلم يغمز فى أبيات قتيلة بنت الحارث و يقول إنها مصنوعة

وفاة رسول الله

ودخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبى عليه السلام وهو مُسجًّى بثوب [٣] فكشف عنه الثوب وقال : بأبى أنت وأمى ! طِبْتَ حياً وطبت ميتاً ، وانقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فعظُمْتَ عن الصفة ، وجللت عن البكاء ، وخصصت حتى صرت مسلاة ، وعممت حتى صرنا فيك سواء ، ولولا أن موتك كان اختياراً منك ، لجدنا لموتك بالنفوس ، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشؤون [٤] ، فأما مالا نستطيع نفيه عنا فكمد و إدناف [٥] يتحالفان ولا يبرحان ، اللهم فأبلغه عنا السلام ، اذ كرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك ، فلولا ما خلَّفت من السكينة لم نقُم لما خلَّفت من الوحشة ،اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا . ثم خرج

قوله رضى الله عنه (لولا أن موتك كان اختياراً منك) انما يريد قول النبى صلى الله عليه وسلم : لم يقُبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخيَّر . قالت عائشة رضى الله عنها فسمعته وقد شخص بصره وهو يقول : فى الرفيق الأعلى ! فعلمت أنه خُيِّر ، فقلت لا يختارنا إذَن ، وقلت هو الذى كان يحدثنا ، وهو صحيح

وكان أبو بكر لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرضه بالسُّنح [٦] فتواترت اليه الرسل فأتى وقد ذهل الناس ، فكانوا كالخرس ، وتفرقت أحوالهم ،

(١) كان النضر حامل لواء المشركين ببدر فأسره المسلمون وقتلوه بعد انصرافهم من الواقعة (٢) ولد الزبير بن بكار بالمدينة وولى قضاء مكة فتوفى فيها سنة ٢٥٦

(٣) مسجى : مغطى (٤) الشئون : عروق الدمع (٥) الادناف :المرض الثقيل

(٦) السنح : بضم السين وسكون النون موضع قرب المدينة وكان بهمنزل أبى بكر رضى الله عنه

واضطربت أمورهم ، فكذب بعضهم بموته ، وصمت آخرون فما تكلموا إلا بعد التغير ، وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان ، (١) وحق لهم ذلك للرزية العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التي هى بيضة العُقْر (٢) ، ويتيمة الدهر ، ومدى المصائب ، ومنتهى النوائب ، فكل مصيبة بعدها جَلَلٌ عندها (٣) ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لتعزّ المسلمين فى مصائبهم المصيبة بى

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ممن كذب بموته وقال : ما مات وليرجعنّه الله فليقطعن أيدى المنافقين وأرجلهم ، يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ، وانما واعده ربه كما واعد موسى وهو يأتيكم

وأما عثمان رضى الله عنه فكان ممن أخْرِس ، فجعل لا يكلم أحداً ، يُؤْخَذُ بيده ويُجاء به فينقاد

وأما على رضى الله عنه فلبط بالأرض (٤) فقعد ولم يبرح البيت حتى دخل أبو بكر وهو فى ذلك جَلْد العقل والمقالة (٥) فأكب عليه ، وكشف عن وجهه ، وقبّل جبينه وبكى بكاء شديداً وقال الكلام الذى قدّمته ، ولما خرج إلى الناس وهم فى شديد غَمَراتهم ، وعظيم سَكَراتهم ، قام فخطب خطبة جُلها الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم قال فيها أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع ،

---

(١) لاثوا : خلطوا (٢) بيضة العقر : مثل للحادث الذى يندر أن يتكرر ، وهى في الاصل بيضة الدجاجة التى لا تبيض بعدها . وفى الأصل (بيضة العصر) وهو تحريف (٣) جلل : من أسماء الأضداد ويطلق على الأمر العظيم كما يطلق على الامر الصغير ، ومن أمثلة إطلاقه على الأمر الخطير قول الشاعر

قومى همو قتلوا أميم أخى فاذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لأعفون جللا ولئن ضربت لأوهنن عظمى

(٤) لبط بالأرض ، ولبط به : سقط من قيام كأنما صرع . والعبارة الثانية بصيغة المفعول (٥) جلد : ثابت

وأن الحديث كما حدّث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين ، فى كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حىّ لا يموت ، وان الله قد تقدّم اليكم فى أمره ، فلا تدَعُوه جزعا ، وان الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم ، وقبضه الى ثوابه ، وخلّف فيكم كتابه ، وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر ، يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ، ويفتننكم عن دينكم ، فعاجلوه بالذى تُعجزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم ، فلما فرغ من خطبته قال : ياعمر ! بلغنى أنك تقول مامات نبى الله ، أما علمت أنه قال فى يوم كذا وكذا وفى يوم كذا وكذا قال الله تبارك وتعالى : إنك ميت وإنهم ميتون ، فقال عمر والله لكأنى لم أسمع بها فى كتاب الله قبل مانزل بنا ، أشهد أن الكتاب كما نزل ، وان الحديث كما حدث ، وأن الله حىّ لا يموت ، وإنا لله وإنا اليه راجعون ! ثم جلس إلى جنب أبى بكر رحمه الله قالت عائشة رضوان الله عليها لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نَجَم النفاق [١] ، وارتدت العرب ، وكان المسلمون كالغنم الشاردة ، فى الليلة الماطرة ، فحمل أبى مالو حملته الجبال لهاضها [٢] فوالله إن اختلفوا فى مُعظم الأذهب بحظه ، ورشده ، وغَنائه ، وكنت إذا نظرت إلى عمر علمت أنه انما خُلِقَ للاسلام فكان والله أحوذيا نسيج وحده [٣] قد أعد للأمور أقرانها . وحدث أبو بكر بن دريد عن عبد الاول بن مزيد قال حدثنى فى مجلس يزيد بن هارون [٤] بالبصرة قال لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم دُفِن ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم ، ورجعت فاطمة إلى بيتها ، فاجتمع اليها نساؤها فقالت

---

(١) نجم : نشأ (٢) هاضها : دكها وحطمها (٣) أحوذى : حاذق قاهر للامور لايشذ عليه شىء (٤) يزيد بن هرون من حفاظ الحديث الثقات ، كان يهابه المأمون توفى بواسطه سنة ٢٠٦

اغبرّ آفاق السماء وكُوِّرت * شمس النهار وأظلم العصرانِ (١)
فالأرض من بعد النبي كئيبةٌ * أسفاً عليه كثيرة الرجفان (٢)
فليبكهِ شرقُ البلاد وغربُها * وليبكه مُضَرٌ وكل يمانى
وليبكه الطُّور المعظّم جوُّهُ * والبيت ذو الأستار والأركانِ
ياخاتم الرسل المبارك ضوءهُ * صلى عليك منزل الفُرْقان (٣)

مناقب أبى بكر

وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا أُثنى عليه يقول : اللهم أنت أعلم بي من نفسى ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، فاجعلنى خيراً مما يَحْسَبُون ، واغفرلى برحمتك مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون . وقال رضى الله عنه فى بعض خطبه : إنكم فى مَهَل ، من ورائه أجل ، فبادروا فى مَهَل آجالكم ، قبل أن تنقطع آمالكم ، فتردكم إلى سوء أعمالكم .

وذكر أبو بكر الملوك فقال : إن الملك إذا مَلَكَ زهّده الله فى ماله ، ورغّبه فى مال غيره ، وأُشْرِب قلبه الإشفاق ، فهو يسخط على الكثير ، ويحسد على القليل ، جَذْل الظاهر ، حزين الباطن ، حتى إذا وجبت نفسه (٤) ونضب عمره ، وضَحَا ظله (٥) ، حاسبه الله فأشد حسابه ، وأقل الأنصار عنه عقوبة

وذكر أنه وصل إلى أبى بكر مال من البحرين ، فساوى فيه بين الناس ، فغضبت الأنصار ، وقالوا له : فضلنا ! فقال أبو بكر : صدقتم ، إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتموه للدنيا ، وان صبرتم كان ذلك لله عز وجل ! فقالوا . والله ما عملنا الا لله تعالى ، وانصرفوا . فرقى أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : يامعشر الأنصار ان شئتم أن تقولوا إنا آويناكم

(١) كورت : سقطت (٢) الرجفان : الاضطراب (٣) الظاهر أن هذه الابيات مصنوعة (٤) وجبت نفسه : فاضت روحه ، ونضب : نفد (٥) ضحا ظله : مات

فى ظلالنا ، وشاطرناكم فى أموالنا ، و نصرناكم بأنفسنا ، لقلتم ، وان لكم من الفضل مالا يحصيه العدد ، وان طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طُفيل الغَنَوى (١)

جزى الله عنا جعفراً حين أُزْلقت ☆ بنا نعلنا فى الوَاطئين فزلَّتِ (٢)

أبوا أن يملُّونا ولو أن أمنا ☆ تلاقى الذى يلقون منا لملَّتِ (٣)

هُمُ أسكنونا فى ظِلال بيوتهم ☆ ظِلالَ بيوت أدفأتْ وأظلَّتِ

فقر من كلام رضى الله عنه :

— صنائع المعروف تقى مصارع السوء .

— الموت أهون مما بعده ، وأشد مما قبله .

— ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة .

— ثلاث من كُنَّ فيه كُن عليه : البغى ، و النكث ، والمكر .

— إن الله قرن وعده بوعيده ، ليكون العبد راغبا وراهبا .

رثاء أبى بكر

ولما توفى رضى الله عنه وقفت عائشة على قبره فقالت : نضَّر الله وجهك يا أبت ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مُذلاً بادبارك عنها ؛ وللآخرة مُعزا باقبالك عليها ، ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعِد بحسن الصبر عنك حسنَ العوض منك ، وأنا أستنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأستقضيه بالاستغفار لك ، أما لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا فلقد قمت بأمر الدين لمَّا وهى شَعبه (٤)

---

(١) شاعر جاهلى من الشجعان كان من أوصف الشعراء للخيل عاشر النابغة الجعدى وزهير بن أبى سلمى ومات نحو سنة ١٣ ق هـ (٢) زلت : سقطت (٣) هذا البيت غاية الغايات فى وصف المواساة والبر الموصول (٤) وهى شعبه : تفرق شمله ، قال الطرماح « شتَّ شعب الحى بعد التئام »

وتفاقم صدعه (١) ورجفت جوانبه (٢) ، فعليك سلام الله توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك (٣) .

وقال أبو بكر لبلال لما قُتل أمية بن خلف وقد كان يسومه سوء العذاب بمكة فيخرجه الى الرمضاء (٤) فيلقى عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الاسلام فعصمه الله من ذلك.

هَنيئاً زادك الرحمن خيراً ☆ فقد أدركت ثارك يابلالُ
فلا نِكساً وُجدت ولا جباناً ☆ غداة تَنوشك الأسلُ الطوال (٥)
اذا هاب الرجال ثبتّ حتى ☆ تخالطَ أنت ما هاب الرجال
على مَضَض الكُلُوم بمشْرفيٍّ ☆ جلا أطرافَ متنيه الصقّال (٦)

عمر بن الخطاب

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابنه عبد الله : أما بعد فانه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ومن أقرضه جزاه ، فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فانه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا جديد لمن لا خَلَقَ له

ودخل عدى بن حاتم على عمر فسلّم وعمر مشغول فقال : يا أمير المؤمنين ! أنا عدى بن حاتم ! فقال : ما أعرفنى بك! آمنتَ إذ كفروا ، ووفَيت إذ غدروا ، وعرفت إذ أنكروا ، وأقبلت إذ أدبروا !

وقال رجل لعمر : من السيد ؟ قال الجواد حين يُسأل ، الحليم حين يُستجهل ،

(١) تفاقم صدعه : اتسع كسره ، والصدع فى الأصل كسر الزجاجة

(٢) رجفت : اضطربت (٣) زارية : عاتبة (٥) الرمضاء : هي الحجارة التى اشتد عليها وقع الشمس فحميت ، قال الشاعر

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

(٥) النكس : الرذل ، والأسل : الرماح (٦) الكلوم : الجروح ، والمشرفى : السيف

الكريم المجالسة لمن جالسه ، الحسن الخلق لمن جاوره . وقال رضى الله عنه :
— ما كانت الدنيا همّ رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال : فقر لا يدرك غناه ، وهمّ لا ينقضى مداه ، وشغل لا ينفد أوله ، وأمل لا يبلغ منتهاه

فصول قصار من كلام رضى الله عنه :

— من كتم سره كان الخيار فى يده .
— أشقى الولاة من شقيت به رعيته.
— أعقل الناس أعذرهم للناس .
— ما الخمر صِرفاً [(١)] بأذهب لعقول الرجال من الطمع .
— لا يكن حبك كَلَفا ، ولا بغضك تَلَفا .
— مُرْ ذوى القرابات أن يتزاوروا، ولا يتجاوروا .
— قلما أدبر شىء فأقبل .
— أشكو إلى الله ضعف الأمين ، وخيانة القوى .
— تكثّروا من العيال فانكم لا تدرون بمن تُرزقون .
— لو أن الشكر والصبر بعيران ما باليت أيهما أركب .
— من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .
— وقال معاوية ابن أبى سفيان لصعصعة بن صوحان: صف لى عمر بن الخطاب. فقال : كان عالما برعيته ، عادلا فى قضيته ، عارياً من الكبر ، قَبُولا للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريا للصواب ، رفيقاً بالضعيف ، غير محاب للقريب ، ولا جافٍ للغريب

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حج فلما كان بضَجْنان [(٢)] قال: لا إله إلا الله العلى العظيم ، المعطى من شاء ما شاء ، كنت بهذا الوادى فى مَدْرعة

(١) الخمر الصرف : الخالصة (٢) ضجنان : جبل قرب مكة

صوف أرعى إبل الخطاب ، وكان فظاً يتعبنى اذا عملت ، ويضربنى إذا قصرت وقد أمسيت الليلة ليس بينى وبين الله أحد ، ثم تمثل

لاشيء مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويودى المال والولد[1]
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له * والجن والانس فيما بينها ترد
أين الملوك التى كانت نوافلها * من كل أوب إليها وافد يفد[2]
حوض هنالك مورود بلا كذب * لابد من ورده يوماً كما وردوا

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم فتح مكة :

ألم تر أن الله أظهر دينه * على كل دين قبل ذلك حائد[3]
وأسلبه من أهل مكة بعد ما * تداعوا إلى أمر من الغى فاسد
غداة أجال الخيل فى عرصاتها * مسومة بين الزبير وخالد[4]
فأمسى رسول الله قد عز نصره * وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام[5] حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد بن الوليد. سيف الله تعالى فى الأرض[6]

بكاء عمر

ولما قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل زوجته ترثيه

عين جودى بعبرة ونحيب * لا تملى على الأمين النجيب

---

(١) يودى : يذهب (٢) الأوب: الجهة (٣) حائد : مائل (٤) مسومة : وضعت عليها العلامات (٥) الزبير بن العوام أحد المبشرين بالجنة وأول من سل سيفه فى الاسلام ، كان طويلا جداً اذا ركب تخط رجلاه الارض . توفى سنة ٣٦

(٦) توفى خالد بن الوليد سنة ٢١

فجعتنى المنون بالفارس المُعْ * لَم يوم الهَياج والتثويب [١]

عصمة الناس والمعين على الدهـ * ـر وغيث المحروم والمحروب [٢]

قل لأهل الضَّراء والبؤس موتوا * قد سقته المنون كأس شَعوب [٣]

وقالت أيضاً ترثيه :

وفجّعنى فَيْرُوز لادرَّ درّهُ * بأبيضَ تالٍ للكتاب مُنيبِ

رؤوفٍ على الأدنى غليظٍ على العدى * أخى ثقة فى النائبات نجيبِ

متى ما يقل لا يكذب القولَ فعلهُ * سريع إلى الخيرات غير قَطوبِ

عاتكة بنت زيد

وعاتكة هذه هى أخت سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وكانت تحت عبد الله بن أبى بكر ، فاصابه سهم فى غزوة الطائف فمات منه ، فتزوجها عمر رضى الله عنه فقُتل عنها ، فتزوجها الزبير ابن العوام فقُتل عنها ؛ فكان على رضى الله عنه يقول : من أحب الشهادة الحاضرة فليتزوّج بعاتكة

عثمان بن عفان

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

— ما يَزَع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن [٤]

— سيجعل الله بعد عسر يسرا ، و بعد عِىّ بيانا ؛ وأنتم إلى إمام فعّال ، أحوج منكم الى امام قوّال : قاله فى أول خلافته وقد صعد المنبر واُرتجَ عليه [٥]

وكتب الى على رضى الله عنه وهو محصور : أما بعد فقد بلغ السيل الزُّبى

---

(١) الفارس المعلم هو الذى علق عليه صوف ملون فى الحرب ، والتثويب : الدعاء

(٢) المحروب : المسلوب (٣) شعوب : هي المنية ، لأنها تشعب الشمل وتبدده

(٤) يزع : يزجر ويردع (٥) أرتج عليه باب الكلام : اغلق

وتجاوز الحزام الطُّبيين [(١)] وطمع فيّ من لا يدفع عن نفسه ، ولم يُعجزك كلئيم ، ولم يغلبك كمغلَّب [(٢)] فأقبل اليّ ، معي كنت أو عليّ ، على أيّ أمرَيْكَ أحببت

فان كنتُ مأكولاً فكن أنتَ آكلى * وإلاّ فأدركنى ولما أمزّق

وهذا البيت للمزق العبدى ، وبه سمى الممزق واسمه شأس ، وانما تمثل به عثمان رضى الله عنه . وحُذاق أهل النظر يدفعون هذا ويستشهدون على فساده بأحاديث تناقضه ليس هذا موضعها .

قالوا وكان عثمان رضى الله عنه أتقى لله أن يسعى فى أمره عليّ ، وعليّ أتقى لله أن يسعى فى أمر دم عثمان ، وهذا من قوله عليه السلام : أشقى الناس من قتله نبى أو قتل نبيا

وقد ذكر بعض أهل العلم انه لا يُعرف لعثمان شعر ، وأنشد له بعضهم

غنى النفس يغنى النفس حتى يكفّها * وان عضّها حتى يضرّ بها الفقرُ
وما عُسرَةٌ فاصبر لها إن تتابعت * بباقيةٍ إلاّ سيتبعها يسرُ

وقول عثمان رضى الله عنه فيما روى (ولم يغلبك كمغلّب) من قول امرىء القيس

فانك لم يفخر عليك كعاجز * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلّبِ

وقال أبو تمام وذكر الخمر :

وضعيفة فاذا أصابت فرصة * قتلت كذلك قدرة الضعفاءِ

على بن ابى طالب

ومن كلام على بن أبى طالب قوله رضى الله عنه : لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل ، ويقول فى الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل

(١) الزبى : جمع زبية وهى الرابية لا يعلوها ماء ، وبلوغ السيل الزبى كناية عن اشتداد الأمر — الطبى : بالضم والكسر حلمات الضرع وبلوغ الحزام الطبيين كناية أيضاً عن الشدة (٢) مغلب : غلب كثيراً . ولم يغلبك كمغلب : يستعمل في المدح والذم ،

فيها بعمل الراغبين ، إن أُعطِي منها لم يشبع ؛ وان مُنع لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أُوتى ، ويبتغى الزيادة فيما بقى ، ينهى ولا ينتهى ، ويأمر بما لا يأتى ، يحب الصالحين ولا يعمل أعمالهم ، ويبغض المسيئين وهو منهم ؛ يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ويقيم على ما يكره الموت له ، إن سقم ظل نادماً ، وان صحّ أمِنَ لاهيا ، يُعجب بنفسه اذا عُوفى ، ويقنط اذا ابتُلى ، تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن ، ولا يثق من الرزق بما ضُمن له ، ولا يعمل من العمل بما فرض عليه ان استغنى بطِرَ وفُتن ، وان افتقر قنطَ وحزِن ، فهو من الذنب والنعمة موقَر[1] ، يبتغى الزيادة ولا يشكر ، ويتكلف من الناس مالم يؤمر ، ويضيع من نفسه ما هو أكثر ، ويبالغ اذا سأل ، ويقصر اذا عمل ، يخشى الموت ، ولا يبادر الفوت ، يستكثر من معصية غيره ما يستقل أكثره من نفسه ؛ ويستكثر من طاعته ما يستقله من غيره ، فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مُداهن ، اللغو مع الاغنياء ، أحب اليه من الذكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره ، وهو يُطاع ويعصى ، ويستوفى ولا يوفى

وسئل رضى الله عنه عن مسألة فدخل مبادراً ، ثم خرج فى حذاء ورداء ، وهو يتبسم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إنك كنت اذا سئلت عن مسألة كنت فيها كالسكة المحماة[2] فقال إنى كنت حاقنا ولا رأى لحاقن[3] ثم أنشأ يقول :

إذا المشكلات تصدّين لى * كشفت حقائقها بالنظر
وان برقت فى مَخِيل الصوا * ب عمياء لا يجتليها الذكر[4]
مقنعةً بأمور الغيوب * وضعت عليها صحيح الفكر
لساناً كشقشقة الأرحَبىِّ * أو كالحسام اليمانى الذكر[5]

---

(١) موقر : مثقل (٢) السكة : الحديدة (٣) الحاقن : هو الذى احتبس بوله.
(٤) مخيل : مظنون ، وهو السحاب تخاله ماطرا لرعده وبرقه
(٥) الارحبى : الجمل ، وشقشقته : هديره

وقلباً اذا استنطقته الغيوب * أمر عليها بواهى الدرر
ولست بإمعةٍ فى الرجال * أسائل عن ذا وذا ما الخبر[1]
ولكننى ذَرِب الأصغرينِ * أبيِّن مع ما مضى ما غبر[2]

وقال معاوية رضى الله عنه لضرار الصُّدائي ياضرار ، صِفْ لى علياً ، فقال : أعفنى ياأمير المؤمنين ، قال لتصفنَّه ، فقال ، أما إذ أذنت فلابد من صفته : كان والله بعيد المدى ، شديد القُوى ، يقول فصْلا[3] ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلِّب كفه ، ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قَصُر ، ومن الطعام ماخشُن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا اذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا ، وقربه منا ، لانكاد نكلمه لهيبته ، ولانبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لايطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدُوله ، وغارت نجومه ، وقد مَثَل فى محرابه ، قابضا على لحيته ، يتململ تململ السليم ،[4] ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يادنيا اليك عنى ! غرّى غيرى ، إلىّ تعرّضتِ ، أم الىّ تشوّفت ، هيهات قد باينتك ثلاثا لارجعة لى عليك ، فعمرك قصير ، وخَطَرك حقير ، وخطبك يسير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق !

فبكى معاوية حتى أخضلت دموعه لحيته ، وقال : رحم الله أبا الحسن فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه ياضرار ؟ قال حزن من ذُبح واحدها فى حِجْرها !

وقال على رضوان الله عليه : رحم الله عبداً سمع فوَعَى ، ودُعى إلى الرشاد

---

(١) الامعة : الرجل الذى لاخطر له (٢) ذرب الأصغرين : حديد القلب واللسان
(٣) القول الفصل : هو الحق (٤) السليم : الملدوغ ، سمى بذلك تفاؤلا

فدنا، وأخذ بحُجْزة هادٍ فنجا [1] ، وراقب ربه ، وخاف ذنبه ، وقدّم خالصا ، وعمل صالحا ، واكتسب مذخوراً ، واجتنب محذوراً ، ورمى غرضا ، وأصاب عِوضا ، وكابر هواه ، وكذّب مناه ، وحذِر أجلا ، ودأب عملا ، وجعل الصبر رغبة حياته ، والتقى عُدّة وفاته ، يظهرون ما يكتم ، ويكتفى بأقل ما يعلم ، لزم الطريقة الغرّاء ، والمحجة البيضاء ، واغتنم المهل ، وبادر الأجل ، وتزوّد من العمل ☆

ولما رجع رضى الله عنه من صِفين دخل أوائل الكوفة فاذا قَبْرٌ ، فقال قبر من هذا ؟ فقيل خَبَّاب ابن الأرتّ [2] فوقف عليه وقال : رحم الله خبابا ! أسلم راغبا ، وهاجر طائعا ، وعاش مجاهداً ، وابتُلى فى جسمه أحوالا ، ولن يضيع الله أجرَ من أحسن عملا .

ومضى فاذا هو بقبور فوقف عليها وقال : السلام عليكم أهلَ الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، أنتم لنا سَلَف ، ونحن لكم تبَع ، وبكم عما قليل لاحقون ، اللهم اغفر لنا ولهم ، وتجاوز عنا وعنهم بعفوك ! طوبى لمن ذكر المعاد ، وعمل للحساب ، وقنع بالكفاف ورضى عن الله !

ثم التفت إلى أصحابه فقال : أما إنهم لو تكلموا لقالوا : وجدنا خير الزاد التقوى ☆

وذم رجل الدنيا بحضرة على رضى الله عنه فقال : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غِنى لمن تزود منها ، مهبط وحى الله ، ومُصلّى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومَتْجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمها ، وقد آذنت ببينها ، ونادت بفراقها ، وذكرت بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ، ترغيبا وترهيبا ، فيا أيها الذام لها ، المعلل نفسه

---

(١) الحجزة : الحضن ، وأخذ بحجزة فلان : استظهر به واستعانه (٢) خباب بن الارت صحابى جليل استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه فصبر إلى أن كانت الهجرة . توفى سنة ٣٧

بغرورها ؟ متى خدعتك الدنيا ، أم بماذا استذمت اليك [1] أبمصرع آبائك فى البِلى ؟ أم بمضجعَ أمهاتك فى الثرى ؟ كم مرَّضت بكفيك ، وكم عللّت بيديك ، تطلب له الشفاء ، وتستوصف الأطباء ، غداة لا ينفعه بكاؤك ولا يغنى دواؤك

فقر من كلامه رضى الله عنه :

— رأى الشيخ خير من مَشْهد الغلام [2]

— الناس أعداء ما جهلوا .

— بقية عمر المؤمن لا ثمن لها ، يدرك بها ما أفات ، ويحيى بها ما أمات .

نقل هذا الكلام بعض أهل العصر وهو أبو الفتح على بن محمد البستى [3]

بقية العمر عندى مالها ثمنٌ ☆ وان غَدَا وهو محبوبٌ من الثمن

يستدرك المرء فيها ما أفات ويحـ ☆ ـيى ما أمات و يمحو السوء بالحسَنِ

— الدنيا بالأموال ، والآخرة بالأعمال .

— لا تخافنَّ الا ذنبك ، ولا ترجوَنَّ إلا ربك .

— وجهوا آمالكم ، إلى من تحبه قلوبكم .

— الناس من خوف الذل فى ذل .

— من أيقن بالخلَف ، جاد بالعطية .

— بقية السيف أنمى عدداً وأنجب ولداً (وقد تبينت صحة ما قال فى بنيه وبنى المهلب)

— إن من السكوت ماهو أبلغ من الجواب .

---

(١) استذمت اليك : فعلت ما تذمها عليه (٢) مشهد الغلام : ما يشهده ويراه رأى العين

(٣) على بن محمد — ويقال ابن احمد كما ذكر ياقوت فى معجم البلدان — شاعر كاتب مات فى بخارى سنة ٤٠٠ وفى أبى الفتح البستى يقول عمران بن موسى :

إذا قيل أى الأرض فى الناس زينة ☆ أجبنا وقلنا ابهج الارض بستها

فلو اننى أدركت يوما عميدها ☆ لزمت يد البستى دهرا وبستها

— الصبر مطية لا تكبو ، وسيف لا ينبو [1] .

— خير المال ما أغناك ، وخير منه ما كفاك ، وخير اخوانك من واساك ، وخير منه من كفاك شره

وقال بعض أهل العصر مايشا كل هذا وهو أبو الحسن محمد بن لنكك البصرى

عَدِّيا فى زماننا ☆ عن حديث المكارم
من كفى الناس شرَّهُ ☆ فهو فى جُودِ حاتم

أبو الطيب

إنا لفى زمن ترك القبيح به ☆ من أكثر الناس إحسانٌ وإجمالُ

— إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه .

— قيمة كل امرىء ما يحسن .

ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هذه الكلمة فى كتاب البيان فقال : فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية ، كافية ، ومجزئة مغنية ، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية ، غير مقصرة عن الغاية ، وأفضل الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه ظاهراً فى لفظه ، وكأن الله قد ألبسه من ثياب الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه ، وتقوى قائله ، فاذا كان المعنى شريفا ، واللفظ بليغا ، وكان صحيح الطبع ، بعيداً من الاستكراه ، منزها عن الاختلال ، مصونا عن التكلف ، صنع فى القلوب صنيع الغيث فى التربة الكريمة . ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت من قائلها على هذه الصفة ، كساها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ، ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة [2] *

---

(١) الكبوة : السقطة ، والنبوة : عدم الاصابة . ويقولون : لكل جواد كبوة ، ولكل سيف نبوة .

(٢) انتهى المؤلف من الاستطراد الذى مضى فيه بمناسبة « قيمة كل امرىء ما يحسن » ثم عاد إلى الكلام عن على بن أبى طالب

ومن دعائه رضى الله عنه فى حروبه : اللهم أنت أرضى للرضى ، وأسخط للسخط ، وأقدر على أن تغير ما كرهت ، وأعلم بما تقدر ، لا تغلب على باطل ، ولا تعجز عن حق ، وما أنت بغافل عما يعمل الظالمون .

وقال على رضى الله عنه

لِمَنْ رايةٌ سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قَدِّمْها حُصَيْنُ تقدّما

فيوردها فى الصف حتى تردها * حياضُ المنايا تقطرُ الموتَ والدما

جزى الله قوماً قاتلوا فى لقائهم * لدى الرّوع قوما ما أعز وأكرما

وأطيب أخباراً وأفضل شيمة * اذا كان أصوات الرجال تَغَمْغُما (١)

حصين الذى ذكره هو أبو ساسان الحصين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى وكان صاحب رايته يوم صفين

ويروى عنه أنه قال بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها

أرى عِلل الدنيا علىّ كثيرةً * وصاحبها حتى الممات عليلُ

لكل اجتماع من خليلين فرقةٌ * وان الذى دُون الممات قليل

وإن افتقادى فاطماً بعد أحمد * دليل على أن لا يدوم خليلُ

ولما قتلَ عمروَ بنَ عبدود سقط فانكشفت عورته (٢) فتنحّى عنه وقال

آلى ابن عبد حين شد أليةً * وحلفت فاستمعوا من الكذّابِ (٣)

ألاّ يفرّ ولا يُملّلَ فالتقى * أسدان يضطربان كل ضِراب (٤)

اليوم يمنعنى الفرار حفيظتى * ومُصمّمٌ فى الرأس ليس بناب (٥)

---

(١) التغمغم : الصوت عند القتال

(٢) عمرو بن عبد ود فارس قريش وشجاعها فى الاسلام قتله على سنة ٥ للهجرة

(٣) آلى : أقسم ، والألية : اليمين (٤) يملل : يتقلب ، والضراب : المطاردة

(٥) الحفيظة : الحمية والغضب عند حفظ الحرمة — والمصمم : السيف لا ينبو

أعرضت حين رأيته متقطراً * كالجذع بين دكادكٍ ورَوابي[1]

وعففت عن أثوابه ولو أنني * كنت المقطَّر بزَّني أثوابي[2]

نصر الحَجَارةَ من سفاهة رأيهِ * ونصرت دين محمد بصواب[3]

لا تحسبُنَّ الله خاذل دينهِ * ونبيه يا معشر الاحزاب

فى أبيات غير هذه ، و بعض الرواة ينفيها عن على رضى الله عنه

عمرو بن عبد ود

وعمرو هذا هو ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وكان قد جزَع المزاد ، وهو موضع حفر فيه الخندق يوم الاحزاب ، وفى ذلك يقول الشاعر :

عمرو بن وُدّ كان أول فارسٍ * جزع المزاد وكان فارس يليلِ[4]

ولما صار مع المسلمين فى الخندق دعا البراز وقال :

ولقد بححت من الندا * ءِ بجمعهم هل من مُبارِزْ[5]

ووقفت إذ نكَلَ الشجا * ع بموقف البطل المُناجِز[6]

إنى كذلك لم أزل * متسرعا نحو الهزاهز[7]

ان السماحة والشجا * عة فى الفتى خير الغرائز[8]

فبرز على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : يا عمرو ! انك عاهدت الله لقريش أن لا يدعوك أحد الى خَلتين إلا أخذت إحداهما ، فقال : أجل ! قال فانى أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام ، قال ، لا حاجة لى بذلك ، قال فانى أدعوك

(١) متقطر : صريع ، والدكادك : جمع دكداك وهو الرمل المتلبد بالأرض.
(٢) بز : سلب (٣) نصر الحجارة كناية عن عبادة الأوثان (٤) جزع المزاد : اجتازه (٥) بح صوته : ضعف من كثرة النداء (٦) نكل نكص ، والمناجز : المبادر إلى القتال (٧) الهزاهز : الشدائد والحروب لأنها تهزهز الرجال.
(٨) الغرائز : الطباع ، واحدها غريزة

الى المبارزة ، فقال يا ابن أخي ما أحب أن أقتلك ! قال عليٌّ لكني والله أحب أن أقتلك ، فحمى عمرو فاقتحم عن فرسه وعرقبه (١) ثم أقبل إلى علي

فتجاولا كغمامتين تكنفت * متنيهما ريحا صباً وشمال (٢)

في موقف كادت نفوس كماته * تبتز قبل تورُّد الآجال (٣)

وعلت بينهما غبرة سترتهما فلم يَرُع المسلمين إلا التكبير ، فعلموا أن علياً قتله . ولما قُتِل عمرو جاءت أخته فقالت : من قتله ؟ فقيل علي بن أبي طالب فقالت: كفءٌ كريم ! ثم انصرفت وهي تقول :

لو كان قاتل عمرٍو غير قاتلهِ * لكنت أبكي عليه آخر الابدِ

لكنَّ قاتله من لا يُعابُ بهِ * وكان يُدْعى قديماً بيضة البلدِ

من هاشم في ذُراها وهي صاعدةٌ * إلى السماء تُميت الناس بالحسد

قوم أبى الله إلا أن يكون لهم * مكارمُ الدين والدنيا بلا أمد

يا أم كلثوم ابكيهِ ولا تدَعي * بكاءَ مُعْولةٍ حرَّى على ولد

أم كلثوم بنت عمرو بن عبد ودّ .

بيضة البلد

و بيضة البلد تمدح به العرب وتذم ، فمن مدح به جعله أصلا ، كما أن البيضة أصل الطائر ، ومن ذم به أراد أن لا أصل له . قال الراعي يهجو عدي بن الرّقاع العاملي (٤)

يامن توعَّدني جهلا بكثرته * متى تهددني بالعز والعَدَدِ

أنت امرؤ نال من عرضي وعزتهُ * كعزة العَيرِ يرعى تلعة الأسد (٥)

---

(١) عرقبه : قطع عرقوبه (٢) تجاولا: تصاولا (٣) الكماة : جمع كمي وهو الشجاع

(٤) عدي بن الرقاع شاعر كبير كان مقدما عند بني أمية . توفي سنة ٩٥

(٥) العير : الحمار ، وتلعة الأسد : الرابية التي يحميها ،وليس للحمار عزة في تلعة الأسد ، وإنما هو مثال الهوان !

لو كنت من أحد يهجى هجوتكُم * يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبى قضاعة أن ترضى لكم نسباً * وابنا نزار فأنتم بيضة البلدِ

هوان قبيلة عاملة

وقال أبو عبيدة: عاملة بن عدى بن الحارث بن مرة بن أُدد بن زياد بن يشجب يطعن فى نسبه من قحطان . ويقال هو عاملة بن معاوية بن قاسط بن أهيب فلذلك قال الراعى هذا ويقال إن جندل بن الراعى قالها . وقد قال يحيى بن أبى حفصة الاموى فى عاملة:

ولسنا نبالى نأى عاملة التى * أجدّ بها من نحو بُصرى انحدارُها
تدافعها الأحياء حتى كأنها * ثياب بدا للمشترين عوارُها
قذفنا بها لما نأت قذف حاذفٍ * بسُودٍ حصًى خفّت عليه صغارها

ويشبه قول على رضي الله عنه (وعففت عن أثوابه) قول عنترة بن شداد العبسى :

هلاّ سألتِ الخيل يا ابنة مالكٍ * ان كنت جاهلةً بما لم تعلمى
يخبرك من شهد الوقيعة أننى * أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وقال حبيب بن أوس الطائى

إن الاسودَ أسودَ الغاب همّتُها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلَبِ[١]

كلام الصحابة والتابعين

قد علقت بذيل ما أوردته ، وألحقت بطرف ما جردته ، من كلام سيد الأولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار الطيبين ، قطعة من كلام الخلفاء الراشدين ، قدمتها أمام كل كلام ، لتقدمهم على

(١) السلب : الغنيمة . ويجمع على أسلاب

الخلق ، وأخذهم بقصب السّبق [١] ، وهم كما قال بعض المتكلمين ، يصف قوما من الزهاد الواعظين : جلَوْا بكلامهم الأبصار العليلة ، وشحذوا بمواعظهم الاذهان الـكليلة ، ونبهوا القلوب من رقدتها ، ونقلوها عن سوء عادتها ، فشفوا من داء القسوة ، وغباوة الغفلة ، وداووا من العي الفاضح ، ونهجوا لنا الطريق الواضح ، وآثرت أن ألحق بعد ذلك جملة من سليم كلام الصحابة والتابعين ، رضى الله عنهم أجمعين ، وأدرج فى درج كلامهم ، وأثناء نثرهم ونظمهم ، ما التف عليه ، والتفت اليه ، وتعلق بأغصانه ، وتشبث بأفنانه ، كما تقدم ، وأخرج الى صفات البلاغات وآخذ بعد ذلك فى نظم عقود الآداب ، ورقم برود الالباب .

من كل معنى يكاد الميْت يفهمهُ * حسناً ويعبده القرطاس والقلمُ

آثار معاوية

قال معاوية بن أبى سفيان رحمه الله : أفضل ماأعطى الرجل العقل والحلم ، فاذا ذُكّر ذكَر ؛ واذا أساء استغفر ، واذا وعد أنجز .

وصف معاوية الوليد بن عُقبة [٢] فقال : انه لبعيد الغور ، ساكن الفور [٣] وإن العود من لحائه [٤] والولد من آبائه ، والله انه لنبات أصل لايخلف ، ونجل فحل لايقرف [٥]

ومرض معاوية مرضا شديداً فأرجف به مصقلة بن هبيرة وساعده قوم على

---

(١) السبق : هو السباق ، وأخذ قصب السبق كناية عن الفوز

(٢) الوليد بن عقبة شاعر شجاع توفى سنة ٦١ (٣) الغور : القعر من كل شىء ، وبعد الغور كناية عن أصالة الرأى وعمق التفكير — الفور : الغضب ، ويقال : فلان ثار ثائره ، وفار فائره ، إذا اشتد غضبه . وبنو فلان تفور علينا قدرهم ، قال الشاعر :

تفور علينا قدرهم فنديمها ونفثؤها عنا إذا حميها غلا

وسكون الفور : كناية عن الحلم (٤) اللحاء : القشر ، ومنه قولهم (لحاه الله) أى قشره ، وإذا قشر الانسان هلك ! (٥) لايقرف : من القراف بالكسر وهو داء يقتل البعير ، يريد أنه قوى متين لا تقربه الأدواء

ذلك ، ثم تماثل وهم فى إرجافهم [١] فحمل زياد مصقلة إلى معاوية وكتب إليه : « إنه يجمع مُرّاقاً من مراق العراق [٢] فيرجفون بأمير المؤمنين ، وقد حملته إليه ليرى رأيه فيه » فقدم مصقلة وجلس معاوية للناس ، فلما دخل عليه قال : ادن منى ! فدنا منه فأخذه بيده فجذبه فسقط مصقلة ؛ فقال معاوية

أبقى الحوادث من خليـ * ـلك مثل جندلة المراجم [٣]

صلبا اذا خار الرجا * ل أبلّ ممتنع الشكائم [٤]

قد رامنى الاعداء قبـ * ـلك فامتنعت عن المظالم

قال مصقلة يا أمير المؤمنين : قد أبقى الله منك ما هو أعظم من ذلك حلماً وكلأ ومرعى لأوليائك ، وسما ناقعاً لأعدائك ، كانت الجاهلية فكان أبوك سيد المشركين ، وأصبح الناس مسلمين ، وأنت أمير المؤمنين ! وقام فوصله معاوية وأذن له فى الانصراف الى الكوفة . فقيل له كيف تركت معاوية ؟ فقال : زعمتم أنه لما به [٥] والله لقد غمزنى غمزة كاد يحطمنى ، وجذبنى جذبة كاد يكسر عضواً منى !

الأحنف بن قيس

ودخل الاحنف بن قيس على معاوية وافداً لأهل البصرة ودخل معه النمر ابن قطبة وعلى النمر عباءة قَطَوَانيّة [٦] وعلى الأحنف مدرعة صوف وشملة ،

---

(١) الارجاف : الخوض فى أخبار الفتن . ومنه (والمرجفون فى المدينة) —

(٢) مراق : جمع مارق وهو الخارج على الجماعة

(٣) الجندلة : الصخرة — والمراجم : المناضل (٤) خار : ضعف — والابل : الألد الجدل — والشكائم : جمع شكيمة وهي الحديدة المعترضه فى فم الفرس ، وفلان شديد الشكيمة : أنف أبى لا ينقاد (٥) زعمتم أنه لما به : يريد زعمتم أنه ضعف لما به من السقم (٦) نسبة إلى قطوان وهو موضع بالكوفة

فلما مثَلا بين يدى معاوية اقتحمتهما عينه [١] فقال النمر : يا أمير المؤمنين ! إن العباءة لاتكلمك ، و إنما يكلمك من فيها ! فأومأ إليه فجلس . ثم أقبل على الاحنف فقال : ثم مَهْ ؟ فقال : ياأمير المؤمنين أهل البصرة عدد يسير وعَظْم كَسير مع تتابع من المُحُول [٢] واتصال من الذُّحول [٣] فالمكثر فيها قد أطرق ، والمقل قد أملق [٤] ، وبلغ منه المخنق ، فان رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير ، ويجبر الكسير ، ويسهل العسير ، ويصفح عن الذحول ، ويداوى المحول ، ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء ، ويزيل اللأواء [٥] وإن السيد من يعم ولا يخص ومن يدعو الجفلى ، ولا يدعو النقَرى [٦] ، إن أحسن اليه شكر ، وأن أُسيء اليه غفر ، ثم يكون وراء ذلك لرعيته عمادا يرفع عنهم الملمات ، ويكشف عنهم المعضلات . فقال له معاوية : ههنا يا أبا بحر ! ثم تلا (ولتعرفنهم فى لحن القول)

ومن جميل المحاورات مارواه المدائنى قال : وفد أهل العراق على معاوية رحمه الله ومعهم زياد وفيهم الأحنف فقال زياد : يا أمير المؤمنين أشخصتْ إليك أقواماً الرغبة ، وأقعد عنك آخرين العذر ، فقد جعل الله تعالى فى سعة فضلك ، ما يُجبر به المتخلِّف ، ويُكافأ به الشاخص ، فقال معاوية مرحباً بكم يامعشر العرب ، أما والله لئن فرقت بينكم الدعوة ، لقد جمعتكم الرحم ، إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم ، بأن تخير لكم بلاداً تُجتاز عليها المنازل حتى صفّاكم من الأمم كما تُصفى الفضة البيضاء من خبثها ، فصونوا أخلاقكم ، ولا تدنسوا أنسابكم ، وأعراضكم ، فان الحسَن منكم أحسن لقربكم منه والقبيح منكم

---

(١) اقتحم : احتقر (٢) المحول : جمع محل وهو الضيق (٣) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر

(٤) أملق من الاملاق وهو الفقر (٥) اللأواء : الشدة (٦) يدعو الجفلى يدعو الجماعة ، والنقرى دعوة الفرد . قال طرفة

نحن فى اللأواء ندعو الجفلى   لاترى الآدم منا ينتقر

أقبح لبعدكم عنه ! فقال الأحنف : والله يا أمير المؤمنين ما نعدم منكم نائلا جزيلا [1] ورأيا أصيلا ، ووعداً جميلا ، وأن أخاك زيادا لمتبع آثارك فينا، فنستمتع الله بالامير والمأمور، فانكم كما قال زهير ، فانه ألقى على المداحين فصول القول :

وما يكُ من خيرٍ أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبلُ
وهل ينبت الخطيَّ إلا وشيجهُ * وتُغرس إلا فى منابتها النخل [2]

شعر زهير

وهذان البيتان لزهير ابن أبي سُلْمى المزنى فى قصيدة يقول فيها

وفيهم مقاماتٌ حِسانٌ وجوهُها * وأندية ينتابها القول والفعل
على مكثريهم رزقُ من يعتريهمُ * وعند المقلِّين السماحةُ والبذلُ
سعى بعدهم قوم لكى يدركوهمُ * فلم يفعلوا ولم يُلِمُّوا ولم يألوا [3]

قال بعض أهل العلم بالمعانى : أعجب بقوله ولم يألوا ، لأنه لما ذكر السعي بعدهم ، والتخلف عن بلوغ مساعيهم ، جاز أن يتوهم السامع أن ذلك لتقصير الطالبين فى طلبهم ، فأخبر أنهم لم يألوا وأنهم كانوا غير مقصرين ، وأنهم مع الاجتهاد فى المتأخرين ، ثم لم يرض بأن يجعل مجدهم طارفا فيهم ، ولا جديداً لديهم ، حتى جعله إرثا عن الآباء ، يتوارثه سائر الأبناء ، ثم لم يرض أن يكون فى الآباء ، حتى جعله موروثا عن آبائهم ، وهذا لو تكلفه متكلف فى المنثور ، دون الموزون، لما كان له هذا الاقتدار ، مع هذا الاختصار

وكانت قريش معجبة بشعر زهير ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم :إنا قد

(١) فى الأصل « قائلا خزيلا » وأرجح انه تحريف (٢) الخطى : نسبة الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين وتنسب اليه الرماح لأنها تباع به لا لأنه منبتها — والوشيج : عروق القصب (٣) لم يألوا: لم يقصروا .

سمعنا كلام الخطباء والبلغاء وكلام ابن أبى سلمى فما سمعنا مثل كلامه من أحد. فجعلوا ابن أبى سلمى نهاية فى التجويد ، كما ترى . وذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إن من أشعر شعرائكم زهيرا ، كان لايعاظل بين الكلام (١)، ولا يتبع حُوشِيّه ، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فى الرجال

وأخذ معنى قول زهير « سعى بعدهم قوم لكى يدركوهم » طُرَيح بن اسماعيل. الثقفى (٢) فقال لأبي العباس عبد الله بن محمد بن على السفاح

قد طلب الناسُ ما بَلغتَ ولم ☆ يألوا فما قاربُوا وقد جَهِدوا (٣)
فهم ملوكٌ ما لو يروْك فان ☆ لاح لهم منك بارق خَمَدوا
تعروهمُ رِعْدَةٌ لديك كما ☆ قُرقِفَ تحت الدُّجُنَّة الصَّرِدُ (٤)
لا خوفَ ظُلم ولا قِلىً خُلُق ☆ لكن جلالاً كَساكَهُ الصمد (٥)
ما يُبقك الله للانام فما ☆ يفقد من العالمين مفتقد (٦)

وقال معاوية رحمه الله : المروءة احتمال الجريرة (٧) وإصلاح أمر العشيرة . والنُّبل الحلم عند الغضب ، والعفو عند المقدرة

فقر من كلامه رضى الله عنه

— ما رأيت تبذيراً قطّ إلا وإلى جنبه حقٌّ مُضيعٌ .
— أنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه .
— أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة .
— التسلط على المماليك من لؤم المقدرة وسوء الملكة .

(١) يعاظل : يكرر ويردد . وفى الأصل «يفاصل» وهو تحريف (٢) جهدوا : تعبوا (٣) شاعر مجيد توفى نحو سنة ١٧٠
(٤) قرقف على صيغة المفعول : أرعد — والدجنة : الظلمة — والصرد : الذى يشكو قسوة البرد (٥) القلى : البغض (٦) (ما) فى هذا البيت شرطية (٧) الجريرة : الجناية ، واحتمال الجريرة كناية عن دفع الدية لئلا يؤخذ الجانى بجنايته

وقال يحيى بن خالد : ما حَسُنَ أَدبُ رجل إلاساء أدبُ غلمانه (١)

وقال معاوية . إصلاح مافى يدك أسلم من طَلَب مافى أيدى الناس

— غضبى على من أملك ، وما غضبى على من لا أملك ؟

التهنئة والتعزية

ولما توفى معاوية رحمه الله واستُخلف يزيد ابنه ، اجتمع الناس على بابه ، ولم يقدروا على الجمع بين تهنئة وتعزية ، حتى أتى عبد الله بن همام السلولى فدخل عليه فقال :

يا أمير المؤمنين آجرك الله على الرزية ، وبارك لك فى العطية ، وأعانك على الرعية ، فلقد رُزئت عظيما ، وأُعطيت جسيما ، فاشكر الله على ما أُعطيت ، واصبر له على مارُزيت ، فقد فقدت خليفة الله ، ومُنحْت خلافة الله ، ففارقت جليلا ، ووُهبت جزيلا ، إذ قضى معاوية نحْبه ، فغفر الله ذنبه ، ووُلِّيت الرياسة ، فأُعطيت السياسة ، فأوردك الله موارد السرور ، ووفقك لصالح الأمور ، وأنشده

اصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقةٍ * واشكر حِباءَ الذى بالملك أصفاكا (٢)

لا رُزْءَ أصبح فى الأقوام نعلمهُ * كما رُزئت ولا عُقْبى كعقباكا

أصبحت والىَ أمر الناس كلهمُ * فأنت ترعاهمُ والله يرعاكا

وفى معاوية الباقى لنا خلفٌ * اذا نُعيتَ ولا نسمع بمنعاكا (٣)

يريد أبا ليلى معاوية بن يزيد ، ولى بعد أبيه شهوراً ثم انخلع عن الأمر ، فقال القائل :

« والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا »

---

(١) يظهر ان هذه الكلمة وقعت استطرادا من المؤلف ، وان كان الغرض ذكر فقر من كلام معاوية

(٢) الحباء : العطاء (٣) (لا) حرف دعاء ولذلك جزم بها الفعل الحاقا بلا الناهية

وأول من فتح الباب فى الجمع بين تهنئة وتعزية عبد الله بن همام فولجه الناس ، ومن جيد ما قيل فى ذلك قصيدة أبى تمام الطائى يمدح الواثق ويرثى المعتصم يقول فيها

ان أصبحت هضباتُ قُدْسَ أزالها * قَدَرٌ فمازالت هِضابُ شَمامِ (١)

أو يفتقد ذوالنون فى الهيجا فقد * دفع الآله لنا عن الصَّمصام

أو كنت منا غاربا غدوا فقد * رُحنا بأسمى غارب وسنام (٢)

تلك الرزية لا رزية مثلها * والقَسْم ليس كسائر الاقسام (٣)

وهذا المعنى كثير

فتن الحياة

وكان معاوية رحمه الله قد ترك قول الشعر فى آخر عمره ، فنظر يوما إلى جارية فى داره ذات خَلْق رائع ، فدعاها فوجدها بِكرا فافترعها وأنشأ يقول :

سئمتُ غوايتى فأرحتُ حلمى * وفىّ على تحمُّلىَ اعتراضُ

على أنى أجيب إذا دعتنى * ذواتُ الدّل والحَدَق المِراضُ

كلمات مأثورة

فقر لجماعة الصحابة والتابعين رضى الله عنهم

ابن عباس : الرخصة من الله صدقة فلا تردوا صدقته (٤)

— لكل داخل هيبة فابدأوا بالتحية ، ولكل طاعم حشمة فابدأوا باليمين

ابن مسعود رحمه الله : الدنيا كلها هموم فما كان منها فى سرور فهو ربح

عمرو بن العاص : من كثر إخوانه كثر غُرَماؤه

وقال : أكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم العار والنار

المغيرة بن شعبة : العيش فى بقاء الحشمة وفى كل شىء سَرَف إلا فى المعروف

---

(١) شمام : اسم جبل لباهلة (٢) الغارب : الكاهل (٣) القسم : النصيب

(٤) الرخصة : تسهيل الله للعبد فيما يخففه عليه

هذا كقول الحسن ابن سهل [١] وقد أنفق فى دخول ابنته بوران على المأمون أموالا عظيمة ، فقيل له : لاخير فى السرَف ، قال : لاسرَف فى الخير . فرد اللفظ واستوفى المعنى

مُعاذ بن جبل : الدَّين هدم الدين

زياد : ارض من أخيك إذا وُلِّيَ ولايةً بعُشْر وده قبلها

مصعب ابن الزبير [٢] : التواضع من مَصائد الشرف

الأحنف بن قيس : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات !

— وقيل له : من السيد ؟ قال : الذى اذا أقبل هابوه ، و إذا أدبر عابوه.

— وله : سرّك من دمك

— وله : من تسرّع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون

— وله : الكامل من عُدّت هفواته

وقال يزيد بن محمد المهلبى [٣]

ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلها   كفى المرء نُبْلاً أن تعد معايبهُ

الحسن البصرى : ألا تستحيون من طول مالا تستحيون !

— ابن آدم راحل إلى الآخرة كل يوم مرحلة

— ما أنصفك من كلفك إجلاله ، ومنعك ماله

— بدَنٌ لايشتكى مثل مال لايُزكَّى

— ان امرأً ليس بينه و بين آدم أب حى لمُعرِق فى الموتى

قال الطائى :

تأمَّل رويداً هل تُعَدّن سالماً * إلى آدمٍ أم هل تُعَدُّ ابنَ سالمِ

---

(١) كان وزير المأمون ومن أعلام زمانه توفى سنة ٢٣٦ بعد أن تغير عقله بمرض السوداء (٢) أحد الأبطال المشاهير وله مواقف معروفة فى التاريخ توفى سنة ٧١

(٣) كان يزيد بن محمد شاعر المتوكل وقد رثاه بعد وفاته أبلغ رثاء . توفى ببغداد سنة ٢٥٩

وقال أبو نواس :

وما الناس إلا هالك وابن هالك * وذو نسب فى الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وكان المأمون يقول : لو قيل للدنيا صِفى نفسك ما عدت هذا البيت ، وهو مأخوذ من قول مزاحم العقيلى

قضين الهوى ثم ارتمين قلوبنا * بأسهم أعداء وهن صديق

عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ما الجزع مما لابد منه ، وما الطمع فيما لا يرجى؟

— لا تكن ممن يلعن ابليس فى العلانية ويواليه فى السر

الشعبى : إنى لأستحيي من الحق إذا عرفته أن لاأرجع اليه

اهل البيت

قطعة من كلام لبنى على بن أبى طالب أهل البيت رضى الله عنهم . ولهم كلام يعرض فى حُلَى البيان ، وينقش فى فص الزمان ، ويحفظ على وجه الدهر ويفضح قلائد الدر ، ويخجل نور الشمس والبدر ، ولِمَ لايطوون ذُيول البلاغة ، ويجرُّون فُضول البراعة ، وأبوهم الرسول ، وأمهم البَتول [1] وكلهم قدغُذى بدَرّ الحكم [2] وربي فى حجر العلم

مامنهمُ إلا مردًّى بالحجى * أو مُبشَّر بالأحوذية مُؤدَم [3]

آخر :

نمته العرانينُ من هاشمٍ * الى النسب الأصرح الأوضحِ [4]

(١) البتول : لقب لمريم عليها السلام لانها انقطعت عن الزواج وظلت عذراء ، ثم قيل لفاطمة البتول تشبيها بها فى المنزلة عند الله (٢) الحكم : بضم الحاء هو الحكمة ، ومنه (وآتيناه الحكم صبيا) (٣) مردى بالحجى : اتخذ العقل رداء — الأحوذية : الحذق والخفة — وهو مبشر بالأحوذية ومؤدم : يعنى أن بشرته وأدمه أى جلده حشى بالمهارة والنشاط (٤) العرانين : الأوائل

الى نَبْعَة فرعُها فى السماء * ومَغْرِسُها فى ذُرى الأبطحِ (١)

وهم كما قال مسلم بن بلال العبدى وقد قيل له : خطب جعفر بن سليمان خطبة لم يُر أحسن منها ، فلا يُدرى أوجهه أحسن أم خطبته ، فقال : أولئك قوم بنور الخلافة يُشرِقون ، و بلسان النبوّة ينطقون ، وفيهم يقول القائل

لو كان يوجَدُ عَرْفُ مَجدٍ قبلهُم * لوجدته منهم على أميال (٢)
إن جئتَهم أبصرت بين بيوتهم * كرماً يقيك مواقف التَّسآل
نور النبوة والمكارم فيهم * متوقِّد فى الشِّيب والأطفال (٣)

وسئل سعيد بن المسيِّب : من أبلغ الناس ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال السائل : إنما أعنى من دونه ، فقال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه ، وان ابن الزبير لحسَن الكلام ، ولكن ليس على كلامه ملح . فقال له رجل : فأين أنت من على وابنه ، وعباس وابنه ؟ فقال انما عنَيت من تقاربت أشكالهم ، وتدانت أحوالهم ، وكانوا كسهام الجُعبة (٤) و بنو هاشم أعلام الأنام ، وحكام الاسلام (٥)

وصف قريش وبنى هاشم

(فصل لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى ذكر قريش وبنى هاشم)

قد علم الناس كيف كرم قريش وسخاؤها ، وكيف عقولها ودهاؤها ، وكيف رأيها وذكاؤها ، وكيف سياستها وتدبيرها ، وكيف إيجازها وتحبيرها (٦) وكيف

(١) الابطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى (٢) العرف بالفتح : الريح (٣) الشيب جمع أشيب (٤) الجعبة : الكنانة توضع فيها السهام والنشاب (٥) يلاحظ القارىء ان المؤلف لم يذكر ماسماه « قطعة من كلام لبنى على بن أبى طالب » وانما تكلم عن أهل البيت وما قيل فيهم ثم انتقل إلى الكلام عن قريش . ولكن سنرى كيف يعود إلى أبناء على بعد قليل (٦) التحسير : الكشف والاطناب والمراد وصف قريش بأنها تجيد اطالة القول حين تشاء

رجاحة أحلامها إذا خفّ الحليم ، وحدّة أذهانها اذا كَلّ الحديد (١) وكيف صبرها عند اللقاء ، وثباتها فى اللأواء (٢) وكيف وفاؤها اذا استُحسن الغدر ، وكيف جودها اذا حُب المال ، وكيف ذكرها لأحاديث غد ، وقلة صدودها عن جهة القصد (٣) وكيف إقرارها بالحق ، وصبرها عليه ، وكيف وصفها له ، ودعاءها اليه ، وكيف سماحة أخلاقها ، وصونها لأعراقها ، وكيف وصلوا قديمهم بحديثهم ، وطريفهم بتليدهم ، وكيف أشبه علانيتهم سرهم ، وقولهم فعلهم ، وهل سلامة صدر أحدهم ، إلا على قدر بعد غَوْره ؟ (٤) وهل غفلته إلا فى وزن صدق ظنه ؛ وهل ظنه إلا كيقين غيره ؟ ؟

وقال عمر : انك لاتنتفع بعقله حتى تنتفع بظنه . قال أوس بن حَجَر (٥)

الألمعىُّ الذى يظنّ بك الظنّ كأنْ قد رأى وقد سمعا

وقال آخر :

مليحٌ نجيحٌ أخو مازنٍ * فصيح يحدث بالغائبِ

وقال بلعاء ابن قيس :

وأبغى صواب الرأى أعلم أنهُ * اذا طاش ظن المرء طاشت مقادِرُهْ

بل قد علم الناس كيف جمالها وقَوامُها ، وكيف نماؤها وبهاؤها ، وكيف سَرْوها ونجابتها (٦) وكيف بيانها وجَهَارتها (٧) وكيف تفكيرها وبداهتها ، فالعرب كالبدن وقريش روحها ، وقريش روح وبنو هاشم سِرُّها ولُبُّها ، وموضع

---

(١) الحديد : القوى الذهن (٢) اللأواء : الشدة

(٣) القصد : الغرض (٤) الغور : القعر من كل شىء . وفلان بعيد الغور : متعمق النظر ، وهو بحر لايدرك غوره ، وفى الاصل «بعد غدره» بالدال ، وأحسب انه تحريف

(٥) أوس بن حجر هو شاعر تميم فى الجاهلية مات قبيل الاسلام ، وهو صاحب العينية التى قيل فى مطلعها انه أشجى بيت ، وهو قوله :

أيتها النفس أجملى جزعا ان الذى تحذرين قد وقعا

(٦) السرو : الشرف. والنجابة : كرم الحسب (٧) الجهارة : قوة الصوت

غاية الدين والدنيا منها ، وهاشم مِلح الارض وزينة الدنيا ، وحى العالم ، والسّنام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولُباب كل جوهر كريم ، وسِر كل عنصُر شريف والطينة البيضاء ، والمغرس المبارك ، والنصاب الوثيق [١] ، ومعدن الفهم وينبوع العلم ، وثَهْلان ذو الهضاب فى الحلم [٢] والسيف الحُسام فى العزم [٣] مع الأناة والحزم ، والصفح بعد المقدرة ، وهم الأنف المقدم ، والسنام الأكرم ، وكالماء الذى لاينجسه شىء ، وكالشمس التى لاتخفى بكل مكان ، وكالذهب لا يعرف بالنقصان ، وكالنجم للحيران ، والبارد للظمآن ، ومنهم الثقلان ، والاطيبان ، والسِّبطان ، وأسد الله ، وذو الجناحين ، وذو قرنيها ، وسيِّد الوادى ، وساقى الحجيج ، وحليم البطحاء ، والبحر والحبر [٤] ، والانصار أنصارهم ، والمهاجر من هاجر اليهم أو معهم ، والصِّدِّيق من صدقهم ، والفاروق من فرق بين الحق والباطل فيهم ، والحوارى حواريهم ، وذو الشهادتين لأنه شهد لهم ، ولا خير إلا لهم أو فيهم أومعهم ، أو يضاف اليهم . وكيف لا يكونون كذلك ومنهم رسول رب العالمين ، وإمام الأولين والآخرين ، ونجيب المرسلين ، وخاتم النبيين ، الذى لم يتم لنبى نبوة إلا بعد التصديق به ، والبشارة بمجيئه ، الذى عم برسالته ما بين الخافقين ، وأظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون

الحسن بن على

قال الحسن بن على عليهما السلام لحبيب بن مسلمة الفهرى : رب مسير لك فى غير طاعة الله ! قال أمّا مسيرى الى أبيك فليس من ذلك ! قال : بلى ! لقد قعد بك فى دينك ، فلو أنك إذ فعلت شراً قلت خيراً كنت كمن قال الله عز وجل (خلطوا

---

(١) النصاب : الأصل (٢) ثهلان : اسم جبل (٣) الحسام : القاطع

(٤) تلك ألقاب اختص بها فريق من أشراف قريش يرجع اليها من شاء فى كتب السير والغزوات

عملا صالحا وآخر سيئا) ولكنك كما قال (كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

وكان الحسن عليه السلام جواداً كريماً لا يرد سائلاً ولا يقطع نائلا . وأعطى شاعراً مالا كثيراً فقيل له : أتعطى شاعراً يعصي الرحمن ، ويقول البُهتان ؟ فقال : إن خير ما بذلتَ من مالك ما وقيت به عِرضك ، وان من ابتغاء الخير ، اتقاء الشر . وقد روى مثل ذلك عن الحسين رضى الله عنه

وقيل : إن شاعراً مدحه فأجزل ثوابه فِليمَ على ذلك ، فقال أترانى خفت أن يقول لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، ولا ابن على بن أبى طالب ، ولكني خفت أن يقول : لست كرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولا كعلى رضى الله عنه فيُصدَّق ويُحمل عنه ، ويبقى مخلداً فى الكتب ، محفوظاً على ألسنة الرواة ، فقال الشاعر : أنت والله يا ابن رسول الله أعرف بالمدح والذم منى

ولما تُوفى الحسن أدخله قبره الحسينُ ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم ، ثم وقف محمد على قبره وقد اغرورقت عيناه وقال :

رحمك الله أبا محمد ! فلئن عزّت حياتُك ، فلقد هدّت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنّه بدنك ، ولنعم الجسد جسدٌ تضمنه كفنك ، ولنعم الكفن كفنٌ تضمنه لحدك ، وكيف لا تكون كذلك ، وأنت سليل الهدى ، وخامس أصحاب الكسا ، وخَلَف أهل التقى ، جدك النبي المصطفى ، وأبوك على المرتضَى ، وأمك فاطمة الزهراء ، وعمك جعفر الطيار فى جنة المأوى ، وغذَتك أكُفُّ الحق ، ورُبيت فى حِجْر الاسلام ، ورضعت ثدى الايمان ، فطبت حيا وميتا ، فلئن كانت الأنفس غير طيبة لفراقك ، انها غير شاكة أن قد خُيِّر لك ، وإنك وأخاك لسيدا شباب أهل الجنة ، فعليك يا أبا محمد منا السلام .

وقام رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب على قبره فقال :

— ٧ —

ان أقدامكم قد ثَقلت ، وإن أعناقكم قد حَملت إلى هذا القبر ولياً من أولياء الله يُبشّر نبي الله بمقدمه ، وتُفتح أبواب السماء لروحه ، وتبتهج الحُور العين بلقائه ،[1] ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ، ويوحِش أهل الحجا والدين فقدُه ، رحمة الله عليه ، وعنده تحتسب المصيبة به

المصيبة بأبناء النبوة

(ألفاظ لأهل العصر فى ذكر المصيبة بأبناء النبوة)

— قد نُعي سَليلٌ من سُلالة النبوة ، وفَرعٌ من شجرة الرسالة ، وعضوٌ من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصيّ والبتول

— كتبت وليتني ما كتبت ، وأنا ناعي الفضل من أقطاره ، وداعي المجد الى شقّ ثوبه وصداره ، ومخبرٌ أن شمس الكرام واجبة[2] والمآثر مودّعة ، وبقايا النبوّة مرتفعة ، وآمال الامامة منقطعة ، والدين منخذل واجم ،[3] والتقوى دَمْعَان هامٍ وساجم .

— كتابي وقد شلّت يمين الدهر ، وفُقِئت عين المجد ، وقَصُر باع الفضل ، وكَسفت شمس المساعي ، وخَسف قمر المعالي ، وتجدد في بيت الرسالة رُزْءٌ جدَّد المصائب ، واستعاد النوائب ، كل هذا لفقد من حط الكرم بربعه ، ثم أدرج في بُرده ، وامتزج المجد به ، فدفن بدفنه ، إنها المصيبة عمت بيت الرسالة . وغضت طرف الامامة ، وتحيفت جانب الوحي المنزل ، وذكرت بموت النبي المرسل .

— كتبت والدهر ينعي مهجته ، والمجد يندب بهجته ، ومهابط الوحي والرسالة

---

(١) الحور العين لقب نساء أهل الجنة ، والحور جمع حوراء ، من الحور بالتحريك وهو أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها ، أو هو اسوداد العين كلها مثل عيون الظباء . والعين جمع عيناء وهي الحلوة العينين

(٢) وجبت الشمس : غابت (٣) واجم : مطرق عبوس

تخى ظهورها أسفا ، وما آتى الامامة والوصية والرسالة تذرى دموعها لهفا ، وذلك أن حادث قضاء الله استأثر بفرع النبوة وعنصر الدين والمروءة

بين الحسن ومحمد بن الحنفية[1]

ووقع بين الحسن ومحمد بن الحنفية لحاء ، ومشى الناس بينهما بالنمائم ، فكتب اليه محمد بن الحنفية :

أما بعد فان أبى وأباك على بن أبى طالب ، لا تفضُلنى فيه ولا أفضُلك ، وأمى امرأة من بنى حنيفة ، وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو مُلئت الأرض بمثل أمى لكانت أمك خيراً منها ، فاذا قرأت كتابى هذا فاقدم حتى تترضّانى ، فانك أحق بالفضل منى

الدنيا فى رأى الحسين

وخطب الحسين بن على رضوان الله عليهما غداة اليوم الذى استُشهد فيه فحمدا الله تعالى وأثنى عليه ثم قال :

ياعباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حَذَر ، فان الدنيا لو بقيت على أحد ، لكانت الانبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضا بالقضاء ، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء ، فجديدها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهر[2] ، منزل تلعة ، ودار قُلْعة ،[3] فتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون

(١) محمد بن الحنفية هو محمد بن على أخو الحسن والحسين وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ينسب اليها تميزا له عن أخويه . ولد فى المدينة سنة ٢١ وتوفى بها سنة ٨٠

(٢) مكفهر : مغبر (٣) التلعة ما ارتفع من الارض ، وما انهبط منها ، فهى من الاضداد ، وهى كذلك مسيل الماء وما اتسع من فوهة الوادى ، ومنازل التلاع لا ثبات لها لانها عرضة لهجمات السيل . ودار قلعة : أى انقلاع وذهاب . وفى الاصل « والمنزل تلعة والدار قلعة » وما أثبتناه أنسب

معاوية والحسين

وكان لمعاوية بن أبى سفيان عين بالمدينة يكتب اليه بما يكون من أمور الناس وقريش فكتب اليه : إن الحسين بن على أعتق جارية له وتزوجها ، فكتب معاوية إلى الحسين :

من أمير المؤمنين معاوية إلى الحسين بن على : أما بعد فانه بلغنى أنك تزوجت جاريتك ، وتركت أكفاءك من قريش ، ممن تستحسنه للولد ، وتمجد به فى الصهر ، فلا لنفسك نظرت ، ولا لولدك انتقيت !

فكتب إليه الحسين بن على :

أما بعد فقد بلغنى كتابك ، وتعييرك إياى بأنى تزوجت مولاتى وتركت أكفائى من قريش ، فليس فوق رسول الله منتهى فى شرف ، ولا غاية فى نسب وانما كانت ملك يمينى خَرَجَت عن يدى بأمر التمست فيه ثواب الله تعالى ، ثم ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد رفع الله بالاسلام الخسيسة ، ووضع عنا به النقيصة ، فلا لوم على امرىء مسلم إلا فى أمر مأثم ، وانما اللوم لوم الجاهلية!

فلما قرأ معاوية كتابه نبذه إلى يزيد فقرأه وقال : لَشدَّ ما فخر عليك الحسين! قال : لا ، ولكنها ألسنة بنى هاشم الحِداد التى تفلق الصخر ، وتغرف من البحر!

والحسين رضى الله عنه هو القائل

لعمرك إننى لأحب داراً * تحلُّ بها سُكينة والرَّباب
أحبهما وأبذل كل مالى * وليس للائم عندى عتابُ

سُكينة ابنته والرباب أمها وهى بنت امرىء القيس بن الجرول الكلبية

ابن أبي ربيعة وسكينة

وفى سُكينة يقول عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى كذبا عليها[(١)]

قالت سكينة والدموع ذوارفٌ * تجرى على الخدين والجلبابِ
ليت المغيرىَّ الذى لم أجزهِ * فيما أطال تصيُّدِى وطلابى
كانت تردُّ لنا المنى أيامنا * إذ لا نُلام على هوًى وتصابِ
خُبِّرْتُ ما قالت فبتُّ كأنما * يُرْمى الحشى بنوافذ النُّشّابِ
أسُكينَ ما ماء الفرات وطيبهُ * منى على ظمأٍ وفقد شرابِ
بألذَّ منكِ وإن نأيتِ وقلَّما * ترعى النساء أمانة الغُيَّابِ
إن تبذلى لى نائلاً أشفى بهِ * داء الفؤاد فقد أطلتِ عذابى
وعصيتُ فيك أقاربى وتقطّعت * بينى وبينهمُ عُرَى الأسبابِ
فتركتنى لا بالوصال مُمتَّعاً * منهم ولا أسعفتِنى بثوابِ
فقعدت كالمُهَرِيق فضلة مائهِ * فى حَرِّ هاجرةٍ للمع سرابِ

وكانت سكينة من أجمل نساء زمانها وأعقلهنَّ ، وكان مصعب بن الزبير قد جمع بينها وبين عائشة بنت طلحة بنت عبد الله، فلما قتل مصعب قالت سكينة

فان تقتلوه تقتلوا الماجد الذى * يرى الموت إلا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منيةً * إلى القوم حتى أوردوه حِماما

---

(١) انظر الطبعة الثالثة من كتاب «حب ابن أبى ربيعة وشعره» ففيه فصل مطول عن السيدة سكينة بنت الحسين وحياتها الادبية والوجدانية وعلاقتها بعمر بن أبى ربيعة لترى أكان لم يكذب عليها كما يحدثنا صاحب زهر الآداب ؟

علي بن الحسين[1]

وقال على بن الحسين رحمه الله : لوكان الناس يعرفون جملة الحال فى فضل الاستبانة ، وجملة الحال فى فضل التبيين ، لأعربوا عن كل ما يتلجلج فى صدورهم ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة الى كل حال سوى حالهم . على أن درك ذلك كان لايعدمهم فى الأيام القليلة العدة ، والفكرة القصيرة المدة ، ولكنهم من بين مغمور بالجهل ، ومفتون بالعُجْب ، ومعدول بالهوى عن باب التثبت ، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم

وقال رضى الله عنه : المراء يفسد الصداقة القديمة ، ويحُل العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن تكون به المغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب القطيعة

ومن دعائه : اللهم ارزقنى خوف الوعيد ، وسرور رجاء الموعود ، حتى لا أرجو إلا ما رجّيت ، ولا أخاف إلا ما خوّفت

قصيدة الفرزدق في على بن الحسين

وحج هشام بن عبد الملك ، أو الوليد أخوه ، فطاف بالبيت وأراد استلام الحجر فلم يقدر ، فنُصب له منبر فجلس عليه ، فبينا هو كذلك إذ أقبل على ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى إزار ورداء ، وكان أحسن الناس وجهاً ، وأعطرهم رائحة ، وأكثرهم خشوعا ، وبين عينيه سجادة كأنها رُكبة عنز[2] وطاف بالبيت وأتى ليستلم الحجر فتنحّى له الناس هيبة وإجلالا ،

(١) كان على بن الحسين مضرب المثل فى الحلم والتقوى والسخاء . أحصى بعد موته عدد من كان يقوتهم سرا فاذاهم نحو مائة بيت . قال محمد بن اسحق : كان ناس من أهل المدينة يعيشون لايدرون من أين معايشهم ومآ كلهم فلما مات على بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم . ولد أثابه الله بالمدينة سنة ٣٨ وتوفى سنة ٩٤

(٢) المراد بالسجادة أثر السجود

فغاظ ذلك هشاما ، فقال رجل من أهل الشام : من الذى أكرمه الناس هـذا الإكرام ، وأعظموه هذا الإعظام ؟ فقال هشام : لا أعرفه — لئلا يعظم في صدور أهل الشام — فقال الفرزدق وكان حاضراً :

هذا ابن خير عباد الله كلهمِ * هذا النقيُّ التقيُّ الطاهر العلَمُ
هذا الذى تعرف البطحاء وَطْأَتهُ * والبيت يعرفه والحِل والحَرَمُ
إذا رأته قُريشٌ قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهى الكَرَمُ
يكاد يُمسِكُه عرفانَ راحتهِ * رُكنُ الحطيمِ اذا ما جاء يستلمُ (١)
فى كفه خيزُران ريحهُ عَبِقٌ * فى كف أروعَ فى عِرنينه شَمَمُ (٢)
يُغضِى حياءً ويُغضَى من مهابته * فما يُكلَّم إلا حين يبتسم
مشتقةٌ من رسول الله نَبْعتهُ * طابت عناصره والخِيمُ والشِّيَمُ (٣)
يُنمَى الى ذِرْوَة العزّ التى قصُرت * عن نيلها عرَبُ الاسلام والعجَمُ (٤)
ينجابُ نورُ الهدى عن نور غرّته * كالشمس ينجاب عن إشراقها القتَمُ (٥)
حمّال أثقال أقوام اذا اقترحوا * حلو الشمائل تحلو عنده نَعَمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلهُ * بجدّه أنبياء الله قد خُتِموا
الله فضّله قِدْماً وشرّفَه * جرى بذاك له فى لوحه القلَمُ
مَنْ جَدُّه دان فضل الأنبياء لهُ * وفضل أمته دانت له الأُمم
عم البريةَ بالاحسان فانقشعَتْ * عنها الغيابة والإملاقُ والظلَمُ (٦)
كِلْتا يديه غِياثٌ عَمّ نفعُهما * تَستوكفان ولا يعروهما العُدُمُ (٧)
سهل الخليقة لا تُخشى بوادِرُهُ * تزينه الاثنتان الحِلمُ والكرم

---

(١) يريد أن ركن الحطيم يكاد يمسكه لعرفان راحته ويقينه بأنها من سلالة الرسول
(٢) أروع : ذكى الروع ، بضم الراء ، وهو الفؤاد. والعرنين الانف ، والشمم الارتفاع
(٣) الخيم : الأصل (٤) ينمى : ينسب (٥) القتم والقتام : الغبار (٦) الغيابة : غيبة الرشد ، والاملاق الفقر (٧) تستوكفان: تجريان، والعدم بضم العين الفقر

لا يخلف الوعدَ ميمونٌ بغرّته * رحب الفناء أريبٌ حين يعتزم (١)
ما قال لا قطُّ إلا في تشهده * لو لا التشهد كانت لاءه نعمُ
من معشرٍ حبهم دِينٌ وبغضهم * كُفرٌ وقربهمُ منجًى ومعتصمُ
يُستدفع السوء والبلوى بحبهمُ * ويُسترَبُّ به الاحسان والنِّعَم (٢)
مقدَّمٌ بعد ذكر الله ذكرهمُ * في كل بدء ومختومٌ به الكلِمُ
إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمّتهم * أو قيل مَن خير أهل الارض قيل هُمُ
لا يستطيع جوادٌ بعد غايتهم * ولا يدانيهم قومٌ وان كرموا
هُم الغيوثُ إذا ما أزمةٌ أزَمَتْ * والأُسْد أسد الشَّرى والبأس محتَدِمُ (٣)
يأبى لهم أن يحلّ الذم ساحتَهم * خِيمٌ كريمٌ وأيدٍ بالندى هُضُمُ (٤)
لا ينقص العسر بسطًا من أكفهمُ * سيان ذلك إن أثروا و إن عدموا
أي الخلائق ليست في رقابهم * لأولية هذا أوله نِعَمُ (٥)
من يعرف الله يعرف أوليته * فالدين من بيت هذا ناله الأمم
وليس قولك من هذا بضائره * العُرب تعرف من أنكرت والعجَمُ

وقد روى أن الحزين الكناني وفد على عبد الله بن عبد الملك بن مروان. وهو أمير على مصر فأنشده قصيدة منها

لمّا وقفتُ عليه في الجُموع ضحًى * وقد تعرضت الحُجّابُ والخدم
حيّيته بسلام وهو مرتفِقٌ * وضجة القوم عند الباب تزدحم (٦)

في كفه خيزران، والبيت الذي يليه ، ويقال انها لداود بن سلم في قُثَم بن العباس. ابن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو الذي يقول فيه الأخطل

ولقد غدوت على التِّجَار بمسمح * هرّت عواذله هرير الأكلُب (٧)

---

(١) الاريب: وافر العقل (٢) يسترب : يصلح (٣) الأزمة : الشدة — والشرى : جبيل بتهامة كثير السباع (٤) هضم : جمع هضيم وهو كثير الانفاق (٥) المراد بالاولية الآباء والأجداد (٦) مرتفق : متكيء على مرفقه (٧) هرت : صاحت

لَدْنٍ تقبَّله النعيم كأنما * مُسِحَتْ ترائبهُ بماء مُذْهب (١)
لبّاس أردية الملوك تروقُهُ * من كل مُرتقَب عيونُ الرَّبْرَبِ (٢)
ينظرن من خَللِ الستور إذا بدا * نظر الهجان الى الفنيق المُصعَبِ (٣)

ويقال بل قالها فى على بن الحسين اللعينُ المنقرى ، وسمى اللعين لأن عمر سمعه ينشد شعراً والناس يصلون ، فقال: من هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم (٤) وليقله من شاء ، فقد أحسن ما شاء وأجاد وزاد (٥)

هيبة اللقاء

وقال ذو الرُّمة فى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى

مَن آل أبى موسى ترى الناس حَوْلَهُ * كأنهم الكِروان عاينّ بازيا (٦)
فما يعرفون الضحك إلا تبسُّما * ولا ينبسون القول إلا تناجيا (٧)
وما الفحش منه يرهبون ولا الخنا * عليه ولكنْ هيْبةٌ هِىَ ما هيا
فتى السِّنِّ كَهلُ الحِلْمِ يُسْمَعُ قولُهُ * يوُازِن أدناهُ الجبال الرواسيا

ومن أجودها للمحدثين فى ذلك قول أبى عُبادة البحترى فى الفتح بن خاقان .

ولما حضرنا سُدَّة الاذن أُخِّرَت * رجالٌ عن الباب الذى أنا داخله
فأفضيتُ من قُربٍ الى ذى مهابة * أقابِلُ بدر التِّمِّ حين أقابلُهْ

---

(١) الترائب : موضع القلادة من الصدر والمذهب الممزوج بالذهب

(٢) الربرب : الظباء والمراد بها النساء (٣) المصعب : الجمل الذى لم يركب ، والفنيق المكرم ، والهجان الابل البيض (٤) اللعين المنقرى هو أبو الأكيدر مبارك بن زمعة . وفى الاصل « اللعين الشنفرى» وهو تحريف (٥) يريد أن الشعر جيد بغض النظر عمن ينسب اليه من الشعراء (٦) الكروان بكسر الكاف جمع الكروان بفتحها مع سكون الراء وهو طائر مغرد ، تجد ماقاله عنه الشعراء فى كتاب « مدامع العشاق » . والبازى الصقر (٧) ينبسون: ينطقون

بدا لى محمودَ السجيةِ شُمِّرت * سَرابيلُه عنه وطالت حمائلُه (١)
كما انتصب الرُّمح الردَيْنِي ثُقِّفَتْ * أنابيبُه واهتزَّ للطعن عاملُه (٢)
وكالبدر وافتهُ لتمّ سُعودِهِ * وتمّ سناه واستهلّت منازله
فسلّمْتُ فاعتاقَتْ جنانىَ هَيْبَةٌ * تُنَازعنى القول الذى أناقائله (٣)
إلى مُسرفٍ فى الجود لوأنّ حاتماً * لَدَيْه لأضحَى حاتمٌ وهو عاذِله
فلما تأمّلْت الطّلاقةَ وانثنى * الىّ ببشر آنستنى مخَايِلُه (٤)
دَنَوْتُ فقبلت الندى من يدامرئٍ * جميلٍ محيّاهُ سِباطٍ أناملُه (٥)
صَفَتْ مثلَ ماتصفو المدامُ خِلالُه * ورقّت كما رقّ النسيمُ شمائله

ووقعت حرب بالجزيرة بين بنى تغلِب فتولى الاصلاح بينهم الفتح بن خاقان فقال البحترى فيما تعلق بعضه بذكر الهيبة

بنى تغلِبٍ أعززْ علىّ بأن أرَى * ديارَكمُ أمستَ وليس لها أهلُ (٦)
خلَتْ دِمْنَةٌ من سَاكنيها وأوحشَت * مرابعُ من سِنجار يهمى بها الوبْلُ (٧)
إذا ما الْتقوا يومَ الهَياج تحاجزوا * وللموت فيما بينهم قِسْمة عـدْلُ
كَفِيٌّ من الأحياء لاقى كفيهُ * ومثلٌ من الأقوام زاحفَهُ مِثْلُ (٨)
إذا ما أخٌ جرّ الرماحَ انبرى لهُ * أخٌ لا بليدٌ فى الطّعان ولا وَغْلُ (٩)
تحُوطُهمُ البيض الرِّقاق وضمرٌ * عِتاق وأنسابٌ بها يدرك التَّبْلُ (١٠)

(١) السرابيل : الثياب ، والحمائل جمع حمالة بالكسر وهى علاقة السيف
(٢) عامل الرمح : صدره (٣) اعتاق وعاق : منع ، والجنان : القلب
(٤) المخايل جمع مخيلة : وهى الدلالة (٥) سباط : طوال ، كناية عن الكرم
(٦) هذه القطعة من قصيدة جيدة طويلة مطلعها :

ضمان على عينيك انى لا أسلو وان فؤادى من جوى بك لا يخلو

(٧) سنجار : مدينة فى نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، والوبل المطر الشديد ، ويهمى ينسكب (٨) كفى : نظير — زاحفه : نازله ، من الزحف . وفى الاصل « راجعه » وهو تحريف (٩) الوغل : الضعيف النذل (١٠) البيض الرقاق : السيوف المرهفة ، والضمر العتاق : الخيول الضامرة الكريمة ، والتبل : الثأر

بطعن يكب الدارعين دراكه * وضرب كما ترغو المخزمة البزل (١)
تجافى أمير المؤمنين عن التى * علمتم وللجانين فى مثلها الثكل (٢)
وكانت يد الفتح بن خاقان عندكم * يد الغيث عند الارض أجدبها المحل (٣)
ولولاه طلت بالعقوق دماؤكم * فلا قود يعطى الاذل ولا عقل (٤)
تلافيت يا فتح الأراقم بعد ما * سقاهم بأوحى سمه الأرقم الصل (٥)
وهبت لهم بالسلم باقى نفوسهم * وقد شارفوا أن يستتمهم القتل (٦)
أتاك وفود الشكر يثنون بالذى * تقدم من نعماك عندهم قبل
فلم أر يوماً كان أكثر سؤدداً * من اليوم ضمتهم الى بابك السبل (٧)
تراءوك من أقصى السماط فقصروا * خطاهم وقد جازوا الستور وهم عجل (٨)
ولما قضوا صدر السلام تهافتوا * على يد بسام سجيته البذل
إذا شرعوا فى خطبة قطعتهم * جلالة طلق الوجه جانبه سهل (٩)
اذا نكسوا أبصارهم من مهابة * ومالوا بلحظ خلت أنهم قبل (١٠)
نصبت لهم طرفاً حديداً ، ومنطقاً * سديداً ، ورأياً مثل ما انتضى النصل (١١)
وسل سخيمات الصدور فعالك الـ * ـكريم وأبراغلها قولك الفصل (١٢)

---

(١) الدارعون : لابسو الدروع ، ودراكه : تتابعه ، وترغو : تصيح ، والمخزمة : التى وضع فى شدقها الخزام ، والبزل جمع بازل . وهو البعير يبلغ تسع سنين.

(٢) الثكل : الفقد (٣) المحل : الجدب (٤) طلت : هدرت ، والقود : القصاص والعقل : الدية.

(٥) أوحى : أسرع ، والسم الوحى السريع ، والأرقم الصل : الحية التى لاتنفع فيها الرقى (٦) شارفوا : قاربوا . وفى الاصل (اشرقوا) وهو تحريف (٧) السبل : جمع سبيل وهو الطريق والمراد به الحاجة (٨) عجل : جمع أعجل وهو المسرع

(٩) طلق الوجه : وافر البشر (١٠) قبل : جمع أقبل ، وهو الذى ينظر بانحراف كأنما ينظر الى أنفه (١١) النصل : السيف (١٢) السخيمات : جمع سخيمة وهي الحقد.

بك التأم الشَّعْبُ الذى كان بينهم * على حين بعد منه واجتمع الشمل (١)
فما برحوا حتى تعاطتْ أكفهم * قِراكَ فلا ضِغنٌ لديهم ولا دَخل (٢)
وجرُّوا ذيول العُصب تضفو ذيولها * عطاء كريم ما تكاءده بخل (٣)
وما عمَّهم عمرو بن غُنم بنسبةٍ * كما عمَّهم بالأمس نائلُكَ الجزل
فمهما رأوا من غبطة فى اصطلاحهم * فمنك بها النعمى جرت ولك الفضل

عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط

عاقبة الحرب

وللطائيين فى ذلك أشعار كثيرة مختارة ، منها قول البحترى يحذِّر عاقبة الحرب (٤)

أمَا لربيعة الفَرس انتهاءٌ * عن الزلزال فيها والحرُوب (٥)
وكانوا رَقَّعوا (٦) أيام سِلْمٍ * على تلك الضغائن والنُّدُوب (٧)
إذا ما الجرْحُ رُمَّ على فسادٍ * تبيَّن فيه تفريطُ الطبيبِ
رَزِيَّةُ هالكٍ جلبت رزايا * وخَطبٌ بات يكشف عن خطُوب
يُشَقُّ الجَيْبُ ثم يجىء أمرٌ * يُصغَّرُ فيه تشقيق الجيُوبِ
وقبرٍ عن أيامنٍ برقعيد (٨) * إذا هى ناحَرت (٩) أفق الجنوب

(١) التأم الشعب : اجتمع (٢) القرى بكسر القاف ما يتناوله الضيفان — والدخل: الغل (٣) تكاءده : منعه

(٤) اختار المؤلف هذه القطعة من بائية البحترى التى مطلعها :

أمنك تأوب الطيف الطروب حبيب جاء يهدى من حبيب

(٥) ربيعة الفرس : أبو قبيلة وهو ابن نزار بن معد بن عدنان

(٦) فى الاصل « وقعوا » والتصحيح عن الديوان (٧) الندوب جمع ندب وهو الجرح

(٨) برقعيد : بلدة بالموصل (٩) ناحرت : قابلت ، وفى الاصل « فاخرت » وهو تحريف.

يسحُّ ترابُهُ أبداً عليها * عِهاداً من مُرَاق دم صبيب(١)
فهل لابنَىْ عدىٍّ من رشيدٍ * يَرُدُّ شريد حلمهما العزيب(٢)
أخاف عليهما إمرارَ مَرْعَى * من الكلإ الذى عقباه تُوبى(٣)
وأعلمُ أن حربهما خَبالٌ * على الداعى اليها والمجيب
لعلَّ أبا المعمَّر يتّليها * ببعد الهم والصدر الرحيب(٤)
فكم من سُؤدَدٍ قد بات يعطى * عطيةَ مكثرٍ فيها مُطيب
أهيثمُ يا ابن عبد الله دعوى * مُشير بالنصيحة أو مُهيب(٥)
تناسَ ذنوب قومك إن حفظ الذ * نوب اذا قَدُمْنَ من الذنوب(٦)
فَلَلسَّهْمُ السديد أحبُّ غِبّاً * الى الرامى من السهم المصيب(٧)
متى أحرزتَ نصر بنى عُبيدٍ * إلى اخلاص ودّ بنى حبيب
فقد أصبحت أغلَب تغلبىٍّ * على أيدى العشيرة والقلوبِ

يناسب قوله * اذا ما الجرح رم على فساد * قول أبي الطيب المتنبي لعلى ابن ابراهيم التنوخى أحد بنى القصيص

فلا تَغْرُرْكَ ألسنةٌ مَوالٍ * تقلّبهن أفئدةٌ أعادى(٨)
وكن كالموت لا يرثى لباكٍ * بكى منه ويروَى وهو صادى
فان الجرْح ينغَر بعد حينٍ * اذا كان البناء على فساد(٩)

وفى هذه القصيدة

كأنَّ الهامَ فى الهَيْجا عيونٌ * وقد طُبعت سيوفك من رُقادِ
وقد صغْتَ الأسنّة من هموم * فما يَخْطُرْنَ الا فى فؤادِ

---

(١) العهاد : أمطار الربيع ، واحدتها عهدة ، تقول : حديقة معهودة وبستان معهود
(٢) العزيب : من العزوب وهو الغيبة والذهاب ، وفى الأصل (الغريب) وهو تحريف
(٣) توبى : تهلك . (٤) يتليها : يتبعها — والهم هنا بمعنى الهمة (٥) مهيب : داعى
(٦) في هذا البيت حكمة بالغة (٧) غبا : عاقبة
(٨) الموالى جمع مولى وهو الصديق (٩) ينغر : يجيش بالدم

كأن البيت الأول من هذين ينظر الى قول مسلم بن الوليد من طرف خَفي

ولوَ أن قوماً يَخْلقون منيةً * من بأسهم كانوا بنى جبريلا

قومٌ إذا احمرَّ الهجير من الوغى * جعلوا الجماجم للسيوف مقيلا(١)

وانما أخذه من قول منصور النميرى وذكر سيفاً

ذَكَرٌ برونقه الدِّماء كأنما * يعلو الرجال بأرجُوانٍ فاقعِ(٢)

وترى مَسَاقِطَ شفرَتَيْهِ كأنها * مِلْحٌ تَبَدَّدَ من وراءِ الدارعِ

وتراه مُعتَمَّاً إذا جرَّدْتَهُ * بدم الرجال على الأديم الناقعِ(٣)

وكأنَّ وقعتَهُ بجمجمة الفتى * خَدَرُ المُدَامة أو نُعاس الهاجعِ(٤)

أردت هذا البيت ، وقول النميرى (وتراه معتما إذا جرته) يشير إليه قول أبي الطيب وذكر سيفاً

يبس النجيعُ عليه فهو مجرَّدٌ * من غمدهِ وكأنما هو مُغْمَدُ(٥)

رَيَّانُ لو قذَفَ الذى أسقيتهُ * لجرى من المهجات بحرٌ مُزبد(٦)

وبنو عبيد وبنو حبيب اللذان ذكرهما البحترى هم بنو عبيد بن الحارث ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غُنم بن تغلب وحبيب بن الهجرس بن تيم بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وفيهم حبيب بن حرقة بن تغلب بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم فلا أدرى أيهما أراد

---

(١) احمرار الهجير ، وهو وقت الظهر ، كناية عن سيل الدماء فيه

(٢) سيف ذكر : من الذكرة بضم الذال وهي الحدة . والارجوان : صبغ أحمر — فاقع : صفة مبالغة . وكل ناصع اللون فاقع وأكثر ما يوصف به الاحمر والاصفر

(٣) معتم : جمد الدم عليه حتى صار له كالعمامة — الناقع : الذى تروى بالدم . وفى الاصل (الفاقع) وهو تحريف (٤) يصف إمالة السيف للرؤوس ويشبه فعله بفعل المدام والنعاس

(٥) النجيع : الدم المتجمد (٦) مزبد : يجرى بالزبد

قتال الاقارب

وقال البحترى

أَسِيتُ لأخوالى ربيعة أنْ عفَتْ * مصايفها منها وأقوَت ربُوعها[١]
بِكُرْهىَ أن باتت خَلاءً ديارُها * ووحشاً مغانيها وشتّى جميعُها[٢]
إذا افترقوا من وقعةٍ جمعتهمُ * دماءٌ لأخرى ما يُطلُّ نجيعها[٣]
تذم الفتاة الرُّودُ شيمة بعلها * إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها[٤]
حَمِيَّةُ شعب جاهليٍّ وعزّةٌ * كِلابية أعيا الرجالَ خضوعها
وفرسان هيجاء تجيش صدورها * بأحقادها حتى تضيق دُروعُها
تُقَتِّلُ من وِترٍ أعزَّ نفوسها * عليها بأيدٍ ما تكاد تطيعها[٥]
اذا احْترَبَتْ يوماً ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها
شواجِرُ أرماح تقطَّع بينها * شواجر أرحامٍ ملومٌ قَطوعها[٦]
فكنتَ أمين الله مولى حياتها * ومولاك فتحٌ يوم ذاك شفيعها

وقال أبو تمام الطائى :

مهلاً بنى مالك لا تجلُبُنَّ الى * حيِّ الأراقم ذُؤلولَ ابنة الرقَم[٧]
لم يألُكُمْ مالكٌ صفحاً ومغفرةً * لو كان ينفخ قَيْنُ الحيّ فى فَحَمِ[٨]

---

(١) أسيت : حزنت — والمصايف : جمع مصيف . وفى الاصل (مصانعها) وهو تحريف ، والتصحيح عن الديوان — أقوت : خلت

(٢) المغانى جمع مغنى وهو المنزل الذى غنى به أهله

(٣) يطل : يهدر (٤) الرود : الجميلة الوافرة الحياء (٥) الوتر : الثأر

(٦) الشواجر : القواطع ، أو الروابط ، فهى من أسماء الأضداد

(٧) الأراقم : حى من تغلب ، وابنة الرقم : الحية ، والذؤلول السم ، يريد لاتقدموا السم بأنفسكم الى حى الأراقم ليقتلوكم به (٨) القين : الحداد

أخرجتموه بكرهٍ من سجيّته * والنار قد تُنْتَضَى من ناضر السَلَم (١)

أوطأتموه على جمر العقوق ولو * لم يُحْرَج الليث لم يخرج من الأجَم (٢)

لولا مُناشدة القُربى لغادَرَكم * حصائد المُرهَفَيْن السيفِ والقلم

لا تجعلوا البغى ظهراً إنه جملٌ * من القطيعة يرعى وادى النقم

وقال أيضاً :

مهلاً بنى عمرو بن غنمٍ انكم * هدَفُ الأسنّة والقنا تتحطّم (٣)

ما منكمُ إلا مُرَدًّى بالحجى * أو مُبشَرٌ بالأحوذيةُ مؤْدَمُ (٤)

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سهمكم لا يُسهم (٥)

خُلقت ربيعة من لَدُن خُلقت يداً * جُشَمُ بن بكر كفها والمِعصم (٦)

تغزو فتغلِبُ تغلِبٌ مثل اسمها * وتسيح غُنْمٌ فى البلاد فتغنمُ

وستذكرون غداً صنائع مالك * ان جلّ خطب أو تُدوفع مغرم (٧)

مالى رأيت ثراكمُ بيسالةٍ * مالى أرى أطوادكم تتهدم (٨)

ما هذه القربى التي لا تُصطفَى * ما هذه الرحم التى لا تُرْحَم

حَسد القرابة للقرابة قرحةٌ * أعيَت عوائدها وجرحٌ أقدم (٩)

تلكم قريش لم تكن آباؤها * تهفو ولا أحلامها تتقسّم (١٠)

حتى اذا بُعِثَ النبى محمد * فيهم غدت شحناؤهم تتضرم (١١)

عزَبت عقولهمُ وما من معشر * إلا وهم منهم ألبٌّ وأحزم (١٢)

---

(١) تنتضى : تستخرج ، والسلم اسم شجر (٢) الأجم : مأوى الأسد

(٣) الهدف : الغرض (٤) مردى بالحجا : يتخذه رداء ، والأحوذية الخفة والنشاط ، ومبشر بها ومؤدم : اتخذ منها بشرته وأدمه ، والأدم الجلد

(٥) لايسهم : لا يغلب (٦) من لدن : من منذ (٧) الصنائع : جمع صنيع وهو المعروف (٨) من معانى البسالة الهلاك ، ورأيت ثراكم ببسالة أى فى بسالة

(٩) يريد من العوائد النكسات التى تعود بها القروح (١٠) لاتتقسم أحلامها : لا تتفرق آراؤها (١١) الشحناء : البغضاء (١٢) عزبت : غابت — ألب : اعقل

لما أقام الوحى بين ظهورهم * ورأوا رسول الله أحمدَ منهمُ
ومن الحزامة لو تكون حزامةٌ * أن لا تؤخرَ من به تتقدمُ (١)

ومالك هو ابن طوق (٢) بن مالك بن عتاب بن زُفر بن مرة بن شريح ابن عبد الله بن عمرو بن كلثوم بن مالك بن سعد بن جُشم بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غنم ابن تغلب وفيه يقول دعبل (٣) يهجوه :

الناس كلهمُ يغدو لحاجته * من بين ذى فرح فيها ومهموم
ومالكٌ ظل مشغولا بنسبته * يَرمُّ منها بناء غير مرموم (٤)
يبنى بيوتا خرابا لا أنيس بها * ما بين طوق إلى عمرو بن كلثوم

والتكثير من المعنى المعترض يزيح عن ثغرة الغرض (٥) لكنى أجري منه الى غاية الإجادة ، وأقصد قصد الإفادة ، ثم أعود حيث أريد

مالك بن أنس

وقال ابن الخياط المكى واسمه عبد الله بن سالم فى باب الهيبة فى مالك ابن أنس (٦) الفقيه رحمة الله عليه، وقيل إن هذا من قول ابن المبارك

---

(١) الحزامة : الحزم (٢) كان مالك بن طوق من الفرسان ، وهو الذى بنى « رحبة مالك» على شاطئ الفرات ، وله مع هرون الرشيد موقف مشهور ، وهو صاحب التائية التى يقول فيها :

وما بى خوف أن أموت وانى * لأعلم أن الموت شىء موقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم * وأكبادهم من خشية تتفتت

وتوفى سنة ٢٥٩ (٣) هو دعبل بن على الخزاعى المتوفي سنة ٢٤٦ ، كان دعبل بذىء اللسان مولعا بالهجو والحط من أقدار الناس ، وكان يتعرض للشر والموت ولكنه عمر طويلا ومع تعرضه للخلفاء (٤) يرم : يصلح (٥) الثغرة : الطريق (٦) هو الامام مالك أحد الأئمة الاربعة المتوفى سنة ١٧٩

يأبى الجواب فما يُراجع هيبةً * والسائلون نواكس الأذقان [١]
أدب الوقار وعزّ سلطان التقى * فهو المهيب وليس ذا سلطانِ

شعر أبى تمام

وقول الفرزدق * يكاد يمسكه عرفان راحته * قد تجاذبه جماعة من الشعراء
قال أشجع بن عمرو السُّلَمى [٢] لجعفر البرمكى

حبّذا أنت قادماً ترد الشا * م فتختال بين أرحُل غيرِكْ
ان أرضاً تسرى اليها لو اسطا * عت لسارت اليك من قبل سيرك

وإليه أشار أبو تمام الطائى فى قوله

ديمة سَمْحة القِيادِ سَكُوب * مُستغيث بها الثرى المكروب
لو سعت بقعةٌ لإعظام نُعمَى * لسعى نحوها المكان الجديب

وفى هذه القصيدة فى وصف الديمة ومدح محمد بن عبد الملك الزيات [٣]

---

(١) نواكس الأذقان : مطرقون الى الأرض خشوعا

(٢) كان أشجع السلمى شاعرا فحلا يجيد المديح ، ولد فى اليمامة ونشأ فى البصرة ، ومدح البرامكة وانقطع الى جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد ، ومن أبياته السائرة قوله :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا سلت عليه سيوفك الاحلام

وكانت وفاة أشجع نحو سنة ١٩٥

(٣) هو وزير المعتصم والواثق وأحد مشاهير الكتاب والشعراء ، عرف حلو الدنيا ومرها ، وهو القائل فى سجنه :

من له عهد بنوم يرشد الصب اليه
رحم الله رحيما دل عينى عليه
سهرت عينى ونامت عين من هنت لديه

وكانت وفاته سنة ٢٣٣

لَذَّ شُؤبوبها وطاب فلو تسطيـ * ـع قامت فعانقتها القلوب[1]

فهو ماءٌ يجرى وماءٌ يليه * وعزالٍ تنشا وأخرى تصُوب[2]

أيها الغيث حيِّ أهلاً بمغدا * ك وعند السُّرى وحين تؤوب[3]

لأبي جعفرٍ خلائق تحكيـ * ـهنّ قد يشبه النجيبَ النجيبُ

وأنشدها أبا جعفر بن الزيات فقال:

يا أبا تمام! والله انك لتحلِّى شعرك من جواهر لفظك ، و بدائع معانيك ، ما يزيد حُسناً على بهى الجواهر ، فى أجياد الكواعب ، وما يدخر لك شىء من جزيل المكافأة ، إلا يقصر عن شعرك فى الموازاة

وكان بحضرته رجل من الفلاسفة فقال: هذا الفتى يموت شاباً! فقيل له من أين حكمت عليه بهذا ؟ فقال: رأيت فيه من الحِدّة ، والذكاء ، والفطنة ، مع لطافة الحس ، ماعلمت به أن النفس الروحانية تأكل عمره ، كما يأكل السيف المهند غِمده ! قال الصولى مات وقد نيّف على الثلاثين

وقال فى أبى دُلَف العجلى القاسم بن عيسى[4]

تـكاد عطاياه يُجَنُّ جنونُها * اذا لم يعوِّذها بنغمة طالبِ

تـكاد مغانيه تهِشُّ عِراصها * فتركب من شوقٍ الى كل راكبِ[5]

وقال البحترى:

لو أن مشتاقاً تـكلف فوق ما * فى وُسعه لمشى اليك المِنبرُ

---

(١) الشؤبوب: الدفعة من المطر (٢) عزال: جمع عزلاء وهي مصب الماء، والمراد بها السحابة — تصوب: تنسكب (٣) تؤوب: ترجع (٤) أبودلف كان أمير الكرخ وسيد قومه وأحد قواد المأمون الشجعان ، وللشعراء فيه مدائح كثيرة ، من أروعها هذان البيتان:

انما الدنيا أبو دلف   بين باديه ومحتضره

فاذا ولى أبو دلف   ولت الدنيا على أثره

وكانت وفاته سنة ٢٢٦ (٥) العراص: جمع عرصة وهى: ساحة الدار

وقال أبو الطيب المتنبي لبدر بن عمار

طربتْ مراكبنا فخلنا أنها * لولا حياءٌ عاقها رقَصَت بنا

لو تعقل الشجر التي قابلتها * مدّت محيّيةً اليك الأغصُنا

محمد بن علي

رَجع ما انقطع

قال أعرابي لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين(١) رضي الله عنه :

هل رأيتَ الله حين عبدته ؟

فقال : لم أكن لأعبد من لم أره .

قال : فكيف رأيته ؟

قال : لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ، ورأته القلوب بحقائق الايمان، لايُدرَك بالحواس ، ولا يُشبَّه بالناس ، معروف بالآيات ، منعوت بالعلامات ، لا يجور فى القضيات ، ذلك الله الذى لا اله الا هو .

فقال الاعرابى : الله أعلم حيث يجعل رسالته !

قال الجاحظ قال محمد بن على : صلاح شأن الدنيا بحذافيرها فى كلمتين لأن صلاح شأن جميع الناس التعاشر وهو مِلء مكيال : ثلثاه فطنة وثلثه تغافل .

قال الجاحظ : لم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ، ولا حظاً من الصلاح ، لأن الانسان لا يتغافل عن شىء الا وقد عرفه وفطن له . قال الطائى :

ليس الغبىّ بسيدٍ فى قومهِ * لـكنَّ سيِّد قومه المتغابى

وقال ابن الرومى لأبى محمد بن وهب بن عبيد الله بن سليمان :

تظلّ اذا نامت عيونُ ذوى العمى * وان حدّدوا زُرقاً اليكَ جواحظا(٢)

---

(١) ولد محمد بن على بالمدينة سنة ٥٧ ودفن بها سنة ١١٤ وكان مشهورا بالعلم والتقى وله اراء فى تفسير القران (٢) جواحظ : جمع جاحظة وهي : الناتئة الحدقة

تَغاضَى لهم وسنانَ بل مُتواسِناً * وتُوقظهم يقظانَ بل مُتياقظا(١)

زيد بن على

وكان أخوه زيد بن على رضى الله عنه ديِّنا شجاعا ناسكا من أحسن بنى هاشم عبارة، وأجملهم اشارة

وكانت ملوك بنى أمية تكتب الى صاحب العراق أن امنعْ أهل الكوفة من حضور زيد بن على، فان له لساناً أقطعَ من ظُبَةَ السيف، وأحدَّ من شبا الأسنة(٢) وأبلغ من السحر والكهانة(٣) ومن كل نَفْث فى عقدة

وقيل لزيد بن على: الصمت خير أم الكلام؟ فقال: قبَّح الله المساكتة، ما أفسدها للبيان وأجلبها للعِيّ والحَصَر(٤) والله لَلماراةُ أسرع فى هدم العِيِّ(٥) من النار فى يبيس العرفَج، ومن السيل الى الحدور(٦)

وقال له هشام بن عبد الملك: بلغنى أنك تروم الخلافة، وأنت لا تصلح لها لأنك ابن أمَة، قال زيد: فقد كان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ابن أَمة، وإسحاق ابن حُرة، فأخرج الله من صُلبِ اسماعيلَ خير ولد آدم! فقال له قم! فقال: اذاً والله لا ترانى الا حيث تكره! فلما خرج من الدار قال ما أحبَّ أحدٌ الحياةَ قطّ الاّ ذلّ. فقال له سالم مولى هشام: لا يسمعنَّ هذا الكلام منك أحد

وكان زيد كثيراً ما يُنشد:

شرّده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حرَّ الجلادْ(٧)

---

(١) متواسن: متناوم وليس بنائم، ومتياقظ متظاهر باليقظة (٢) ظبة السيف: طرفه، وكذلك شبا السنان (٣) الكهانة: نوع من فتنة الناس باسم البحث عن الغيب (٤) الحصر: عسر الكلام (٥) فى الاصل «هدم الفىّ» وهو تحريف (٦) الحدور: المنحدرات يجرى اليها الماء (٧) الجلاد: الحرب

منخرق الخفين يشكو الوَجى * تنكبه أطراف مَرْوٍ حداد(١)
قد كان فى الموت له راحةٌ * والموت حتمٌ فى رقاب العباد

وقد رويت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، وقد رويت لأخيه موسى . قال عبد الرحمن بن يحيى بن سعيد حدثنى رجل من بنى هاشم قال كنا عند محمد بن على بن الحسين ، وأخوه زيد جالس، فدخل رجل من أهل الكوفة فقال له محمد بن على : إنك لتروى طرائف من نوادر الشعر ، فكيف قال الانصارى لأخيه ؟ فأنشده

لعمركَ ما إنْ أبو مالكٍ * بوانٍ ولا بضعيفٍ قُواهْ
ولا بألدّ له نازع * يعادى أخاه اذا ما نهاه
ولكنه غير مِخْلافةٍ * كريم الطبائع حلوٌ ثناهْ
وان سُدْته سدت مِطواعةً * ومهما وكَلْتَ اليه كفاه

فوضع محمد يده على كتف زيد وقال : هذه صفتك يا أخىَ ، وأعيذك بالله أن تكون قتيل أهل العراق !

وكانت بين جعفر بن الحسن بن الحسين بن على و بين زيد رضوان الله عليهم منازعة فى وصية فكانا اذا تنازعا انثال الناس عليهما ليسمعوا محاورتهما ، فكان الرجل يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر و يحفظ الآخر اللفظة من كلام زيد . فاذا انفصلا وتفرق الناس عنهما قال هذا لصاحبه قال فى موضع كذا وكذا وقال الآخر قال فى موضع كذا وكذا فيكتبون ما قال ثم يتعلمونه كما يُتعلَّم الواجب من الفرض ، والنادر من الشعر ، والسائر من المثل ، وكانا أعجوبة دهرهما وأحدوثة عصرهما .

(١) المرو : الحجارة السود، والحداد جمع حديد

مصرع زيد بن علي

ولما قتله يوسف بن عمر [١] وصلب جثته بالكناسة [٢] و بعث برأسه مع شبة ابن عقال ، وكلف آل أبي طالب البراءة من زيد ، وقام خطباؤهم بذلك فكان أول من قام عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على رحمة الله عليه فأوجز فى كلامه ثم جلس وقام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فأطنب ، وكان شاعراً خطيباً لسِناً ناسباً ، فانصرف الناس وهم يقولون : ابن الطيار من أخطب الناس، فقيل لعبد الله بن الحسن فى ذلك فقال :لو شئت أن أقول لقلت، ولكن لم يكن مقام سرور ، وانما كان مقام مصيبة !

عبد الله ابن الحسن

وعبد الله هذا هو أبو محمد وابراهيم الخارجين على أبى جعفر المنصور وهو القائل لابنه محمد أو ابراهيم

أىْ بنى ! إنى مؤدٍّ حق الله فى تأديبك ، فأدِّ إلىّ حق الله فى الاستماع منى، أى بنى ! كُفّ الأذى ، وارفض البَذَى [١] واستعن على الكلام بطول الفِكر فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك إلى الكلام ، فان للقول ساعات يضر فيها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب ، واحذر مشورة الجاهل ، وان كان ناصحاً ، كما تحذر مشورة العاقل ، إذا كان غاشا ، لانه يُرديك بمشورته .

---

(١) أحد الولاه فى العصر الاموى . كانت وفاته سنة ١٢٧ (٢) الكناسة محله بالكوفة يقول فيها الشاعر :

يا أيها الراكب الغادى لطيته	يؤم بالقوم اهل البلدة الحرم
أبلغ قبائل عمرو ان أتيتهمو	او كنت من دارهم يوما على أمم
انا وجدنا فقروا في دياركمو	أهل الكناسة أهل اللؤم والعدم

(٣) البذى: مقصور البذاء وهو فحش القول

واعلم يابنى أن رأيك إذا احتجت اليه وجدته نائما ، ووجدت هواك يقظان ، فاياك أن تستبد برأيك ، فانه حينئذ هواك ، ولا تفعل فعلا إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا تُرديك ، وأن نتيجته لا تجنى عليك

وهو القائل : إياك ومعاداة الرجال فانك لن تعدَم مَكْر حليم ، أو معاداة لئيم

وكتب إلى صديق له : أوصيك بتقوى الله تعالى فان الله تعالى جعل لمن اتقاه المخرج من حيث يكره ، والرزق من حيث لا يحتسب .

الجمال المصون

وعبد الله هو القائل

أُنُس حرائرُ ما هَمَمْن بريبةٍ * كظباء مكةَ صيدُهنَّ حرامُ [1]

يُحسَبْن من لينِ الحديث زَوانياً * ويصدُّهنَّ عن الخنا الاسلامُ [2]

وهذا كما روى أنَّ عبد الملك بن مروان استقبل عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى فقال له : قد علمت قريش أنك أطولها صَبوة ، وأبعدها توبة ، ويحك أمالك فى نساء قريش ما يكفيك من نساء بنى عبد مناف ؟ ألست القائل

نظرت اليها بالمحصَّب من مِنًى * ولى نظرٌ لولا التحرُّج عارمُ [3]

فقلت أصبح أم مصابيح راهبٍ * بدت لك خلف السَّجف أم أنت حالم [4]

بعيدة مَهْوَى القُرْطِ إمّا لنوفلٍ * أبوها وإمّا عبد شمس وهاشم [5]

فقال يا أمير المؤمنين فان بعد هذا

طلبن الهوى حتى إذا ما وجدنَهُ * صَدَرن وهنَّ المسلمات الكرائمُ [6]

فاستحيا منه عبد الملك وقضى حوائجه ووصله [7]

وقال آخر فى هذا المعنى

---

(١) أنس : آنسات (٢) الخنا : الفحش (٣) عارم بالراء المهملة : طامع شرس ، وفى الاصل « عازم » بالزاى المعجمة ، وأرجح انه تحريف (٤) السجف : الستر

(٥) القرط : حلى يعلق فى الأذن . وبعد مهوى القرط كناية عن طول العنق

(٦) صدرن : رجعن (٧) انظر الطبعة الثالثة من كتاب « حب ابن أبى ربيعة وشعره » ــــ

تعطّلن إلا من محاسن أوجهٍ * فهنّ حَوالٍ فى الصفات عواطل (١)

كواسٍ عوارٍ صامتات نواطقٌ * بعفّ الكلام باخلاتٌ بواذل (٢)

برزن عفافا واحتجبن تستراً * وشيبَ بحق القول منهنّ باطل (٣)

فذو الحلم مرتادٌ وذو الجهل طامعٌ * وهنّ عن الفحشاء حِيدٌ نواكل (٤)

وقال العديل بن الفرح فيما يتطرف طرفا من هذا المعنى

لعبَ النعيم بهن فى أظلاله * حتى لبسن زمان عيش غافل (٥)

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى * فاذا عطَلن فهنّ غير عواطلِ

وإذا خَبأنْ خدودهن أرينني * حدَق المها وأخذن نَبْلَ القاتل (٦)

يرميننا لا يستَتِرْن بجُنَّةٍ * الا الصّبا وعلمن أين مقاتلى (٧)

يلبسن أردية الشباب لأهلها * ويجرّ باطلهنّ ذيل الباطلِ

عود الى عبد الله بن الحسن

وتعرض لعبد الله بن الحسن رجل بما يكره فقال فيما أنشده ثعلب

أظنت سفاها من سفاهة رأيها * أن أهجوها لما هجتنى محارب (٨)

فلا وأبيها اننى بعشيرتى * ونفسىَ عن ذاك المقام لراغب (٩)

وأنشد هذين البيتين أبو العباس المبرّد لرجل لم يسمه فى رجل يعرف بابن البعير وقبلهما

يقولون أبناء البعير وما لهم * سنامٌ ولا فى ذروة المجد غارب (١٠)

---

(١) حوال : جمع حالية ، والعواطل جمع عاطل ، وهي التى تعطلت من الحلى

(٢) كواس : جمع كاسية ، والعف العفيف (٣) شيب : مزج (٤) حيد : جمع حيداء وهى التى تحيد عن مواطن التهم ، والنوا كل جمع نا كلة وهى النافرة من الفحش

(٥) انظر «ربائب النعيم» فى كتاب «افنان الجمال» — (٦) المها : واحدها مهاة وهى الظبية (٧) الجنة : مايتقى به المرء السهام (٨) محارب : اسم قبيلة (٩) رغبت عن الشيء : زهدت فيه (١٠) الغارب : الكاهل ، وذروة الشيء أعلاه

وساير عبد الله بن الحسن أبا العباس السفاح بظهر مدينة الانبار وهو ينظر الى بناء قد بناه أبو العباس ويدور به ، فأنشد عبد الله

ألم تر جوشنا لما تبنّى * بناءً نفعه لبنى بُقَيْلة

يؤمّل أن يعمر عمر نوحٍ * وأمر الله يحدث كلّ ليلة

وكان أبو العباس له مكرما ، ولحقه معظما ، فتبسم مغضباً وقال : لو علمنا لاشترطنا حق المسايرة ! فقال عبد الله : بوادر الخواطر ، وأغفال المسانح ، والله ما قلتها عن رويّة ، ولا عارضنى فيها ذكر ، وأنت أجلّ مَن أقال ، وأولى من صفح . قال صدقت خذ فى غير هذا .

ولما قتل المنصور ابنه محمدا وكان عبد الله فى السجن بعث رأسه اليه مع الربيع حاجبه فوُضع بين يديه فقال : رحمك الله أبا القاسم فقد كنت من الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يُوصل ، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ! ثم تمثل

فتىً كان يحميه عن الذل سيفهُ * ويكفيه سوآتِ الأمو راجتنابُها

ثم التفت إلى الربيع فقال له : قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة ، ومن نعيمك مثلها ، والموعد الله تعالى ! قال الربيع فما رأيت المنصور قط أكثر انكساراً منه حين أبلغته الرسالة [(١)]

أخذ العباس بن الأحنف [(٢)] هذا المعنى وقيل عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير [(٣)] فقال

فان تلحظى حالى وحالك مرةً * بنظرة عينٍ عن هوى النفس تُحجبُ

ترَىْ كل يوم مرّ من بُؤس عيشتى * يمرُّ بيوم من نعيمكِ يُحْسَبُ

---

(١) وكانت وفاة عبد الله بن الحسن فى سجن المنصور سنه ١٤٥

(٢) العباس بن الاحنف شاعر غزل رقيق الاحساس توفى سنة ١٩٢

(٣) عمارة بن عقيل شاعر فصيح كان النحويون فى البصرة يأخذون عنه اللغة. توفى سنة ٢٣٩

امرأة محمد بن عبد الله

ولما قتل المنصور محمد بن عبد الله اعترضته امرأة معها صبيان فقالت : يا أمير المؤمنين : أنا امرأة محمد بن عبد الله ، وهذان ابناه ، أيتمهما سيفك ، وأضرعهما خوفك [(١)] فناشدتك الله ياأمير المؤمنين أن تصعِّر لهما خدك فينآى عنهما رِفدك [(٢)] ولتعطفك عليهما شوابك النسب ، وأواصر الرحم [(٣)] . فالتفت إلى الربيع فقال : اردد عليهما ضِياع أبيهما . ثم قال : كذا والله أحب أن تكون نساء بنى هاشم

جعفر بن محمد

وكان أهل المدينة لما ظهر محمد أجمعوا على حرب المنصور ، ونصر محمد ، فلما ظفر المنصور أحضر جعفر بن محمد بن على بن الحسين الصادق ، فقال له : قد رأيت إطباق أهل المدينة على حربى ، وقد رأيت أن أبعث اليهم من يغوِّر عيونهم [(٤)] ويُجمِّر نخلهم [(٥)] فقال له جعفر يا أمير المؤمنين ، إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتُلى فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر ، فاقتد بأيهم شئت ، وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون ، فقال أبو جعفر : ان أحداً لا يعلمنا الحلم ، ولا يعرفنا العلم ، و إنما قلت هممت ، ولم ترنى فعلت ، وانك لتعلم أن قدرتى عليهم تمنعنى من الاساءة اليهم

وعزى جعفر بن محمد رجلا فقال : أعظِم بنعمة فى مصيبة جلبت أجراً ، وأفظِع بمصيبة فى نعمة أكسبت كفرا . هذا كقول الطائى

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وكان جعفر بن محمد يقول : إنى لأُملق أحيانا فأتاجر الله بالصدقة فيربحنى .

---

(١) أضرعه : أذله (٢) الرفد : العطاء (٣) الشوابك والأواصر هى الروابط

(٤) يغور عيونهم : يطمسها ويذهب ماءها . وفى الاصل «ينور» وهو تحريف

(٥) جمر النخلة تجميرا قطع جمارها

وقال جعفر رضى الله عنه : من تخلق بالخلق الجميل وله خلق سوء أصيل ، فتخلقه لامحالة زائل ، وهو إلى خلقه الأول آيل ، كطلى الذهب على النحاس ينسحق وتظهر صفرته للناس . وهذا كقول العرجى

يا أيها المتحلّى غير شيمتهِ * ومن خلائقه الإقصار والمَلق (١)
ارجع الى خُلْقك المعروف وارض بهِ * ان التخلق يأتى دونه الخُلُق (٢)

وكان يقول : ما توسل إلىّ أحد بوسيلة هى أقرب إلىّ من يد سبقت منى اليه ، أتبعها أختها لتحسن ربّها وحفظها (٣) لأن منع الأواخر ، يقطع لسان الأوائل ،

وقيل لجعفر رحمه الله : إن أبا جعفر المنصور لايلبس مذ صارت إليه الخلافة إلا الخِشن ، ولا يأكل إلا الجِشب (٤) فقال ياويحه مع ما مكّن له من السلطان وجُبى اليه من الخراج ! قالوا انما يفعل ذلك بخلا وجمعاً للمال . فقال : الحمد لله الذى حرمه من دنياه ما ترك له من دينه .

ومن دعاء جعفر رضى الله عنه : اللهم انك بما أنت أهل له من العفو أولى بما أنا أهل له من العقوبة

عبد الله بن معاوية

وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر عالما ، ناسباً ، وكان خطيباً مفوّها ، وشاعراً مُجيداً ، كتب إلى بعض إخوانه :

أما بعد فقد عاقنى الشك فى أمرك ، عن عزيمة الرأى فيك ، وذلك أنك ابتدأتنى بلطف عن غير خبرة ، ثم أعقبتنى جفاء عن غير جريرة ، فأطمعنى أولك فى إخائك ، وأيأسنى آخرك من وفائك ، فلا أنا فى غير الرجاء مجمع لك

---

(١) المراد من الاقصار القصور والضعف ، والملق اظهار الود ذلة وخضوعا
(٢) التخلق : تكلف المرء ماليس فيه من حسن الخلق
(٣) رب الشيء : أصلحه (٤) الجشب : هو الطعام القفار الذى لا ادام فيه

اطّراحاً ، ولا أنا فى عدم انتظاره منك على ثقة ، فسبحان من لو شاء لكشف بايضاح الشك فى أمرك ، عن عزيمة الرأى فيك ، فاجتمعنا على ائتلاف ، أو افترقنا على اختلاف ، والسلام .

وهو القائل

رأيت فُضَيلا كان شيئاً مُلفَّعا * فكشَّفه التمحيص حتى بدا ليا (١)

فأنت أخى مالم تكن لىَ حاجةٌ * فان عرَضَت أيقنتُ أن لا أخاليا

كلانا غنىٌّ عن أخيه حياتَهُ * ونحن إذا متنا أشدّ تغانيا

فلا زادَ ما بينى وبينك بعدما * ما بلوتك فى الحاجات الا تماديا

فعين الرضى عن كل عيب كليلةٌ * كما أن عين السخط تبدى المساويا

والقائل ايضا

لسنا وان أحسابُنا كَرُمَتْ * يوماً على الاحساب نَتَّكل

نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

وهذا كقول عامر ابن الطفيل قال أبو الحسن على بن سليمان الاخفش أنشدنى محمد ابن الحسن بن الحرون لعامر بن الطفيل (٢) .

تقول ابنة العمرىّ مالك بعدما * أراك صحيحاً كالسليم المعذب (٣)

فقلت لها همّى الذى تعرفينه * من الثار فى حَيَّىْ زبيد وأرحبِ

---

(١) ملفع : مغطى ، وتقول تلفع الشجر بالخضرة

(٢) عامر بن الطفيل أحد فتاك العرب وشعرائهم فى الجاهلية . ولد ونشأ بنجد وكان يأمر مناديا ينادى فى عكاظ : هل من راجل فنحمله ، أوجائع فنطعمه ، أوخائف فنؤمنه؟ أدرك الاسلام وهو شيخ فوفد على الرسول وهو فى المدينة بعد فتح مكة يريد الغدر به ولكنه لم يجرؤ عليه ، ودعاه الرسول الى الاسلام فاشترط ان يجعل له نصف ثمار المدينة وان يجعله ولى الامر من بعده ، فرده النبى فرجع مغيظا محنقا . وسمعه أحدهم يقول : لاملأنها خيلا جردا ، ورجالا مردا ، ولاربطن بكل نخلة فرسا ! فمات فى طريقه قبل ان يبلغ قومه سنة ١١ (٣) السليم : الملدوغ

إن اعزُ زيداً أغزُ قوماً أعزةً * مُركّبهم فى الحى خير مُركّب

وان أغز حيَّ خَثْعم فدماؤهم * شفاءٌ وخير الثأر للمتأوب (١)

فما أدرك الأوتار مثل محققٍ * بأجردَ طاوٍ كالعسيب المشذّب (٢)

وأسمرَ خَطّيٍّ وأبيض باتر * وزَغفٍ دِلاصٍ كالغدير المثوّب (٣)

وانى وان كنت ابن سيد عامر * وفى السّر منها والصّريح المهذّب

فما سوّدتنى عامر عن وراثة * أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكننى أحمى حماها وأتقى * أذاها وأرمى من وراها بمنكب

وقال أيضا يهنىء بعض الهاشميين بإملاك (٤)

زاد الله فى نعمته عليكم ، وبارك لكم فى فواضله ، وجميل نوافله ، ونسأل الله الذى قسم لكم ما تحبون من السرور ، أن يجنبكم ماتكرهون من المحذور ، ويجعل ما أحدثه لك زينا ، ومتاعا حسنا ، ورشداً ثابتا ، ويجعل سبيل ما أصبحت عليه ، تماما لصالح ما سموت اليه ، من اجتماع الشمل ، وحسن موافقة الأهل ، ألف الله ذلك بالصلاح ، وتممه بالنجاح ، ومد لك فى ثروة العدد ، وطيب الولد ، مع الزيادة فى المال ، وحسن السلامة فى الحال ، وقُرة العين ، وصلاح ذات البين

الحسن بن زيد

وهجا أبو عاصم محمد بن حمزة الاسلمى المدنى الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رحمة الله عليه فقال :

له حقٌ وليس عليه حقٌ * ومهما قال فالحسَن الجميلُ

وقد كان الرسول يرى حقوقاً * عليه لغيره وهو الرسولُ

---

(١) المتأوب : الذى يطرق ليلا (٢) الطاوى : الضامر ، والاجرد الحصان سقط شعره من الضمور ، والعسيب جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها ، والمشذب المقلم (٣) الاسمر الخطى : هو الرمح ، والابيض الباتر : السيف القاطع ، والزغف الدروع ، والدلاص اللينة الملساء ، والغدير المثوب : النهر المتلىء (٤) الاملاك : الزواج

فلما ولى الحسن المدينة أتاه متنكراً فى زى الأعراب فقال

ستأتى مِدحتى الحسن بن زيدٍ * وتشهد لى بصِفِّين القبورُ[(١)]

قبور لم تزل مذ غاب عنها * أبو حَسَن تُعاديها الدهور

قبور لو بأحمدَ أو علىٍّ * يلوذُ مجيرها حُمِىَ المجير

هما أبواكَ من وَضعا فَضَعْهُ * وأنت برفعِ من رَفَعَا جديرُ

فقال من أنت ؟ قال أنا الأسلمى ،قال : ادن حياكَ الله ! و بسط له رداءه وأجلسه عليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم

وكان الحسن بن زيد قد عوّد داود بن سلم مولى بنى تيم أن يصله ، فلما مدح داود جعفر بن سليمان بن على وكان بينه و بين الحسن بن زيد تباعد أغضبه ذلك[(٢)] وقدم الحسن من حج أو عُمرة فدخل عليه داود بن سلم مهنئاً فقال : أنت القائل فى جعفر بن سليمان بن على :

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفرٍ * وكان المنى فى جعفرٍ أن يؤمّرا[(٣)]

حوى المنبرين الطاهرين كليهما * إذا ما خَطَا عن منبرٍ أمّ منبرا[(٤)]

كأنّ بنى حواء صُفُّوا أمامهُ * فَخُيِّرَ فى أنسابهم فتخيرا

فقال داود : نعم جعلنى الله فداك ، فكنتم خيرة اختياره ! وأنا القائل

لعمرى لئن عاقبت أو جُدت منعماً * بعفو عن الجانى وان كان معْذِرا[(٥)]

لأنت بما قدمتَ أولى بمدحهِ * وأكرم فخراً إن فخرت وعُنصرا

هو الغرة الزهراء من فرع هاشم * ويدعو عليا ذا المعالى وجعفرا[(٦)]

وزيد الندى والسِّبط سبط محمدٍ * وعمك باللطف الزكى المطهرا

وما نال منها جعفر غير مجلس * اذا ما نفاه العزْل عنه تأخرا[(٧)]

---

(١) صفين : موضع واقعه مشهورة (٢) فى الاصل «غصه ذلك» وهى عبارة جيدة

(٣) يؤمر : يولى الامارة (٤) أم : قصد (٥) معذر : ذو العذر

(٦) الغرة : البياض فى الجبين ولها جهال خاص (٧) العزل : الضعف

بحقكمُ نالوا ذُراها وأصبحوا * يرون به عزا عليكم ومظهرا

فعاد له الحسن بن زيد إلى ما كان عليه ولم يزل يصله ويحسن اليه الى أن مات

قوله (وإن كان معذراً) لأن جعفرا أعطاه على أبياته ثلاثة ألف دينار

ابراهيم بن هرمة

ولما ولى الحسن بن زيد المدينة دخل عليه ابراهيم بن على بن هَرْمَة فقال له الحسن يا ابراهيم :

لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك ، أو خوفَ ذمّك . فقد رزقنى الله تعالى بولادة نبيه صلى الله عليه وسلم المادح ، وجنبنى القابح ، وإن من حقه علىّ أن لا أغضى على تقصير فى حق وجب ، وأنا أقسم لئن أُتيت بك سكران لأضربنك حداً للخمر ، وحداً للسكر ، ولأزيدن لموضع حرمتك بى ، فليكن تركك لها لله عز وجل تُعَنْ عليه ، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم

فنهض ابن هَرمة وهو يقول :

نهانى ابنُ الرسول عن المدامِ * وأدبنى بآداب الكرام

وقال لىَ اصطبرْ عنها ودعها * لخوف الله لا خوف الأنام

وكيف تصبُّرى عنها وحُبى * لها حُبٌّ تمكَّن فى عظامى

أرى طيب الحلال علىّ خُبثاً * وطيب العيش فى خبث الحرام

وكان ابراهيم منهوماً فى الخمر ، وجلده خيثم ابن عراك صاحب شُرْطة المدينة لرباح بن عبد الله الحارثى فى ولاية أبى العباس

ولما وفد على أبى جعفر المنصور ومدحه ، استحسن شعره ووصله ، وقال له : سل حاجتك . قال تكتب لى إلى عامل المدينة أن لا يحدّنى اذا أُتِىَ بى سكران فقال أبو جعفر : هذا حدٌّ من جدود الله تعالى لا يجوز أعطلّه قال فاحْتلْ لى يا أمير

المؤمنين ! فكتب الى عامل المدينة « من أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين » فكان الشرط يمرون به مطروحاً فى سكك المدينة فيقولون: من يشترى مائة بثمانين ! !

موسى بن عبد الله

وقال موسى بن عبد الله بن على بن أبى طالب

اذا أنا لم أقبل من الدهر كلّ ما * تكرّهت منه طال عتْبى على الدهرِ
الى الله كلُّ الأمر فى الخلق كلهم * وليس الى المخلوق شئ من الأمر
تعودتُ مسّ الضر حتى ألِفْتُه * وأسلَمَنى طولُ البلاءِ الى الصبرِ
ووسّع صدرى للأذى الأُنس بالأذى * وان كنتُ أحياناً يضيق به صدرى
وصيّرنى يأسى من الناس راجياً * لسُرْعة لطف الله من حيث لا أدرى

وموسى بن عبد الله هو القائل

تولّت بهجة الدنيا ☆ فكل جديدها خَلَقُ (١)
وخان الناس كلهمُ ☆ فما أدرى بمَنْ أثقُ
رأيت معالم الخيرا ☆ تِ سُدّت دونها الطرُق
فلا حَسبٌ ولا نسبٌ ☆ ولا دِين ولا خُلُق
فلست مصدّق الأقوا ☆ م فى شئ وان صدقوا

وكان المنصور حبسه لخروجه عليه مع أخويه ثم ضربه ألف سوط فما نطق بحرف واحد ، فقال الربيع : عذرت هؤلاء الفساق فى صبرهم ، فما بال هذا الفتى الذى نشأ فى النعمة والدّعة ؟ فقال :

انى من القوم الذين يزيدهم * جَلَداً وصبراً قسوة السلطانِ

---

(١) الخلق ، بفتحتين ، البالى

وولدت هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة موسى ولها ستون سنة.
ولا يعلم امرأة ولدت بنت ستين سنة إلا قرشية

الجناح المهيض

اجتاز على بن محمد العلوى بالجسر بحِدْثان [١] قتل عمر بن يحيى بن عبد الله بن الحسن وقاتله الحسين بن اسماعيل هناك قد جرد رجلا للقتل فلما رأت أم الرجل عليا سألته أن يشفع فيه فقال على إلى الحسين فأنشده

قتلت أبرّ من ركب المطايا * وجئتك أستلينك بالكلام
وعزّ علىّ أن ألقاك إلاّ * وفيما بيننا حدّ الحسام
ولكن الجناح اذا أصيبت * قوادمهُ يرف على الأكام [٢]

فقال : وما حاجتك ؟ قال العفو عن ابن هذه المَرأة ، فتركه

العباس بن الحسين

وسئل العباس بن الحسين عن رجل فقال لجليسه : أطرب من الإبل على الحِداء، ومن الثمِل على الغناء

وذكر العباس رجلا فقال : ما الحِمام على الأحرار ، وطول السقم في الأسفار وعِظَم الدَّين على الاقتار ، بأشدّ من لقائه

وقال العباس بن الحسين للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إن لساني ينطق بمدحك غائبا ، وقد أحببت أن يتزيد عندك حاضراً ، أفتأذن يا أمير المؤمنين في الكلام؟ فقال له : قل ، فوالله انك لتقول فتُحسِن ، وتحضر فتزين ، وتغيب فتؤتمن . فقال ما بعد هذا كلام يا أمير المؤمنين أفتأذن بالسكون ؟ قال : اذا شئت

---

(١) حدثان الامر : أوله ، وهو بكسر الحاء وسكون الدال (٢) القوادم : مقدم الريش ولا كذلك الخوافى ، والأكام : جمع أكمة

وذكر رجلا بليغا فقال : ما شبهت كلامه إلا بثعبان ينهال بين رمال ، وماء يتغلغل بين جبال

وسمع المنتجع بن نبهان كلام العباس بن الحسين فقال : هذا كلام يدل سائره ، على غابره [١] وأوله على آخره . وسأل المأمون العباس بن الحسين عن رجل فقال : رأيت له حلما وأناة ، ولم أسمع لحنا ولا إحالة [٢] يحدثك الحديث على مطاويه [٣] وينشدك الشعر على مدارجه .

وكان المأمون يقول : من أراد أن يسمع لهواً بلا حرَج فليسمع كلام العباس

والعباس بن الحسين من أشعر الهاشميين وهو يعدّ فى طبقة ابراهيم بن المهدى ، وهو القائل

أتاح لك الهوى بيض حسانٌ * سَبَينكَ بالعيون وبالشعورِ [٤]
نظرت الى النحور فكدت تقضِي * وأولى لو نظرت الى الخصورِ [٥]

وهو القائل أيضاً

صادتك من بعض القصورْ * بيضٌ نواعمُ فى الخدورْ
حُورٌ تحور الى صِبا * كَ بأعين منهنّ حُورْ [٦]
وكأنما بثغورهنَّ * جنى الرُّضاب من الخمور [٧]
يصبغن تفاح الخدو * دِ بماء رمّان الصدور

وهو العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، وأم عبيد الله جده بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب عم محمد بن على أبى الخلفاء

وكان الرشيد والمأمون يقربان العباس غاية التقريب لنسبه وأدبه ، قال أبو دُلَف دخلت على الرشيد وهو فى طارمة على طَنْفَسة [٨] ومعه عليها شيخ جميل المنظر

---

(١) سائره : باقيه، وغابره : ماضيه (٢) الاحالة : التكلم بالمحال (٣) على مطاويه : على خفاياه (٤) انظر «سواد الشعر» فى كتاب «أفنان الجمال» (٥) تقضى : تهلك — (٦) تحور : تميل (٧) الرضاب : الريق (٨) الطارمة : بيت من خشب كالقبة

فقال لى الرشيد : يا قاسم ما خبر أرضك ؟ فقلت يا أمير المؤمنين ، خراب يباب ، أخربها الأكراد والأعراب ، فقال قائل : هذا آفة الجبل ، وهو أفسده ، فقلت أنا أصلحه ، قال الرشيد: وكيف ذلك ؟ قلت أفسدته وأنت علىّ وأصلحه وأنت معى فقال الرشيد : إن همته لترمى به من وراء سِنِّه مرمى بعيداً

فسألت عن الشيخ فقيل: العباس بن الحسين . وكان أبو دلف ذلك الوقت صغير السن

موسى بن جعفر

ولقى موسى بن جعفر [1] رضى الله عنه محمدا بن الرشيد الأمين بالمدينة وموسى على بغلة فقال للفضل بن الربيع : عاتب هذا ، فقال له الفضل : كيف لقيت أمير المؤمنين على هذه الدابة التى ان طَلَبتَ عليها لم تسبق ، وان طُلبت عليها تُلحق ؟ فقال: لست أحتاج أن أطلُب ، ولا إلى أن أُطلَب ، ولكنها دابة تنحط عن خُيلاء الخيل ، وترتفع عن ذِلة العَيْر [2] وخير الأمور أوساطها

على بن موسى

أصيب على بن موسى بمصيبة فصار اليه الحسن بن سهل فقال : إنا لم نأتك مُعزِّين ، بل جئناك مقتدين ، فالحمد لله الذى جعل حياتكم للناس رحمة ، ومصائبكم لهم قدوة .

وكان علىّ بن موسى الرضى رحمه الله قد ولاه المأمون عهده ، وعقد له الخلافة بعده ، ونزاع السواد عن بنى العباس وامرهم بلباس الخضرة [3] ومات على بن موسى

---

(١) كان موسى بن جعفر سيدا من سادات بنى هاشم واماما مقدما فى العلم والدين ولد فى الابواء — قرب المدينة — سنة ١٢٨ وتوفى فى بغداد سنة ١٨٣ (٢) العير : الحمار

(٣) وكان لباس الخضرة شعار أهل البيت . وكان من اثر نزع السواد عن بنى العباس أن اضطرب العراق وثار أهل بغداد فخلعوا المأمون وهو بطوس وبايعوا عمه ابراهيم ابن المهدى فقصدهم المأمون بجيشه فاختبأ ابراهيم ثم استسلم وعفا عنه المأمون

فى حياة المأمون بطوس ، فشق قبر الرشيد ودفن فيه تبركا به ، وكان الرشيد قد مات بطوس فدفن هناك [(١)] ولذلك قال دعبل بن على الخزاعى

اربعْ بطوسٍ على قبر الزكىّ بها * ان كنت تربع من دين على وَطَرٍ [(٢)]

ما ينفع الرجس من قرب الزكى ولا * على الزكى بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرىء رَهن بما كسبت * له يداه فخذ من ذاك أو فذَرِ

قبران فى طوس خير الناس كلهمِ * وقبر شرهم هذا من العبر

دعبل بن على

وكان دعبل مداحا لأهل البيت ، كثير التعصب لهم ، والغلو فيهم . وله المرثية المشهورة ، وهى من جيد شعره ، وأولها

مدارس آياتٍ عفت من تلاوةٍ * ومنزل وحى مُقفرُ العَرَصاتِ [(٣)]

لآل رسول الله بالخيَف من منًى * وبالبيت والتعريف والجمرات

ديار علىٍّ والحسين وجعفرٍ * وحمزة والسجّاد ذى الثفنات

قِفا نسأل الدار التى خَفّ أهلها * متى عهدها بالصوم والصلوات

وأين الألى شطت بهم غَربة النوى * أفانين فى الآفاق مفترقات [(٤)]

أُحب قَصِىّ الدار من أجل حبهم * وأهجر فيهم أسرتى وثِقاتى

وهى طويلة

ولما دخل المأمون بغداد أحضر دعبلا بعد أن أعطاه الأمان وكان قد هجاه وهجا أباه ، فقال : يادعبل ! من الحضيض الأوهد ؟ فقال ياأمير المؤمنين قد عفوت عمن هو أشد جُرما منى ! أراد المأمون قول دعبل يهجوه :

انى من القوم الذين سيوفهم * قتلت اخاك وشرفتك بمقعدِ

---

(١) كانت وفاة على بن موسى سنة ٢٠٣ (٢) ربع : أقام ، والوطر : الحاجة

(٣) العرصات : الساحات (٤) غربة النوى : بعده

شادوا بذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الأوهد

يفتخر عليه بقتل طاهر بن الحسين بن مصعب ذى اليمينين اخاه محمدا ، وطاهر مولى لخزاعة ، فاستنشده هذه القصيدة الثانية فاستعفاه فقال : لابأس عليك ، وقد رويتها وانما احببت ان اسمعها منك ، فأنشدها دعبل ، فلما انتهى الى قوله :

ألم ترانى مُذْ ثلاثين حِجةً * اروح واغدو دائم الحسرات

أرى فيئهم فى غيرهم متقسَّماً * وأيديهمُ من فيئهم صفِرات [1]

إذا وُتروا مدّوا الى أهل وِترهم * أكفاً عن الأوتار منقبضات

وآل رسول الله نُحْفٌ جسومهم * وآل زياد غُلَّظ القَصَرات [2]

بنات زيادٍ فى القصور مصونةٌ * وبنت رسول الله فى الفَلَوات

بكى المأمون وجدد له الأمان وأحسن له الصلة

والشيء يستدعى ما قرع بابه ، وجذب أهدابه [3] قال سليمان بن قتيبة

مررت على أبيات آل محمدٍ ☆ فلم أرَها عهدى بها يوم حُلّتِ [4]

فلا يبعد الله الديار وأهلها ☆ وان أصبحت من أهلها قد تخلّتِ [5]

وكانوا رجاء [6] ثم عادوا رزيةً ☆ ألا عظُمَت تلك الرزايا وجلّتِ

وان قتيل الطفّ من آل هاشم ☆ أذلَّ رقاب المسلمين فذلتِ [7]

ويشبه قوله ☆ وكانوا رجاء ثم عادوا رزية ☆ قول امرأة من العرب مرت بالجسر بجثة جعفر بن يحيي البرمكى مصلوبا [8] فقالت

لئن أصبحت نهاية فى البلاء ، لقد كنت غاية فى الرجاء

---

(١) صفرات : خاليات (٢) القصرات : أصول العنق جمع قصرة بفتحتين

(٣) هكذا وقع هذا الكلام فى النسخ التى بأيدينا والظاهر انه سقطت بعض عبارات يراد بها التمهيد للمضى فى ذكر بعض الشواهد التى تتحدث عن بكاء أهل البيت

(٤) رواية الحماسة «فلم أرها أمثالها» (٥) رواية الحماسة « وان أصبحت منهم برغمى تخلت » (٦) رواية الحماسة « وكانو غياثا » (٨) الطف : موضع قرب الكوفة ، ورواية الحماسة : « ألا ان قتلى الطف من آل هاشم أذلت » (٨) جعفر بن يحى كان وزير

اوصاف الاشراف

(ألفاظ لأهل العصر فى أوصاف الاشراف لها فى هذا الموضع موقع)

— فلان من شرف العنصر الكريم ، ومعدن الشرف الصميم ، أصل راسخ ، وفرع شامخ ، ومجد باذخ ، وحسب شاذخ (١)

— فلان كريم الطرفين ، شريف الجانبين ، قد ركب الله دَوْحته فى قرارة المجد وغرس نبعته فى محل الفضل.

— أصل شريف ، وعرق كريم ، ومغرس عظيم ، ومغرز صميم

— المجد لسان أوصافه ، والشرف نسب أسلافه

— نسب فخم ، وشرف ضَخْم ، يستوفى شرف الأرومة (٢) بكرم الأبوة والأمومة وشرف الخؤولة والعمومة.

— ما أتته المحاسن عن كلالة (٣) ولا ظفر بالهدى عن ضلالة ، بل تناول المجد كابرا عن كابر ، وأخذ الفخر عن أسِرّة ومنابر

شرفٌ تنقّل كابراً عن كابر ☆ كالرمح أُنبوبا على أُنبوب (٤)

— استقى عرقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ثدى الرسالة ، وتهدلت أغصانه عن نبعة الإمامة ، وتبجبجت أطرافه فى عَرصة الشرف والسيادة (٥) وتفقأت بيضته عن سُلالة الطهارة (٦).

الرشيد يبرم وينقض فى الدولة ماشاء الى أن ثار الرشيد بالبرامكة فقتله فيمن قتل منهم وكان جعفر فصيح المنطق بليغ القول ولد فى بغداد سنة ١٥٠ وتوفى سنة ١٨٧.

(١) شامخ وباذخ وشاذخ مترادفات بمعنى عال (٢) الارومة الأصل

(٣) الكلالة : ماعدا الوالد من الاقرباء (٤) الانبوب : القصبة

(٥) تبجبجت : تمكنت ، والعرصة : الساحة (٦) تفقأت : تفتحت

— قد جذب القرآن بضبعه (١) وشق الوحى عن بصره وسمعه

— مختار من اكرم المناسب ، منتخب من أشرف العناصر ، مرتضى من أعلى المحاتد ، مؤثر من العشائر

— قد ورث الشرف جامعا عن جامع ، وشهد له نداء الصوامع

— هو من مضر فى سويداء قلبها ، ومن هاشم فى سواد طرفها ، ومن الرسالة فى مهبط وحيها ، ومن الامامة فى موقف عزها

— ينزع الى المحامد بنفس وعرق ، ويحن الى المكارم بوراثة وخلق

— يتناسب اصله وفرعه ، ويتناصف بحره وطبعه ، وهو الطيب اصله وفرعه ، الزكى بذره وزرعه

— يجمع إلى عز النصاب ، مزية الآداب

— لا غرو ان يجرى الجواد على عرقه ، وتلوح مخايل الليث فى شبله ، ويكون النجيب فرعا مشيداً لأصله

— له مع نباهة شرفه ، نزاهة سلفه ، ومع كرم ارومته وحزمه ، مزية أدبه وعلمه

— لن تخلف ثمرة غرس ارتيد لها من المنابت ازكاها ، ومن المغارس أطيبها ، وأغذاها وأنماها

— قد جمع شرف الاخلاق ، الى كرم الانساب

— له فى المجد أول وآخر ، وفى الكرم تليد وطارف ، وفى الفضل حديث وقديم

— لا غرو أن يغمر فضله وهو نجل الصيد الأكارم ، أو يغزر علمه وهو فيض البحور الخضارم (٢)

— دوحة رسب عرقها ، وسمق فرعها (٣) وطاب عودها ، واعتدل عمودها ، وتفيأت ظلالها ، وتهدلت ثمارها ، وتفرعت أغصانها ، وبرد مقيلها

— مجد يلحظ الجوزاء من عال ، ويطول النجم كل مطال

---

(١) جذب بضبعه : نوه به (٢) الخضارم جمع خضرم بكسر الخاء والراء وهو الواسع

(٣) سمق : ارتفع

ـ شرف تضع له الأفلاك خدودها وجباهها ، وتلثم النجوم أرضه بأفواهها وشفاهها
ـ نسب المجد به عريق ، وروض الشرف به أنيق ، ولسان الثناء بفضله نَطُوق .
ـ فلك المجد عليه يدور ، ويد العلى اليه تشير، محله شاهق ، ومجده باسق

الابتداء بحمد الله

قد تم ما استفتحت به التأليف ، وجعلته مقدمة التصنيف ، مع ما اقترن به وانضاف اليه ، والتف به وانعطف عليه ، ورأيت أن أبتدئ مقدمات البلاغات بغُرَر التحاميد وأوصافها ، وما يتعلق بأثنائها وأطرافها

وقد قال سهل بن هارون فى أول كتاب عمله :

ـ يجب على كل مبتدئ مقالة أن يبتدئ بحمد الله قبل استفتاحها ، كما بُدِئ بالنعمة قبل استحقاقها

ولأهل العصر :

ـ أولى ما فَغَر به الناطق فمه[1] وافتتح به كلمه ، حمد الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه
ـ حمد الله خير ما ابتُدئ به القول وخُتم ، وافتُتح به الخطاب وتُمم .

وقال ابو العباس عبد الله بن المعتز بالله :

ـ ان الله جل ثناؤه لا يمثَّل بنظير ، ولا يُغلب بظهير[2] جل عن موقع تحصيل أدوات البشر ، ولَطُفَ عن ألحاظ خطرات الفِكَر ، لا يحمد إلا بتوفيق منه يقتضى حمداً ، فمتى تحصى نعماؤه ، وتكافأ آلاؤه

ـ عجز اقصى الشكر عن اداء نعمته ، وتضاءل ماخلق فى سعة قدرته ، قدر فقدّر ، وحكم فأحكم ، وجعل الدين جامعاً لشمل عباده ، والشرائع مناراً على سبيل طاعته يتبعها اهل اليقين به ، ويحيد عنها اهل الشك فيه

---

(١) فغر : فتح (٢) الظهير : المعين

محمود الوراق

أخذ أبو العباس قوله (ولا يحمد إلا بتوفيق منه يقتضى حمدا) من قول محمود بن الحسين الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمةً * علىَّ له فى مثلها يجب الشكرُ
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا عمّ بالسراء عمّ سرورُها * وان مَسّ بالضراء أعقبها الاجرُ
فما منهما إلا له فيه نعمةٌ * تضيق بها الأوهام والبر والبحر

وانما أخذه محمود من قول أبى العتاهية

أحمد الله فهو ألهمنى الحمـ * ـد على الحمد والمزيد لديهِ
كم زمان بكيت فيه فلما * صرت فى غيره بكيت عليهِ

وقد اضطربت الرواية فى هذين البيتين وقائلهما ، وهذا البيت الثانى كثير (١)

قال ابراهيم بن العباس :

كذاك أيامنا لاشك نندبها * اذا تقضّت ونحن اليوم نشكوها

آخر:

وما مرّ يوم أرتجى فيه راحة * فأفقدهُ إلا بكيت على أمسِ

ومحمود القائل ايضا

تعصى الاله وانت تظهر حبهُ * هذا محال فى القياس بديعُ
لو كان حبك صادقاً لأطعته * ان المحب لمن احبّ مطيعُ

وكان كثيراً ما ينقل أخبار الماضين ، وحكم المتقدمين ، فيحلى بها نظامه ، ويزين بها كلامه، وهو القائل

---

(١) يريد ان الشعراء رددوا هذا المعنى كثيرا . ومن جيد ماصور به هذا المعنى قول سعيد بن حميد:

لم أبك من زمن ذممت صروفه * إلا بكيت عليه حين يزول

إنى وهبت لظالمى ظلمى * وشكرت ذاك له على علمى
ورأيته أسدى إلىّ يداً * لما أبان بجهله حلمى
رجعت إساءته عليه ولى * فضلٌ فعاد مضاعفَ الجُرم
فكأنما الاحسان كان له * وأنا المسيء اليه فى الزعم
ما زال يظلمنى وأرحمهُ * حتى رثيت له من الظلم

وهو القائل

أرانى اذا ما ازددت مالاً وثروةً * وخيراً الى خير تزايدت فى الشرِّ
فكيف بشكر الله ان كنت إنما * أقوم مقام الشكر لله بالكفرِ
بأىّ اعتذارٍ أو بأية حجةٍ * يقول الذى يدرى من الأمر ما أدرى
اذا كان وجه العذر ليس ببيّنٍ * فان اطّراح العذر خير من العذر

البيان

ولابن المعتز :

البيان تَرْجمان القلوب ، وصَيْقل العقول ، ومُجلِّى الشبهة ، وموجب الحجة والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ، وهو من سلطان الرسل الذى انقاد به المصعب (١) واستقام الأَصْيَد (٢) وبُهت الكافر ، وسلّم الممتنع، حتى أشِب الحق بأنصاره (٣) وخلا ربع الباطل من عُمَّاره

وخير البيان ما كان مصرحا عن المعنى ، ليسرع الفهم الى تلقّيه ، وموجزاً ليخف على اللفظ تعاطيه

وفضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ، وظاهر غير خفى ، يشهد بذلك عجز المتعاطين ، ووهن المتكلفين ، وتحيُّر الكذابين ، وهو المبلغ

(١) المصعب : الفحل الصعب القياد . وفى الاصل «المستصعب» وأرجح انه تحريف
(٢) الأصيد : المائل العنق كبرا (٣) أشب : تجمع وقوى

الذى لا يُمل ، والجديد الذى لا يَخلَق [١] والحق الصادع ، والنور الساطع ، والماحى لظُلَم الضلال ، ولسان الصدق النافى للـكذب ، ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك وناعى الدنيا المنقولة ، و بشير الآخرة المخلدة ، ومفتاح الخير ، ودليل الجنة ، إن أوجز كان كافياً ، وان أكثر كان مذكراً ، وإن أومأ [٢] كان مُقنعا ، وان أطال كان مفهما ، وان أمر فناصحا ، وان حكم فعادلا ، وان أخبر فصادقا ، وان بيّن فشافيا سهلٌ على الفهم ، صعبٌ على المتعاطى ، قريب المأخذ ، بعيد المرام ، سراج تستضىء به القلوب ، حلوٌ اذا تذوّقته العقول ، بحر العلوم ، وديوان الحِكَم ، وجوهر الـكلِم ، ونزهة المتوسمين ، وروح قلوب المؤمنين ، نزل به الروح الأمين على محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، فخصَمَ الباطل ، وصدع بالحق ، وتألّف من النفرة ، وأنقذ من الهلـكة ، فوصل الله له النصر ، وأضرع به خد الـكفر [٣]

الـكلام البليغ

قال على بن عيسى الرمانى [٤] : البلاغة ما حُط التكلف عنه [٥] ، و بنى على التبيين ، وكانت الفائدة أغلب عليه من القافية ، بأن جمع مع ذلك سهولة المخرج ، مع قرب المتناول ، وعذوبة اللفظ ، مع رشاقة المعنى ، وأن يكون حُسْن الابتداء كحسن الانتهاء ، وحُسن الوصل ، كحسن القطع ، فى المعنى والسمع ، وكانت كل

---

(١) لا يخلق : لا يبلى (٢) اومأ : أشار (٣) أضرع : أذل

(٤) وكان يعرف أيضا بالاخشيدي وبالوراق وهو بالرمانى أشهر — كما ذكر السيوطى فى بغية الوعاة — كان اماما فى العربية علامة فى الادب فى طبقة الفارسى والسيرافى وكان يمزج النحو بالمنطق حتى قال الفارسى : ان كان النحو مايقوله الرمانى فليس معنا منه شىء وان كان النحو مانقوله نحن فليس معه منه شىء . وكان معتزليا بصيرا بعلم الـكلام . ولد سنة ٢٧٦ وتوفى فى ١١ جمادى الاولى سنة ٣٨٤

(٥) الضمير عائد على الـكلام البليغ المفهوم من البيان

كلمة قد وقعت فى حقها ، و إلى جنب اختها ، حتى لا يقال لو كان كذا فى موضع كذا لكان أولى ، وحتى لايكون فيه لفظ مختلف ، ولا معنى مستنكر ، ثم ألبس بهاء الحكمة ونور المعرفة ، وشرف المعنى ، وجزالة اللفظ ، وكانت حلاوته فى الصدر وجلالته فى النفس ، تفتق الفهم ، وتنثر دقائق الحكم ، وكان ظاهر النفع شريف القصد ، معتدل الوزن ، جميل المذهب ، كريم المطلب ، فصيحا فى معناه ، بينا فى فحواه ، وكل هذه الشروط قد حواها القرآن ، ولذلك عجز عن معارضته جميع الأنام

وصف القرآن

ألفاظ لأهل العصر فى ذكر القرآن

— القرآن حبل الله الممدود ، وعهده المعهود ، وظله العميم ، وصراطه المستقيم ، وحجته الكبرى ، ومحجته الوسطى ، وهو الواضح سبيله ، الراشد دليله ، الذى من استضاء بمصابيحه أبصر ونجا ، ومن أعرض عنه ضلّ وهوى .

— فضائل القرآن لاتستقصى فى ألف قرن ، حجة الله وعهده ، ووعيده ووعده ، به يعلم الجاهل ، ويعمل العامل ، و يتنبه الساهى ، ويتذكر اللاهى ، بشير الثواب ونذير العقاب ، وشفاء الصدور ، وجلاء الأمور ، من فضائله أنه يقرأُ دائماً ، و يكتب ويملى ، ولا يمل

— ما أهون الدنيا على من جعل القرآن إمامه ، وتصور الموت أمامه

— طوبى لمن جعل القرآن مصباح قلبه ، ومفتاح لُبِّه

— من حق القرآن حفظ ترتيبه ، وحسن ترتيله

قال بعض الحكماء : الحكمة موقظة للقلوب من سِنة الغفلة ، ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة ، ومحيية لها من موت الجهالة ، ومستخرجة لها من ضيق الضلالة ، لم دواء للقلوب العليلة ، ومشحذ للأذهان الكليلة ، ونور فى الظلمة ، وأنس

فى الوحشة ، وصاحب فى الوحدة ،وسمير فى الخلوة ، ووصلة فى المجلس ، ومادة للعقل ، وتلقيح للفهم ، وناف للعِيّ المزرى بأهل الاحساب ، المقصر بذوى الألباب. أنطق الله سبحانه أهله بالبيان الذى جعله صفة لكلامه فى تنزيله، وأيَّد به رسله ايضاحا للمشكلات ، وفصلا بين الشبهات ، شرّف به الوضيع ، وأعز به الذليل ، وسوَّد به المسود ، من تحلى بغيره فهو معطَّل ، ومن تعطل منه فهو مغفل ، لاتبليه الأيام ، ولا تخترمه الدهور ، يتجدد على الابتذال ، ويزكو على الانفاق ، لله على ما منَّ به على عباده الحمد والشكر

ماهية البلاغة

قيل لعمرو بن عبيد ما البلاغة ؟ قال : ما بلّغك الجنة ، وعدل بك عن النار وبصَّرك مواقع رشدك ، وعواقب عملك . قال السائل: ليس هذا أريد ، قال : من لم يُحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول، قال ليس هذا أريد . قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنَّا معشر الأنبياء فينا بكْءٌ ، أى قلة كلام (١) وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله قال السائل : ليس هذا أريد قال : كانوا يخافون من فتنة القول ، ومن سقطات الكلام ما لايخافون من فتنة السكوت ، وسقطات الصمت ، قال ليس هذا أريد ، قال عمرو ياهذا فكأنك تريد تحبير اللفظ (٢) فى حسن الإفهام ، قال نعم ، قال إنك إن أردت تقرير حجة الله عز وجل فى عقول المكلفين ، وتخفيف المؤونة على من المستمعين، وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين ، بالألفاظ الحسنة فى الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة فى سرعة إجابتهم ، ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، واستوجبت

(١) وفى الاصل «فيناتلكا» وهو تحريف

(٢) تحبير اللفظ : تحسينه . قالوا: «وكان مهلهل يحبر شعره»

من الله جزيل الثواب ، فقيل لعبد الكريم بن روح الغفارى من هذا الذى صبر له عمرو هذا الصبر ؟ قال سألت عن ذلك أباحفص الشمرى فقال: ومن يجترىء عليه هذه الجرأة إلا حفص بن سالم ؟

عمرو بن عبيد

وعمرو بن عبيد بن باب هو رئيس المعتزلة فى وقته ، وهو أول من تكلم على المخلوق ، واعتزل مجلس الحسن البصرى ، وهو أول المعتزلة [١]

ودخل عمرو بن عبيد على أبى جعفر المنصور فقال : عظنى . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها ، ياأمير المؤمنين إن هذا الأمر لو كان باقيا لأحد قبلك ، ما وصل اليك ، ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرمَ ذات العماد ؟ فبكى المنصور حتى بلّ ثوبه ، ثم قال: حاجتك ، ياأباعثمان وكان المنصور لما دخل عليه طرح عليه طيلساناً . فقال: يرفع هذا الطيلسان عنى ؟ فرفع ، فقال له أبو جعفر : لاتدع إتياننا ! قال : نعم ، لايضمنى وإياك بلد إلا دخلت اليك ولا بدَتْ لى حاجة إلا سألتك ، ولكن لاتعطنى حتى أسألك ، ولا تدعُنى حتى آتيك ، قال : إذاً لاتأتينا أبداً !

وقد روى مثل هذا لابن السماك مع الرشيد ، وقوله (لو كان هذا الأمر باقياً لأحد قبلك ما وصل اليك) كقول ابن الرومى

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة * إذا زال عن عين البصير غطاؤها
وكيف بقاء الناس فيها وإنما * يُنال بأسباب الفناء بقاؤها

ووعظ شبيب بن شيبة المنصور فقال: يا أمير المؤمنين ، إن الله لم يجعل فوقك أحداً ، فلا تجعل فوق شكره شكرا .

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده المهدى فقال له : هذا ابن أخيك

---

(١) ارجع الى مناقشة آراء المعتزلة وأهل السنة فى كتاب «الاخلاق عند الغزالى»

المهدى ولىّ عهد المسلمين ، فقال : سميته اسما لم يستحق حمله ، و يفضى اليك الأمر وأنت عنه مشغول

وكان عمرو بن عبيد يقول : اللهم أغننى بالافتقار اليك ، ولا تفقرنى بالاستغناء عنك

وقال له المنصور يا أبا عثمان ، أعنّى بأصحابك ، قال ياأمير المؤمنين ، أظهر الحق يتبعك أهله !

وقال عمر الشمرى : كان عمرو بن عبيد لايكاد يتكلم ، وإن تكلم لم يكد يطيل ، وكان يقول : لاخير فى المتكلم ، إذا كان كلامه لمن يشهده دون قائله ، واذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ، ولا خير فى شىء يأتيك به التكلف[1]

البلاغة عند أهل الهند

قال معمر ابن الاشعث قلت لبهلة الهندى أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند : ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهلة عندنا فى ذلك صحيفة مكتوبة ، ولكننى لا أحسن ترجمتها ، ولم أعالج هذه الصناعة ، فأثق من نفسى بالقيام بخصائصها ، ولطيف معانيها ، قال ابن الاشعث فتلقيت تلك الصحيفة المترجمة فاذا فيها :

أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيبَ رابطَ الجأش[2] ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخيَّر اللفظ ، لايكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السُّوقة ، ويكون فى قُواه فضلُ التصرف فى كل طبقة ، ولايدقق المعانى كل التدقيق ، ولاينقح الالفاظ كل التنقيح ، ولايصفّيها كل التصفية ،

---

(١) وكانت وفاة عمرو بن عبيد سنة ١٤٤

(٢) الجأش : الصدر ، ومثله الجؤشوش بضم الجيم

ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما ، قد تعود حذف فضول الكلام ، واسقاط مشتركات الالفاظ ، وقد نظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ، لا على جهة التصفح والاعتراض (١) ووجه التظرّف والاستظراف

البلاغة فى رأى ابن المقفع

قال اسحاق بن حسان ابن قوهى لم يفسر أحد البلاغة تفسير عبدالله بن المقفع إذ قال :

البلاغة اسم لمعانٍ تجرى فى وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون فى الاستماع ، ومنها ما يكون فى السكوت ، ومنها ما يكون فى الاشارة ، ومنها ما يكون فى الحديث ، ومنها ما يكون فى الاحتجاج ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون ابتداءا ، ومنها ما يكون جوابا ، ومنها مايكون سجعا ، ومنهاما يكون خُطبا ، ومنهامايكون رسائل ؛ فغاية هذه الأبواب الوحى فيها والاشارة الى المعنى ، والأيجاز هو البلاغة فاما الخطب فيما بين السِّماطين (٢) وفي اصلاح ذات البين ، فالاكثار فى غير خَطَل (٣) والاطالة فى غير إملال ، ولكن ليكن فى صدر كلامك ، دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذى اذا سمعت صدره عرفت قافيته كأنه يقول : (فرّق بين صدر خطبة النكاح ، وخطبة العيد ، وخطبة الصلح ، وخطبة التواهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه (٤)) فانه لاخير فى كلام لايدل على معناك ، ولا يشير إلى مغزاك ، و إلى العمود الذى اليه قصدت ، والغرض الذى اليه نزعت

(١) التصفح : تقليب الصفحات (٢) بين السماطين : الصفين

(٣) الخطل : السخف (٤) ماوضعناه بين قوس أثبته المؤلف توضيحا لكلام ابن المقفع

فقيل له : فان ملّ المستمع الاطالة التى ذكرت أنها حق ذلك الموضع ؟ قال: إذا أعطيت كل مقام حقه ، وقمت بالذى يجب من سياسة الكلام ، وأرضيت من يعرف حقوق ذلك ، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ، فانهما لا يرضيان بشىء ، فأما الجاهل فلست منه وليس منك، ورضا جميع الناس شىء لا ينال

الاطالة والايجاز

وقد مدحوا الاطالة فى مكانها كما مدحوا الايجاز فى مكانه ، قال أبو داود ابن جرير فى خطباء اياد

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحْىَ الملاَحظ خِيفة الرقباءِ[1]

قال أبو وَجْزة السعدى يصف كلام رجل .

يكفى قليلُ كلامه وكثيرُهُ * ثَبْتٌ اذا طال النِّضال مُصيبُ[2]

وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد[3] ولم يسم قائله، وهو مولَّد ولم يُنْقصه توليده من حظ القديم شيئاً

طَبيبٌ بداء فنون الكلام * فلم يَعْىَ يوماً . ولم يهذرِ
فانْ هو أطنبَ فى خُطبةٍ * قضَى للمُطيل على المُنزِرِ[4]
وإن هو أوْجزَ فى خُطبةٍ * قضى للمُقلّ على المُكثرِ

وقال آخر يصف خطيباً :

فاذا تكلَّمَ خِلْتَهُ متكلِّماً * بجميع عِدّةِ أَلْسُنِ الخطباءِ
فكأن آدم كان علَّمَهُ الذى * قد كان علَّمهُ من الأسماءِ

(١) المراد من وحى الملاحظ اشارة العيون (٢) ثبت : متثبت (٣) كان المبرد امام العربية ببغداد فى زمانه وكان فصيحا بليغا مفوها صاحب نوادر وظرف وكان جميلا ، لاسيما فى صباه ، ولما صنف المازنى كتاب الالف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب فقال له : قم فأنت المبرد، بكسر الراء ، أى المثبت للحق ، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء . ولد فى سنة ٢١٠ وتوفى سنة ٢٨٥ (٤) المنزر : المقلل

وكان أبو داود يقول : تخْليص المعانى رِفْق ، والاستعانة بالغريب عَجْز ، والتَّشديق فى الإعراب نقص ، والنظر فى عيون الناس عِىّ ، ومَسُّ اللحية هُلْك ، والخروج عما بُنِىَ عليه الكلام إسهاب .

وقال بعضهم يهجو رجلا بالعىّ

مَلِىءٌ بِبُهْرٍ والتفاتٍ وسعلةٍ * ومَسْحَةِ عُثْنُونٍ وفتل الأصابعِ (١)

ووصف العتابى (٢) رجلا بليغا فقال :

كان يُظهر ما غَمَض من الحجّة ، ويصوّر الباطل فى صورة الحق ، ويُفهمك الحاجة من غير إعادة ولا استعانة .

قيل له : وما الاستعانة ؟ قال : يقول عند مقاطع كلامه ياهناة ، واسمع ، وفهمت ؟ وما أشبه ذلك . وهذا من أمارات العجز ، ودلائل الحصَرَ ! وإنما ينقطع عليه كلامه فيحاول وصله بهذا ، فيكون أشدّ لانقطاعه .

وكان أبو داود يقول : رأس الخطابة الطّبع ، وعمودها الدُّربة ، وجناحاها رواية الكلام ، وحليها الاعراب ، وبهاؤها تخيُّر اللفظ ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه

المعانى والالفاظ

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال بعض جهابذة الالفاظ ، ونُقّاد المعانى :

المعانى القائمة فى صدور الناس ، والمتصوَّرة فى أذهانهم ، المختلجة فى نفوسهم

(١) البهر : تتابع النفس وانقطاعه من الاعياء . والعثنون اللحية

(٢) العتابى هو كلثوم بن عمرو . أصله من الشام من أرض قنسرين ، صحب البرامكة ثم صحب طاهر بن الحسين وعلى بن هشام القائدين . وكان حسن الاعتذار فى رسائله وشعره ، يشبه فى المحدثين بالنابغة فى الجاهلية . ومن جيد شعره قوله فى جعفر بن يحيى وقد كان بلغ الرشيد عنه ماأهدر به دمه فخلصه جعفر

مازلت فى غمرات الموت مطرحا * يضيق عنى فسيح الرأى من حيلى

فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لى * حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

وكانت وفاة العتابى سنة ٢٢٠

المتصلة بخواطرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، و بعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة فى معنى معدومة ، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه ، والمعاون له على أمره ، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره ، وانما يحيي تلك المعانى ذكرهم لها ، و إخبارهم عنها ، واستعمالهم اياها ، وهذه الخصال هى التى تقرّ بها من الفهم ، وتجلّيها للعقل ، وتجعل الخفى منها ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريبا ، وهى التى تلخّص الملتبس ، وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقاً ، والمجهول معروفا ، والوحشى مألوفا ، وعلى قدر وضوح الدلالة ، وصواب الاشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون ظهور المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الاشارة أبين وأنوَر ، كانت أنفع وأنجع فى البيان ، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله يمدحه و يدعو اليه ، و يحث عليه ، بذلك نطق القرآن ، و بذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم .

والبيان اسم لكل شىء كشف لك عن قِناع المعنى ، وهتك لك الحجب دون الضمير ، حتى يفضى السامع الى حقيقته ، و يهجم على محصوله ، كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان ذلك الدليل ، لأن مدار الأمر ، والغاية التى اليها يجرى القائل والسامع : انما هو الفهم والإفهام ، فبأى شىء بلغتَ الإفهام ، وأوضحتَ عن المعنى ، فذلك هو البيان فى ذلك الموضع

ثم اعلم حفظك الله انّ حكم المعاني خلاف حكم الالفاظ ، لأن المعانى مبسوطة الى غير غاية ، وممتدّة الى غير نهاية ، وأسماء المعاني محصورة معدودة ، ومحصّلة محدودة ، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أوّلها اللفظ ، ثم الاشارة ، ثم العُقَد ، ثم الخط ، ثم الحال التى تسمى نَصْبة ، والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات ، ولكل واحدة من هذه الدلائل الخمسة صورة بائنة من صورة

صاحبتها ، وحِلْية مخالفة لحلية أختها ، وهى التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ، وعن حقائقها فى التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها وعن طبقاتها ، فى السارّ والضارّ ، وعما يكون منها لغواً بهرجا (١) وساقطاً مطرّحا

وفى نحو قول أبى عثمان (إن المعانى غير مقصورة ولامحصورة) يقول أبو تمام الطائى لأبي دُلَف القاسم بن عيسى العجلى

ولو كان يفنى الشعر أفنته ما قَرَتْ * حِياضُكَ منه فى العصور الذَّواهبِ (٢)
ولكنه فَيْض العقول اذا انجلت * سحائِبُ منه أُعقِبتْ بسحائبِ

كما أشار إلى قول أوس بن حَجَر الأسدى

أقول بما صبّت علىّ غمامتي * وجهدىَ فى حبل العشيرة أحطِبُ (٣)

وقال بعض البلغاء :

فى اللسان عَشْر خِصال محمودة : أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل الخطاب ، وواعظ ينهى عن القبيح ، وناطق يردُّ الجواب ، وشافع تُدرك به الحاجة ، وواصف تُعرف به الاشياء ، ومُعرِبٌ يُشكَر به الاحسان ، ومُعَزّ تذهب به الاحزان ، وحامد يذهب الضغينة ، ومُونِق يُلْهي الأسماع .

وقال أبو العباس بن المعتز : لحَظة القلب ، أسرعُ خطرةً من لحظة العين وأبعد مجالا ، وهى الغائصة فى أعماق أودية الفكر ، والمتأملة لوجوه العواقب ، والجامعة بين ماغاب وحضر ، والميزان الشاهد على ما نفع وضرّ ، والقلب كالملى للكلام على اللسان إذا نطق ، واليد اذا كتبت . والعاقل يكسو المعاني وشْى الكلام فى قلبه ، ثم يبديها بألفاظ كَواسٍ فى أحسن زينة ، والجاهل يستعجل بأظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها ، واستكمال محاسنها .

وقيل لجعفر بن يحيي البرمكى : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسم يحيط

---

(١) بهرج : ردىء (٢) قرت : أخذت (٣) يحطب فى حبل العشيرة أى يستعين بها كما يستعين الحاطب بالحبل

بمعناك ويكشف عن مغزاك ، ويخرجه من الشركة ، ولا يستعان عليه بالفكرة ويكون سليما من التكلف بعيداً من الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنيا عن التأويل

وذكر سهل بن هارون [١] وقيل ثمامة بن أشرس جعفر بن يحيي فقال :

قد جمع فى كلامه وبلاغته الهذّ والتمهل [٢] والجزالة والحلاوة ، وكان يُفهم إفهاماً يغنيه عن الاعادة للكلام ، ولو كان يستغنى مستغن عن الاشارة بمنطقه لاستغنى عنها جعفر ، كما استغنى عن الاعادة ، فانه لايتحبَّس [٣] ولا يتوقَّف فى منطقه ، ولا يتلَجْلَج ، ولا يتسعَّل ، ولا يترقب لفظاً قد استدعاه من بُعد ، ولا يلْتمِس معنًى قد عصاه بعد طلبه له

بشار بن برد

قيل لبَشَّار بن بُرْد : بِمَ فُقت أهل عصْرك ، وسبقت أهل عصرك ، فى حسن معانى الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ فقال : لأنى لم أقبل كل ماتورده علىَّ قريحتى ، ويناجينى به طبعى ، ويبعثه فكرى ، ونظرت الى مغارس الفِطَن ، ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات ، فسرت إليها بفهم جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سبرها ، وانتقيت حرُّها ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت من مُتَكلَّفها ، والله ما ملَكَ قيادى قطُّ الاعجاب بشيء مما آتى به

وكان بشار بن برد خطيبا ، شاعراً ، راجزاً ، سجّاعا ، صاحب منثور ، ومزْدَوِج ، ويلقب بالمُرعَّث لقوله

من لظبي مرعَّث [٤] * ساحر الطَّرف والنظر

---

(١) كان سهل بن هرون بن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار . وقعت آراؤه فى الادب وتدبير الملك مفرقة فى الكتب ، ولم يصل الينا من مؤلفاته الكثيرة شيء يستحق الذكر . وقد أطلعنى المسيو مارسيه فى باريس على مذكرات مهمة قيد فيها ماعثر عليه من اثار ذلك الكاتب البليغ . وكانت وفاة سهل ابن هرون سنة ١٧٣ (٢) الهذ : السرعة (٣) فى الاصل (يتحسن) وهو تحريف

(٤) مرعث : يابس الرعثة بالضم وهى القرط

قال لى لن تنالنى * قلت أو يغلبَ القَدَر

وليس هذا موضع استقصاء ذكره، واختيار شعره ،وسأستقبل ذلك ان شاء الله

وصية ابى تمام للبحترى

قال الوليد بن عبيد البحترى :

كنت فى حداثتى أروم الشعر ، وكنت ارجع فيه الى طبعى ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ، ووجوه اقتضابه ، حتى قصدت أبا تمام وانقطعت فيه إليه ، واتكلت فى تعريفه عليه ، فكان أول ما قال لى :

يا أبا عُبادة، تخيّر الأوقات وأنت قليل الهموم ، صِفْر من الغموم ، واعلم أن العادة جرت فى الأوقات أن يقصد الانسان لتأليف شىء أو حفظه فى وقت السَّحَر وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة ، وقسطها من النوم ، وإن أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رشيقا ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجُّع الكآبة ، ، وقلق الاشواق ، ولوعة الفراق ، فاذا أخذت فى مديح سيد ذى أيادٍ فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبن معالمه ، وشرف مقامه ، ونضِّد المعانى [1] واحذر المجهول منها ، وإياك أن تَشين شعرك بالألفاظ الرديئة ، ولتكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجساد ، وإذا عارضك الضجر ، فأرح نفسك ، ولا تعمل شعرك إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذَّريعة [2] إلى حسن نظمه ، فان الشهوة نعم المعين

وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله

قال : فأعملت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة [3]

---

(١) نضد : من التنضيد ، وهو ضم بعض الشيء الى بعض (٢) الذريعة : الوسيلة
(٣) ارجع الى نقد هذه الوصية في كتاب (الموازنة بين الشعراء)

وقالوا : البليغ من يحوك الكلام على حسب الأماني ، ويخيط الالفاظ على قدود المعاني

فضل الليل

ولذكر الطائي الليل ذكر بعض أهل العصر وهو أبو على محمد بن الحسن ابن المظفر الحاتمى [١] الليل فقال : فيه تجم الأذهان [٢] ، وتنقطع الأشغال، ويصح النظر ، وتؤلف الحكمة ، وتدر الخواطر ، ويتسع مجال القلب ، والليل أضوء فى مذاهب الفكر ، وأخفى لعمل البر ، وأعون على صدقة السر ، وتلاوة الذكر ، ومدبرو الأمور يختارون الليل على النهار ، فيما لم تصف فيه الأناة لرياضة التدبير وسياسة التقدير ، فى دفع الملم ، وإمضاء المهم ، وإنشاء الكتب ، وتصحيح المعاني وتقويم المباني ، وإظهار الحجج ، وإيضاح المنهج ، وإصابة نظم الكلام ، وتقريبه من الأفهام

فضل التروى والأناة

وقال بعض رؤساء الكتاب :

ليس الكتاب فى كل وقت على غير نسخة لم تحرز بصواب ، لأنه ليس أحد أولى بالأناة وبالروية من كاتب يعرض عقله ، وينشر بلاغته ، فينبغى له أن يعمل النسخ ويرويها [٣] ، ويقبل عفو القريحة ولا يستكرهها ، ويعمل على أن جميع الناس أعداء له

---

(١) كان الحاتمى حسن التصرف فى الشعر يجمع بين البلاغة في النثر والبراعة فى النظم ، وكان من خصوم المتنبي وله فى شعره عدة ابحاث ، ومن جيد شعره قوله فى وصف الثريا :

وليل أقمنا فيه نعمل كأسنا   الى أن بدا للصبح فى الليل عسكر

ونجم الثريا في السماء كأنه   على حلة زرقاء جيب مدنر

مات في شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٨ (٢) تجم : تستريح (٣)

عارفون بكتابه منتقدون عليه ، متفرغون اليه . وقال آخر : ان لابتداء الكلام فتنة تروق ، وجدة تعجب ، فاذا سكنت القريحة ، وعدل التأمل ، وصفت النفس ، فليعد النظر ، وليكن فرحه باحسانه مساوياً لغمه باساءته ، فقد قالت الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبي : نبايعك الساعة فقد رأينا ذلك ، فقال : دعوا الرأى حتى يبلغ أناته ، فانه لاخير فى الرأى الفطير ، والكلام القضيب (١)

وقال معاوية بن أبى سفيان رحمه الله لعبد الله بن جعفر : ما عندك فى كذا وكذا فقال : أريد أن أصقل عقلى بنومة القائلة (٢) ثم أروح فأقول أبْعَدَ ما عندى.

وقال الشاعر

إن الحديث تغر القوم جلوته (٣) * حتى يغيّره بالوزن مضمارُ
فعند ذلك تستكفى بلاغتهُ * أو يستمرُّ به عِىٌّ وإكثارُ

وقالوا : كل مُجْرٍ بالخلاء يُسَرُّ (٤)

وقال أبو الطيب المتنبى

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ * طلب الطعن وحده والنِّزالا

وكان قلم ابن المقفع يقف كثيراً فقيل له فى ذلك فقال : ان الكلام يزدحم فى صدرى ، فيقف قلمى ليتخيَّر .

وقالوا : الكتاب يُتصفح أكثر مما يتصفح الخطاب ، لأن الكاتب متخيِّر والمخاطِب مضطر ، ومن يَرِدْ عليه كتابك فليس يعلم أأسرعت فيه أم أبطأت ، وانما ينظر أأخطأت أم أصبت ، فابطاؤك غيرُ قادح فى إصابتك كما إن إسراعك غير مغطٍّ على غلطك

---

(١) الرأى الفطير : الذى لم ينضج ، والكلام القضيب : المرتجل (٢) نومة القائلة : نومة الظهيرة (٣) الجلوة : الزينة (٤) يريد أن الذى يجرى فرسه بالخلاء يسر بظفره حيث لا مناضل ، وهو مثل فى التهكم .

واجب النساخ

ووصف بعض الكتاب النُّسخ فقال : ينبغى أن يصحبها الفكر الى استقرارها ثم تُستبرأ باعادة النظر فيها بعد اختبارها[1] ويوسّع بين سطورها ، ثم تحرر على ثقة بصحتها ، وتتأمل بعد التحرير حرفاً حرفاً إلى آخرها . فقد كتب المأمون مصحفاً اجتمع عليه فكان أوله بسم الله الرحيم ، فأغفلوا الرحمن : لأن العين لا تعتبر ذلك ثقةً أنه لايغلط فيه ، حتى فطن المأمون له

وقال محمد بن عبد الملك الزيات للحسن ابن وهب : حرِّر هذه النسخة و بكّر بها ، فتصبّح الحسن[2] ، فقال له : لم تصبّحت ؟ قال : حتى تصفَّحت !

وقال احمد ابن اسماعيل بطاحة : كان بعض العلماء الاغبياء ينظر فى نسخه بعد نفوذ كتبه ، فقال بعض الكتاب

مُستَلَبُ اللب غَوِيُّ الشبابْ * عذّبه الهجر أشد العذاب
يؤَمِّل الصبر وأنّى له * به وقد مُكِّن منه التَّصابْ
كناظرٍ فى نسخة يبتغى * إصلاحها بعد نفوذ الكتاب

صور مختلفة للبلاغة

أوصاف بليغة فى البلاغات على ألسنة أقوام من أهل الصناعات

قال بعض من ولَّد عقائل هذا المنثور ، وألّف فواصل هذه الشذور :

تجمَّع قوم من أهل الصناعات فوصفوا بلاغاتهم ، من طريق صناعاتهم[3]

— فقال الجوهرى : أحسن الكلام نظاماً ما ثقَبته يدُ الفكرة ، ونظَمته

(١) تستبرأ : تجفف (٢) تصبح : تأخر عن الحضور صباحا

(٣) هذا نوع من فن المقامات الذى ذاع فى القرن الرابع بفضل أبى بكر بن دريد وبديع الزمان ، وقد ترجمت هذا الحديث الى اللغة الفرنسية فى كتابى

La prose arabe au IVe siècle de l'hegire

الفطنة ، ووُصل جوهر معانيه ، فى سُموط (١) ألفاظه ، فاحتملته نحور الرواة .

— وقال العطار : أطيب الكلام ما عُجِنَ عنبر ألفاظه بمسك معانيه ، ففاح نسيم نَشَقِه ، وسطعت رائحة عَبَقِه ، فتعلقت به الرواة ، وتعطرت به السُّراة .

— وقال الصائغ : خير الكلام ما أَحْميته بكِير الفكر (٢) ، وسبكته بمشاعل النظر ، وخلصته من خبث الإطناب ، فبرز بروز الإبريز (٣) فى معنى وجيز .

— وقال الصيرفى (٤) : خير الكلام ما نقدْته يد البصيرة ، وجلتْه عين الروية ، ووزُن بمعيار الفصاحة ، فلا نظر يُزيِّفه (٥) ولا سماع يبهرجه (٦) .

— وقال الحداد : أحسن الكلام ما نَصَبْتَ عليه مِنفَخَةَ القريحة ، وأشعلْتَ عليه نار البصيرة ، ثم أخرجته من فحم الإفحام (٧) ، ورققته بفِطِّيس الإفهام (٨) .

— وقال النجار : خير الكلام ما أحكمت نَجْرَ معناه بقَدُوم التقدير ، ونشرته بمنشار التدبير ، فصار بابًا لبيت البيان ، وعارِضةً لسقف اللسان .

— وقال النجَّاد : أحسن الكلام ما لطُفت رفارف ألفاظه (٩) وحسُنت مطارح معانيه ، فتنزهت فى زرابىّ محاسنه عيون الناظرين (١٠) وأصاخت لنمارق (١١) بهجته آذان السامعين .

— وقال الماتح : أبين الكلام ما علَّقتَ وَذَمَ ألفاظه ببكرة معانيه (١٢) ثم أرسلتَه فى قَليب الفطن (١٣) فمتحت به سِقاءً يكشف الشبهات ، واستنبطت به معنًى يروى من ظمأ المشكلات .

---

(١) السموط : جمع سِمط بالكسر وهو خيط النظم (٢) الكير بالكسر : هو منفخة الحداد (٣) الابريز : هو الذهب الخالص (٤) الصيرفى : صراف الدراهم ، والجمع صيارفة وجاء فى الشعر صياريف (٥) زاف الدراهم وزيفها : حكم برداءتها (٦) يبهرجه : يحكم بأنه بهرج ، والبهرج الباطل والردىء (٧) الافحام : العجز عن البيان ، ومنه : شاعر مفحَم ، على صيغة المفعول (٨) الفطيس : المطرقة (٩) الرفارف : الاطراف ، مفردها رفرف (١٠) الزرابى : واحدها زربى ، بالكسر ويضم ، وهو كل ما بسط واتكئ عليه (١١) النمارق : واحدتها النمرقة بالتثليث وهي الوسادة الصغيرة (١٢) الوذم : الدلو (١٣) القليب : البئر

— وقال الخياط : البلاغة قميص فجُرُبَّانه البيان [١] وجيبه المعرفة ، وكمّاه الوجازة ، ودخاريصه الإفهام [٢] ودُروزه الحلاوة [٣] ولابس جسده اللفظ ، وروحه المعنى

— وقال الصباغ : أحسن الكلام ما لم تَنْضَ بهجة إيجازه [٤] ولم تكشف صبغة إعجازه ، قد صقلته يد الروية من كُمُود الإشكال ، فراعَ كواعبَ الآداب ، وألف عذارى الألباب

— وقال الحائك : أحسن الكلام ما اتصلت لُحمة ألفاظه بسَدَى معانيه [٥] ، فخرج مفوّفاً منيراً ، وموشًّى محبَّرا

— وقال البزاز [٦] : أحسن الكلام ما صدَق رَقْم ألفاظه ، وحَسُن نشر معانيه ، فلم يستعجم عنك نشر ، ولم يستبهم عليك طيّ

— وقال الرائض : خير الكلام ما لم يخرج عن حدّ التخليع [٧] الى منزلة التقريب [٨] إلا بعد الرياضة ، وكان كالمهر الذى أطمع أوّل رياضته ، فى تمام ثقافته

— وقال الجمَّال : البليغ من أخذ بخطام كلامه ، فأناخه فى مَبرك المعنى ، ثم جعل الاختصار له عِقالا ، والايجاز له مجالا ، فلم يندّ عن الآذان ، ولم يشذ عن الأذهان

— وقال المخنَّث : خير الكلام ما تكسّرت أطرافه ، وتثنَّت أعطافه ، وكان لفظه حُلة ، ومعناه حِلية

— وقال الخمار : أبلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم ، وصفَّاه راوُوق الفهم ، وضمته دِنان الحكمة ، فتمشت فى المفاصل عذُوبته ، وفى الأفكار رقته ، وفى العقول حِدته

---

(١) الجربان : الطوق (٢) الدخاريص: فتحات الازرار (٣) الدروز : الاطراف الرقاق (٤) لم تنض : لم تمح (٥) اللحمة والسدى : ما يسدى ويلحم به الثوب.

(٦) البزاز : بائع البز ، بالفتح ، وهو الثياب أو متاع البيت من الثياب

(٧) التخليع : السير الخفيف (٨) التقريب : ضرب من العدو ، أو هو ان يرفع

—وقال الفقّاع : خير الكلام ما أزاحت ألفاظه غباوة الشك ، ورفعت رقته فظاظة الجهل ، فطاب حِساءُ فِطنته ، وعَذُب مصّ جرْعته.

—وقال الطبيب : خير الكلام ما إذا باشر دواء بيانه سقم الشبهة ، استطلقت طبيعة الغباوة ، فشفى من سوء التفهم ، وأورث صحة التوهم

—وقال الكحّال : كما أن الرمد قذَى الأبصار ، فكذا الشبهة قذى البصائر ، فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة ، واجلُ رَمَصَ الغفلة [١] بمرود اليقظة

—ثم قال : أجمعوا كلهم على أن أبلغ الكلام ما اذا أشرقت شمسُهُ ، انكشف لَبْسُهُ ، واذا صدقت أنواؤه [٢] اخضرت أحماؤه [٣]

فقر فى وصف البلاغة لغير واحد

—قال اعرابى : البلاغة التقرب من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل على كثير

—قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغة تقرير المعنى فى الافهام ، من أقرب وجوه الكلام

—ابن المعتز : البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفَرَ الكلام .

—سهل بن هرون : البيان ترجمان العقول ، وروض القلوب . وقال : العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم

—ابراهيم بن الامام : يكفى من البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع

—العتابى : البلاغة مدّ الكلام بمعانيه اذا قصر ، وحُسن التأليف اذا طال

—اعرابى : البلاغة إيجاز فى غير عجز ، وإطناب فى غير خطَل .

---

(١) الرمص : وسخ أبيض يجتمع فى موق العين الجواد يديه معا ويضعهما معا

(٢) الانواء : جمع نوء ، وهو النجم مال للغروب ، والمراد به هنا المطر

(٣) الاحماء : جمع حمى وهو المكان يحمية الرحل ويمنعه

—وقيل لليونانى ما البلاغة ؟قال: تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام

—وقيل للرومى ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الاطالة

—وقيل للهندى ما البلاغة ؟قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة

—وقيل للفارسى ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل

—وقال على بن عيسى الرمانى : البلاغة إيصال المعنى الى القلب فى أحسن صورة من اللفظ

صفة البلاغة والبلغاء

ومن كلام أهل العصر فى صفة البلاغة والبلغاء

— أبلغ الكلام ما حسُنَ إيجازه ، وقلّ مجازه ، وكثر إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه .

— أبلغ الكلام مايؤنس مسمعه ، ويونِس مضيِّعه

— البليغ من يجتنى من الالفاظ أنوارها ، ومن المعانى ثمارها

— ليست البلاغة أن يطال عِنان القلم أو سِنانه ، أو يُبْسَط رِهان القول ومَيْدانه بل هى أن يُبْلَغ أمد المراد بالفاظ أعيان ، ومعان أفراد ، من حيث لا تزيد على الحاجة ، ولا اخلال يفضي إلى الفاقة

— البلاغة ميدان لا يُقطَع إلا بسوابق الاذهان ، ولا يُسلك إلا ببصائر البيان

— فلان يعبث بالكلام ، ويقوده بألين زمام ، حتى كأن الألفاظ تتحاسد فى التسابق الى خواطره ، والمعانى تتغاير فى الانثيال على أنامله

هذا كقول أبى تمام الطائى:

تغايرَ الشعر فيه اذ سهِرْتُ لَهُ * حتى ظننت قوافيه ستقتتلُ

— فلان مشرفى المشرق ، وصيرفى المنطق ، البيان أصغر صفاته ، والبلاغة عفو خطراته ، كأنما أُوحى بالتوفيق الى صدره ، وحسن الصواب بين طبعه وفكره ،

— فلان يحزُّ مفاصل الكلام ، ويسبق فيها إلى درك المرام ، كأنما جمع الكلام حوله حتى انتقى منه وانتخب ، وتناول منه ماطلب ، وترك بعد ذلك أذنابا لا رؤوسا ، وأجساداً لا نفوسا

— فلان يرضى بعفو الطَّبع ، ويقنع بما خفَّ على السمع ، ويوجز فلا يُخِلّ ، ويُطنب فلا يُمِلّ

— لله فلان أخذ بأزمة القول يقودها كيف أراد ، ويجذبها أنَّى شاء ، فلاتعصيه بين الصَّعب والذَّلول ، ولا تُسلمه عند الحُزون والسُّهول ، كلامه يشتدُّ مرَّة حتى تقول الصَّخر الأَملَس ، ويلين تارةً حتى تقول الماء أوأَسْلَس ، يقول فيصُول ، ويجيب فيُصيب ، ويكتب فيطبق المفصل ، وينسق الدر المفصّل ، ويرد مشارع الكلام وهى صافية لم تُطرَق ، وجامةً لم تُرَنّق[١] خاطره البرق أو أسرع لمعا ، والسيف أو أحدُّ قطعا ، والماء أو أسلس جريا ، والفلك أو أقوم هديا

— هو ممن يسهل الكلام على لفظه ، وتتزاحم المعانى على طبعه ، فيتناول المرمى البعيد بقليل سعيه ، ويستنبط المشرع العميق بيسير جريه

— لسانه يفلق الصخور ، ويُغيض البحور ، ويسمع الصُّم ، ويستنزل العُصم[٢]

— خطيب لاتناله حُبْسة ، ولا ترتهنه لُكْنة ، ولاتتمشى فى خطابه رُتَّة ، ولا تتحيَّف بيانه عُجْمَة ، ولا تعترض لسانه عُقدة

— فلان رقيق الأَسلَة ، عذب العذَبة[٣] لو وضع لسانه على الشعر حَلَقه ، أو على الصخر فلَقه ، أو على الصفا خرقه[٤] قد أحسن السِّفارة ، واستوفى العبارة ، وأدى الالفاظ واستغرق الاغراض ، وأصاب شواكل المراد ،[٥] وطبَّق مفاصل

---

(١) جامة لم ترنق : ساكنة لم تعكر (٢) العصم: جمع أعصم وهو الوعل يعتصم بالجبال

(٣) المراد من الأسلة والعذبة طرف اللسان (٤) الصفا : الصخر (٥) الشواكل : جمع شاكلة وهي ما بين الاذن والصدغ

السداد، و بسط لسان الخطاب ، ومدّ أطناب الإطناب[١] ، وطلب الأمد فى الإسهاب، قال حتى قال الـكلام لو أعفيت ! وكتب حتى قالت الاقلام قد أحفيت ، قد اتسع له مَشْرَع الإطناب ، وانفرج له مَسْلَك الإسهاب ، أرسل لسانه فى ميدانه ، قال وأطال ، وجال فى بسط الكلام كل مجال ، إذا اسحنفر فى الـكلام طفح آذيّه ، وسال أتيُّه ،[٢] وانثال عليه الكلام ، كانثيال الغمام ، واستجاب له الخطاب ، كصوب الرّباب[٣]

— ألفاظ ، كغمزات الألحاظ ، ومعان ، كأنها فك عان[٤]

— ألفاظ كما نوّرت الأشجار ، ومعانٍ كما تنفست الاسحار

— ألفاظ قد استعارت حلاوة العتاب بين الاحباب ، واستلانت كتشكّى العشاق يوم الفراق

— كلام قريب شاسع[٥] ومطمع مانع ، كالشمس تقرب ضياء ، وتبعد علاء أو كالماء ، يرخص موجوداً ، ويغلو مفقوداً

— كلام لا تمجه الآذان ، ولا تبليه الأزمان ، كالبشرى مسموعة ، أو أزاهير الرياض مجموعة ، ومعان كأنفاس الرياح ، تعبق بالريحان والراح

— كلام سهل متسلسل ، كالمدام ، بماء الغمام ، يقرب إذنه على الافهام

— كلام كبَرد الشراب، على الأكباد الحِرار ، وبُرْد الشباب ، فى خلْع العِذار

— كلام كثير العيون، سلسل المتون ،رقيق الحواشى ،سهل النواحى

— كلام هو السحر الحلال ، والماء الزُّلال ، والبرود والحبر ، والأمثال والعِبر ، والنعيم الحاضر ، والشباب الناضر ، نظرت منه إلى صورة الظَّرف بحتاً ، وصورة البلاغة سبكاً ونحتاً

— ألفاظ هى خِدَع الدهر ، وعُقَد السحر

— كلام يسر المحزون ، ويسهل الحزون[٦] ويعطل الدر المخزون

(١) الاطناب : الحبال (٢) الآذى : الموج ، والاتى : السيل ، واسحنفر : اتسع (٣) الرباب : السحاب (٤) عان : أسير (٥) شاسع : بعيد (٦) الحزون : جمع حزن بفتح الحاء وهو ما غلظ من الارض

— كلام بعيد من الكُلف ؛ نقى من الكَلَف [١]

— كلام كما تنفَّس السَّحَر عن نسيمه ، وتبسَّم الدر عن نظيمه

— ألفاظ تأنَّق الخاطر فى تذهيبها ، ومعانٍ عنى الفهم بتهذيبها

— ألفاظ حسبتها من رقتها منسوخة فى صحيفة الصبا ، وظننتها من سلاستها مكتوبة فى نحر الهوى

— كلام كالبشرى بالولد الكريم ، قُرِعَ به سمع الشيخ العقيم

— كلام قَرُب حتى أطمَع ، و بعُد حتى امتنع ، قرب حتى صار قاب قوسين أو أدنى ثم علا حتى صار بالمنزل الأعلى ، رقيق المزاج ، حلو السماع ، نقىّ السبك ، مقبول اللفظ

— قرأت لفظاً جليا ، حوى معنا خفيا ، وكلاماً قريباً رمى غرضا بعيداً

— لو أن كلاماً أُذيب به صخر ، أو أُطفِئ به جمر ، أو عُوفِىَ به مريض ، أو جُبِرَ به مَهيض [٢] لكان كلامه الذى يقود سامعيه إلى السجود ، ويجرى فى القلوب كجرى الماء فى العود

— ألفاظه أنوار ، ومعانيه ثمار

— كلامه أنس المقيم الحاضر ، وزاد الراحل المسافر

— كلامه يصغى اليه المقبور ، و ينتفض له العصفور

— كلام يقضى حق البيان ، و يملك رق الحسن والاحسان

— كلام منه يجتنى الدُّر ، و به يُعقد السحر ، وعنده يُعتِب الدهر [٣] ، وله ينشرح الصدر

---

(١) الكلف : نمش فى الوجه ، لم تسلم منه صفحة القمر !

(٢) مهيض : مكسور (٣) يعتب : يصفو ، من أعتب اذا ترضى وازال أسباب العتب

وصف النثر والشعر

ومن ألفاظهم في وصف النظم والنثر والشعر والشعراء

- نثر كنثر الورد
- نظم كنظم العقد
- نثر كالسحر أو أدق، ونظم كالماء أو أرق
- رسالة كالروضة الأنيقة، وقصيدة كالمخدّرة الرشيقة
- رسالة تقطُر ظَرفا، وقصيدة تمزج بماء الراح لطفاً
- نثره سحر البيان، ونظمه قِطَع الجُمان
- نثر كما تفتّح الزهَر، ونظم كما تنفّس السّحر
- نثر ترق نواحيه وحواشيه، ونظم تروق ألفاظه ومعانيه
- نثر كالحديقة تفتّحت أحداق وردها، ونظم كالخريدة تورّدت أسرار خدها [١]
- رسالة تضحك عن غُرَر وزَهَر، وقصيدة تنطوى على حِبَر ودُرَر
- لم ترض فى برك بأخوات النّثرة من نثرك، حتى وصلتها ببنات الشِّعرى من شعرك [٢]
- كلام كما هبّ نسيم السّحَر، على صفحات الزهر، ولذّ طعم الكرى بعد برْح السهر [٣]، وشعر فى نفسه شاعر، تُوسمَ به المواسم والمشاعر
- كلام أنسى حلاوة الأولاد بحلاوته، وطلاوة الربيع بطُلاوته، وشعر من حُلة الشباب مسروق، ومن طينة الوصال مخلوق
- قصيدة فى فنها فريدة، هى عروس كسوتها القوافى، وحِليتها المعانى

---

(١) الخريدة : الفتاة المخدرة (٢) النثرة : اسم كوكب ؛ وكذلك الشعرى

(٣) برح السهر : شدته

— شعر يترقرق فيه ماء الطبع ، ويرتفع له حجاب القلب و السمع ، لا مزية الاعجاز أخطأته ، ولافضيلة الايجاز تخطته

— شعر رَوَيته لما رأيته ، وحفظته لما لحظته

— أبيات لو جُعلت خِلعاً على الزمان لتحلَّى بها مكاثرا ، وتحلى فيها مفاخرا

— شعر راقنى حتى شاقنى ، فانه مع قرب لفظه بعيد المرام ، مُمَرُّ النظام ، قوى الأَسْر (١) صافى البحر

— نظم قد أُلبِس من البداوة فصاحتها ، وغُشِّىَ من الحضارة سَجَاحتها (٢) ، فان شئت قلت عَبيد ولبيد ، وإن شئت حبيب والوليد

— قصيدته روضة تُجتنى بالافكار ، ونَقل يُتناول بالاسماع والابصار (٣) ، ونَقْل العلم والأدب ألذ من نقل المأكل والمشرب ، وفاكهة الكلام ، أطيب من فاكهة الطعام

— نظم كنظم الجمان ، وروض الجنان ، وأمن الفؤاد ، وطيب الرقاد

— قصيدة لم أرغيرها بِكراً استوفت أقسام الُحنكة ، واستكملت أحكام الدُّربة (٤) فعليها رونق الشباب ، ولها قوة المُذكيات الصِّلاب (٥) ، روح الشعر، وتاج الدهر ، ومقدمة عساكر السحر ، كل بيت شعر ، خير من بيت تِبر

— شعر يُحكم له بالإعجاز والتبريز ، ويُشبهَّ فى صفاء سبكه بالذهب الابريز

— شعر تأتلف القلوب على دُرَرِه ائتلافا ، وتصير الآذان له أصدافا

— لله دَرُّه ما أحلى شعره ، وأنقى دُرّه ، وأعلى قدره ، وأعجب أمره ، قد أخذ برقاب القوافى ، وملك رق المعانى ، فضله برهان حق ، وشعره لسان صدق

— فلان يُغرب بما يجلب ، ويُبدع فيما يصنع ، حسن السبك ، محكم الرصف ، بديع الوصف ، مرغوب فى شعره ، يُتنافس فى سحره

(١) الأسر : إحكام الخلقة (٢) السجاحة : استواء الصورة (٣) النقل : مايتنقل به من أنواع الفواكه على الشراب (٤) الحنكة : التجربة ، والدربة : التمرين
(٥) المذكيات والمذاكى : الخيول بلغت سن القوة

— هو ضارب فى قِداح الشعر بأعلى السهام ، آخذ فى عيون الفضل بأوفى الأقسام شِعاره أشعاره ، ودأبه آدابه

— هو ممن يبتده فيبتدع ، طبعه يملى عليه ، ما لا يمل الاستماع اليه

— قريحة غير قريحة ، وطبع غير طَبِع (١) ، وخِيمٌ غير وخيم ، لَبيد عنده بليد ، وعبيد لديه من العبيد ، والفرزدق عنده أقل من فرزدقة خمير (٢) وجرير يقاد إليه بجرير (٣).

— قد نسج حُللاً لا يُبلى جِدتها الجديدان ، ولا تزداد إلا حسنا على تردد الازمان

— نظمه قد نظم حاشيتى البر والبحر ، وأدرك ناحيتى الشرق والغرب

— أشعار قد وردت المياه ، وركبت الأفواه ، وسارت فى البلاد ، ولم تسر بزاد ، وطارت فى الآفاق ، ولم تمش على ساق

— شعره أسْيَر من الأمثال ، وأسرى من الخيال ، سار مسير الرياح ، وطار بغير جناح

— أشعاره سارت مسير الشمس ، وهبت هبوب الريح ، وطبقت تخوم الأرض ، وانتظمت الشرق الى الغرب ، قد كادت الايام تنشدها ، والليالى تحفظها ، والجن تدرسها ، والطير تتغنى بها.

— أبيات أسفر عنها طَبْع المجد ، فعلمت كيف يتكسر الزهر على صفحات الحدائق ، وكيف تغرس الدرة فى رياض المهارق (٤)

— شعر قد أحسن خدمته بكمال فكره ، ووقف كيف شاء عند عالى أمره

— شعر يُعلَّق فى كعبة المجد ، ويتوج به مَفْرق الدهر

— جاءت القصيدة ومعها عزة المُلك ، وعليها رُواء الصدق ، وفيها سيماء العلم ، وعندها لسان المجد ، ولها صِيال الحق

---

(١) غير طبع : غير لئيم ، وهى من طبع السيف ، على وزن علم ، اذا ركبه الصدأ الكثير

(٢) الفرزدقة : القطعة من العجين (٣) الجرير : الحبل (٤) المهارق : جمع مهرق على صيغة المفعول ، وهو الرسالة .

— لاغَرْوَ إذا فاض بحر العلم على لسان الشعر ، أن ينتج ما لا عين وقعت على مثله ولا أذن سمعت بشبهه

— شعر يكتب فى غرة الدهر ، ويشرح فى جبهة الشمس

كتاب لابن العميد

وهذه جملة من فصول أهل العصر تليق بهذا الموضع

كتب أبو الفضل ابن العميد الى أبى محمد خلاد الرامهرمزى القاضى

وصل كتابك الذى وصلت جناحه بفنون صِلاتك وتفقُّدك ، وضروب برك وتعهُّدك ، فارتحت لكل ما أوليت ، وابتهجت بجميع ما أهديت ، وأضفت إحسانك فى كل فصل الى نظائره التى وكلت بها ذكرى ، ووقفت عليها شكرى ، وتأملت النظم فملكنى العجب به ، وبهرنى التعجب منه ، وقد رمت أن أجرى على العادة : فى تشبيهه بمستحسن من زهر جنىّ ، وحُلل وحَلىّ ، وشُذور الفرائد ، فى نحور الخرائد

والعذارى غدون فى الحلل البيـ ـض وقد رُحن فى الخطوط السودِ

فلم أره لشىء عدلا ، ولا أرضى ما عددته له مثلا ، والله يزيدك من فضله ولا يخليك من احسانه ، ويلهمك من برّ اخوانك ، ما تم به صنيعك لديهم ، ويُرَبُّ معه إحسانك إليهم .

كتاب للصاحب بن عباد

وكتب أبو القاسم اسماعيل بن عباد الصاحب الى أبى سعيد الشبيبى:

قد رأى شيخ الدولتين كيف الكلَف بسادتى من أهل ميكال ، أيدهم الله ، بين ودّ أُضمره على البعد ، وإيثارٍ أظهره على تراخى المزار ، وتقريظ يمليه علىّ

المَلَوان [١] ومدح أنطق فيه بلسان الزمان ، حتى أن ذكرهم إذا جرى على لسانى اهتزت له نفسى ، وفضلهم إذا جرى على سمعى انفرج له صدرى ، فتلك عصبة خيرٍ فضلُها باهر ، وشرَفها على شرَف النماءِ زاهر ، وشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، والله يتمم أعدادها ، ولا يعدمنى ودادها ، وإذا كان إكبارى لهم هذا الاكبار ، فكل منتسب إلى جنبهم أثيرٌ لدىّ [٢] ، كثير فى يدىّ ، وطرأ علىّ فلان منتسباً إلى جملتهم ، وحبذا الجملة ، ومعتزياً إلى خدمتهم ، ونعمت الخدمة ، ففَررناه عن طبع سَمْح [٣] ، ولفظ عذب ، وصلة نثر بنظم ، فان شاء قال أنا الوليد ، وان شاء قال أنا عبد الحميد ، ولم أُعظِم بمن خرّجته تلك النعمة ، ونتجته تلك الشُدّة ، أن يأخذ من كل حسنة بعُروة ، ويقدح فى كل نار بجذوة ، وآنسنا بالمقام مُدّة ، أكّدتها شوافع عِدّة ، إلى أن تذكر معاهد رأى فيها الدهر طَلْقا ، والزمان غلاما ، والفضل زهنا ، والافضال لزاما ، فحنّ حنين الرِّكاب ، وركب عزيم الإياب [٤]

أبو الفضل الميكالي

فصل كتبه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن احمدَ الميكالى إلى أبى القاسم الداوودى جوابا عن كتاب له ورد عليه

وأبو الفضل رئيس نيسابور وأعمالها فى وقتنا هذا ، [٥] وسيمر من كلامه ، ونثره ونظامه ، ما يغنى عن التنويه ، ويكفى عن التنبيه ، ويجل عن التشبيه ، ويكون كما قال أبو الحسن الاخفش على بن سليمان

« استهدى ابراهيم بن المدبِّر أبا العبَّاس محمد بنَ يزيد جليساً يجمع الى تأديب

---

(١) الملوان : الليل والنهار (٢) أثير : عزيز (٣) فررناه : اختبرناه ، والفر فى الاصل اختبار أسنان الدابة ليعرف مبلغها من القوة

(٤) العزيم : الجرى الشديد (٥) توفى أبو الفضل الميكالى سنة ٤٣٦

ولده الامتاعَ بإيناسه ، فندبني لذلك ، وكتب اليه معى: قد أنفذت اليك أعزك الله فلانا ، وجملة أمره انه كما قال الشاعر

اذا زرت الملوك فان حسبي * شفيعا عندهم أن يَخبُرُونى»

وفصل أبي الفضل :

وقفت على ما أتحفني به الشيخ : من نظمه الرائق البديع ، وخطه المُزرى بزهر الربيع ، مُوشَّحاً بغُرر ألفاظه ، التي لو أُعيرت حِليتها لعطّلت قلائد النحور ، وأبكار معانيه التي لو قُسمت حلاوتها لأعذبت موارد البحور ، فسرّحت طرفي منها في رياض جادتها سحائب العلوم والحكم ، وهبَّ عليها نسيم الفضل والكرم ، وابتسمتْ عنها ثغور المعالي والهمم ، ولم أدر وقد حيّرتني أصنافها ، وبهرتني ثغورها وأوصافها ، حتى كستني اهتزازاً وإعجاباً ، وأنشأت بيني وبين التماسك ستراوحجابا ، ولم أدر أدهمتني لها نشوة راح ، أم ازدهتني نغمة ارتياح ، وانتظم عندى منها عِقد ثناء وقريض ، أم قرع سمعي منها غناء مَعْبد وغَريض ، وكيفما كان فقدحوى رتبة الاعجاز والابداع ، وأصبح نزهة القلوب والأسماع ، فما من جارحة إلا وهى تودّ لو كانت أذنا فتلتقط دُرَره وجواهره ، أو عينا تجتلى مطالعه ومناظره ، أو لساناً يدرس محاسنه ومفاخره

وله فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي:

« وصل كتاب مولاى وسيدى ، أبدعُ الكتب هواديَ وأعجازا [1] ، وأبرعها بلاغةً وإعجازا ، فحسبتْ ألفاظه دَرّ السحاب ، أو أصفى قطراً وديمة ، ومعانيه دُرّ السِّخاب [2] ، بل أوفى قدراً وقيمة . وتأملت الابيات فوجدتها فائقة النظم والرَّصف ، عبقة النسيم والعَرف ، فائزة بقداح الحسن والظَّرف ، مالكة لزمام القلب والطَّرف ، ولا غَرْو أن يصدر مثلُها عن ذلك الخاطر ، وهو هَدَف

---

(١) الهوادى والاعجاز : البدايات والنهايات (٢) السخاب : قلادة من القرنفل

الفِقَر والنوادر ، وصَدَف الدرر والجواهر ، والله يمتعه بما منحه من هذه الغُرر والأوضاح ، كما أطلق فيه ألسنة الثناء والامتداح

أبو منصور الثعالبى

وأبو منصور هذا يعيش الى وقتنا هذا ، وهو فريد دهره ، وقَريع عصره[٢] ، ونَسِيجُ وحدِه ، وله مصنفات فى العلم والأدب ، تشهد له بأعلى الرتب ، وقد فرقت ما اخترته منها فى هذا الكتاب ، مع ما تعلق بشا كلته من الخطاب[١].

منها من كتاب سماه « سحر البلاغة » قال فى صدر هذا الكتاب: أخرجت بعضه من غُرَر نجوم الارض ، ونُـكَت أعيان الفضل ، من بلغاء العصر ، فى النثر ، وحللت بعضه من نظم أمراء الشعر ، الذين أوردت مُلَح أشعارهم فى كتابى المترجم بيتيمة الدهر ، فلففت جميع ذلك وحررته ، وسقته ونسقته ، وأنفقت عليه ما رُزِقته ، وعملته بكد الناظر ، وجهد الخاطر ، وتعب اليمين ، وعرق الجبين ، وتعمدت فيه لذة الجِدّة ورَوْنق الحداثة ، وحلاوة الطّراوة ، ولم أشُبْه بشىء من كلام غير اهل العصر ، الا فى قلائل وقلائد ، من ألفاظ الجاحظ وابن المعتز ، تخللت أثناءه ، وتوشّحت تضاعيفه ، ولم أخل كلماته التى هى وسائط الآداب ، وصياقل الألباب ، وما تستمتعه أنفس الأدباء ، وتلذه أعين الكتاب ، من لفظ صحيح ، أو معنى صريح ، أو تجنيس أنيس ، او تشبيه بلا شبيه ، أو تمثيل بلا مثيل ولا عديل ، واستعارة مختارة ، أو طِباق ، ذى رونق باق ، فمن رافق هذا الكتاب قرب تناوله من الكتّاب ، إذا وشّوا ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نوره ، وسماحة قياده لأفراد الشعراء إذا رصعوا عقود نظامهم بما يلتقطونه من شُذوره ، فاما المخاطبات والمحاورات ، فانها تتبرّج بغُرة من غُرره ، وتُتوّج بدُرة من دُرَره

(١) كان الثعالبي فراء يخيط جلود الثعالب فنسب الى صناعته ثم أقبل على الادب والتاريخ فنبغ فيهما ، وترك طائفة من المؤلفات القيمة أشهرها يتيمة الدهر وكانت وفاته سنة ٤٢٩

ألفاظ أهل العصر

وقد ذكر من أخرج معظم كتابه من نثرهم ونظمهم ، وهم الصابيّان [١] والخالديّان [٢] ، و بديع الزمان ، وأ بو نصر بن المرزبان ، وابن أبى العلاء الاصبهانى ، وأبو الطيب المتنبي ، وأبو الفتح البستى ، وأبو الفضل الميكالى ، وشمس المعالى ، والصاحب بن عباد ، وجماعة يكثر بهم التعداد ، قد ذكرهم فى كتابه

فكل مامرّ أو يمر من ذكر ألفاظ أهل العصر فمن كتابه نقلت ، وعليه عوّلت .

وفى أبى منصور يقول أبو الفتح على بن محمد البُستى

قلبي رهينٌ بنيسابورَ عند أخٍ * ما مثلُهُ حين تُستقرى البلاد أخُ
له صحائف أخلاق مهذبةٍ * من الحِجا والعلى والظرف تُنْتَسَخُ

وأما الذين ذكر أسماءهم فى كتابه فسأظهر من سرائر شعرهم الرصين ، وأجلو من جواهر نثرهم الثمين ، ما أخذ من البلاغة باليمين

رسائل الميكالى

فصل لأبى الفضل :

وصل كتاب الشيخ المبشر من خبر سلامته التى هى غُرة الزمان البهيم [٣] وعُذْر الدهر المُليم [٤] ، بما أشرقت له آفاق الفضل والكرم ، وتمت به نفائس الآلاء والنِّعم ، فسرّحت طرفى من محاسن ألفاظه ، فى أنوار تروق أزاهرها ، وقلائد تروع

(١) هما ابراهيم بن هلال المتوفى سنة ٣٨٤ ، وهلال بن المحسن المتوفي سنة ٤٤٨

(٢) هما سعيد بن هاشم المتوفى سنة ٤٠٠ ومحمد بن هاشم المتوفى سنة ٣٨٠ وكان هذان الاخوان يعرفان بالخالديين وكانا يشتركان فى نظم الابيات أو القصيدة فتنسب اليهما معا أصلهما من الخالدية — من قرى الموصل — وكانا من خواص سيف الدولة بن حمدان ولهما مع أهل عصرهما أخبار كثيرة (٣) البهيم : المظلم (٤) المليم المذنب

دررها وجواهرها ، ومبارّ يسترق الرقاب باطنها وظاهرها [١]

وله الى أبي سعيد بن خلف الهمدانى :

وصل كتابك متحملا من أخبار سلامتك ، وآثار نعم الله بساحتك ، ماأدّى روح البر ونسيمه ، وجمع فنون الفضل وتقاسيمه ، ومجددا عندى من عمر مواصلته ومعسول كلامه ومحاورته ، ما ترك غصن المِقَة غضا تروق أوراقه [٢] ووجه الثقة طَلْقاً يتهلل إشراقه ، فكم جنيت عنه من ثمر مسرة كانت عوائق الأيام تجاذِ بُنيه ، وحويت به من عِلْق مَضَنَّة قلما يجود الدهر بمثله لبنيه [٣]

وله فصل الى بعض الحكام بجُوَين [٤] :

وصل كتاب الحاكم قد وشّحه بمحاسن فِقره ، ونتائج فِكره ، من لفظ شهيٍّ أعطته القلوب فضل المقادَة ، ومعنى سنيٍّ جاده صوْبُ الاصابة والاجادة ، وبِرٍّ هنيٍّ اتفقت على الاعتراف بفضله ألسنة الثناء والشهادة ، فسرّحت طرفى فيما حواه من بدائع وطُرَف ، قد جُمعت فى الحسن والاحسان بين واسطة وطَرَف ، حتى لم تُبق فى البلاغة يتيمة الا نظمتها ، ولا فى الطرف غنيمة إلا اقتسمتها ، ولا فى البر نقيصة إلا جبرتها وتممتها

وله الى الأمير السيد أبيه يهنئه بالقدوم :

كتبت وأنا بمنزلة من ارتد اليه شبابه بعد المشيب ، وارتدى برداء من العمر قشيب [٥] والحمد لله رب العالمين ، وصل كتاب مولاى مبشراً من خبر عوده إلى مقر عزه وشرفه ، محروسا فى حفظ الله وكَنَفه ، بما لم تزل الآمال تتنسّم روائحه ، وتترقب غادىَ صنع الله فيه ورائحه ، واثقة بأن عادة الله الكريمة عنده تسايره وترافقه ، وتلزم جنابه فلا تفارقه ، حتى تخرجه من غَمرة الغمّاء ، خروج السيف من الغِمْد ، والبدر بعد السِّرار الى الانجلاء ، فعددت يوم وروده عيداً

(١) مبار : جمع مبرة (٢) المقة : الحب (٣) العلق : الشىء النفيس
(٤) جوين : كورة كبيرة فى خراسان (٥) قشيب : جديد.

أعاد عهد السرور جديدا ، ورد طرف الحسود كليلا وقد كان حديداً ، ولم أشبهه فى اهداء الرَّوح والشفاء ، وتلافى الروح بعد أن أشفى على المكروه كل الإشفاء [٢] إلا بقميص يوسف حين تلقاه يعقوب عليه السلام من البشير ، وألقاه على وجهه فنظر بعين البصير ، فكم أوسعته لثما واستلاما ، والتقطت منه برداً وسلاما ، حتى لم تبق غُلَّة فى الصدر إلا بَرَدْتُها ، ولا غُمة فى النفس إلا طردتها ، ولا شريعة من الأُنس إلا وردتها

وله فصل من رسالة :

وكان فرط التعجب مرة ، وعظم الاعجاب تارة ، يقف بى عند أول فصل من فصوله ، ويثبطنى من استيفاء غُرَره وحُجُوله ، ويوُهمنى أن المحاسن ماحوته قلائده، ونظمته فرائده ، فليس فى قوس احسان وراءها مِنْزَع [٣] ولا لاقتراح جَنان فوقها مُتَطَلَّع ، حتى اذا جاوزته الى لفه وتزيينه ، وأجلت فكرى فى نكته وعيونه ، رأيت ما يحيِّر الطرف ، ويُعجز الوصف ، ويعلو على الأول محلا ومكانا، ويفوقه حسنا واحسانا ، فرتعت كيف شئت فى رياضه وحدائقه ، واقتبست نور الحكم من مطالعه ومشارقه ، وسلمت لمعانيه وألفاظه فضيلة السبق والبراعة ، وتلقيتها بواجبها من النشر والإذاعة ، فانها جمعت إلى حسن الايجاز ، درجة الإعجاز ، والى فضيلة الإبداع ، جلالة الموقع فى القلوب والأسماع

وله من فصل :

وصل كتاب الشيخ فنشر عندى من حُللِ إفضاله واكرامه ، ومحاسن خطابه وكلامه ، مالم أشبهه إلا بأنوار النُّجود [٣] وحبَر البرود ، وقلائد العقود

---

(١) أشفى على المكروه : أشرف عليه (٢) منزع : على وزن منبر ، السير الذى ينتزع به ، ويقولون : لم يبق فى قوس الصبر منزع : يريدون أن الصبر نفدت أسبابه

(٣) النجود : جمع نجد ، وهو ماارتفع من الارض ، وفيه يونع الزهر

وصف أبى الفضل الميكالى

وذكر أبو منصور الثعالبى الأمير أبا الفضل فى كتاب فقه اللغة فقال فى بعض فصوله :

من أراد أن يسمع سِرّ النظم ، وسِحْر الشعر ، ورُقْية الدهر ، ويرى صَوْب العقل ، وذَوب الظَّرف ، ونتيجة الفضل ، فليستنشد ما أسفر عنه طبع مجده ، وأثمره عالى فكره : من مُلَح تمتزج بالنفوس لنفاستها ، وتشرب بالقلوب لسلاستها

قوافٍ اذا ما رواها المشو * قُ هزت له الغانيات القدُودا
كسونَ عَبيداً ثياب العبيـ * ـد وأضحى لَبيدٌ لديها بليدا

وايم الله ما مرّ يوم أسعفنى فيه الزمان بمواجهة وجهه ، وأسعدنى بالاقتباس من نوره ، والاغتراف من بحره ، فشاهدت ثمار المجد والسؤدد تنتثر من شمائله ، ورأيت فضائل الدهر عيالا على فضائله ، وقرأت نسخة الفضل والكرم من ألحاظه وانتهبت فرائد الفوائد من ألفاظه ، إلا تذكرت ما أنشدنيه ، أدام الله تأييده ، لابن الرومى

لولا عجائب صنع الله ما نبتت * تلك الفضائل فى لحم ولا عَصَب

ورددت قول الطائى :

فلو صوَّرْت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباع

وثلَّثت بقول كُشاجم :

ما كان أحوج ذا الكمال الى * عَيْبٍ يُوَقِّيه من العَيْنِ

وربعت بقول أبى الطيب :

فان تفق الأنام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزالِ

ثم استعرت فيه بيان أبى اسحق الصابى حيث يقول للصاحب « ورثه الله أعمارها كما بلَّغه فى البلاغة أقدارها » :

الله حسبى فيك من كل ما * تعوّذ العبد على المولى

فلا تزلْ ترفل فى نعمةٍ * أنت بها من غيرك الأولى

وقال فى فصل منه : وما أنسَ لا أنسَ أيامى عنده بفيروز اباد احدى قراه برستاق جوين ، سقاها الله ما يحكى أخلاق صاحبها من سَيْل القطر ، فانها كانت بطلعته البدرية ، وعشرته العطرية ، وآدابه العلوية ، وألفاظه اللؤلؤية ، مع جلائل نعمه المذكورة ، ودقائق كرمه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ، ومحاسن أقواله وأفعاله ، التى يعيا بها الواصفون ، أنموذجات من الجنة التى وعد المتقون ، وإذا تذكرتها فى تلك المرابع التى هى مراتع النواظر ، والمصانع التى هى مطالع العيش الناضر ، والبساتين التى إذا أخذت بدائع زخارفها ، ونشرت طرائف مطارفها ، طُوِى لها الديباج الخسروانى ، ونفى معها الوَشْى الصَّنعانى ، فلم تشبه إلا بشيَمِهِ ، وآثار قلمه ، وأزهار كلمه ، تذكرت سِحراً وسيما ، وخيراً عميما ، وارتياحا مقيما ، ورَوْحاً وريحاناً ونعيما . وكثيراً ما أحكى للاخوان انى استغرقت أربعة أشهر بحضرته وتوفرت على خدمته ، ولازمت فى أكثر أوقاتى عالى مجلسه ، وتعطرت بغُبار موكبه ، فبالله يميناً كنت غنيا عنها لو خفت إثمها ، أنى ما أنكرت طرَفا من أخلاقه ، ولم أشاهد إلا مجداً وشرفاً من أحواله ، وما رأيته اغتاب غائباً أو سبّ حاضراً ، أو حرم سائلا ، أو خيّب آملا ، أو أطاع سلطان الغضب فى الحضَر ، أو تسلّى بنار الضجر فى السفر ، أو بطش بطش المتجبر ، ولا وجدت المآثر إلا ما يتعاطاه ، والمآثم إلا ما يتخطاه .

وقال فى فصل منه يصفه:

وأما فنون الأدب فهو ابن بَجْدتها [1] وأخو جملتها ، وأبو عُذرها [2] ومالك

(١) ابن بجدتها : هو الخبير بها ، وتقول : فلان عالم ببجدة أمرك ، أى بحقيقته

(٢) أبو عذرها . العذر : البكارة ، وأبو عذرها أول من افتضها ، كناية عن المهارة فى أمر من الامور

أزمتها ، وكأنما يوحى اليه فى الاستئثار بمحاسنها ، والتفرد ببدائعها ، ولله هو اذا غرس الدر فى القراطيس ، وطرّز بالظلام رداء النهار ، وألقت بحار خواطره ، جواهر البلاغة على أنامله ، فهناك الحسن برُمّته ، والحسن بكليته

امراء البيان

وذكر عمر بن على المطوعى فى كتاب ألفه فى شعر أبي الفضل ومنثوره. والشعراء فقال :

رأيت أهل هذه الصناعة قد تشعّبوا على طرق ، وانقسموا الى ثلاث فِرق ، فمنهم من اكتسى كلامه شرف الاكتساب ، دون شرف الانتساب ، كالمكتسبين من الشعراء بالمدائح ، المترشحين بها لأخذ الجوائز والمنائح ، وهم الأكثرون من أهل هذه الصناعة ، ومنهم من شَرُفت بنات فكره عند أهل العقول ، وجلبت لهم فضائل القبول ، لشرف قائلها لا لكثرة عقائلها ، وكرم واشيها لا لرقة حواشيها ، كالعدد الكثير ، والجم الغفير ، من الخلفاء والأمراء والجلة والوزراء ، ومنهم من أخذ بحبل الجودة من طرَفيه ، وجمع رداء الحسن من حاشيتَيه ، كامرىء القيس بن حُجْر الكندى فى المتقدمين ، وهو أمير الشعراء غير منُازَع ، وسيدهم غير مجاذَب ولا مدافع ، وعبدالله بن المعتز بالله أمير المؤمنين فى المولَّدين ، وهو أشعر أبناء الخلافة الهاشمية ، وأبرع انشاء الدولة العباسية ، ومن جل كلامه فى التشبيه ، من أن يُمثل بنظير أوشبيه ، وغلت أشعاره فى الأوصاف ، عن أن تتعاطا ألسنة الوُصّاف ، والأمير أبى فراس بن حمدان فارس البلاغة ، ورجل الفصاحة ، ومن حكمت له شعراء العصر قاطبة بالسيادة ، واعترفت لكلامه بالاحسان والاجادة ، حتى قال أبو القاسم اسماعيل بن عباد الصاحب : (بدىء الشعر بملك وختم بملك) يعنى امرأ القيس وأبا فراس ، وهذه الطائفة أشهر الثلاثة تقدما ، وأثبتها فى مواطن الفخر ومواطىء الشرف قدما ،

وأسبق الشعراء فى ميدان البلاغة ، وأرجحهم فى ميزان البراعة ، فان الكلام الصادر عن الأعيان والصدور ، أقر للعيون وأشفى للصدور ، فشرف القلائد بمن قلَّدها ، كما أن شرف العقائل بمن ولَّدها

وخير الشعر أكرمه رجالاً * وشر الشعر ما قال العبيدُ

وإذا اتفق من اجتمعت فيه هذه الشرائط ، وانتظمت عنده هاتيك المحاسن كان خليقاً بأن تُخلَّد فى صحائف القلوب أشعاره ، وتُدوَّن فى ضمائر النفوس آثاره ، وتكتب على الأحداق والعيون أخباره ، وجديراً بأن يختص بسرعة الجال في المجالس ، وخفة المدار فى المدارس ، كالأمير الجليل السيد مولانا

أبى الفضل من نال السماء بفضلهِ * ومن وعدَتهُ نفسه بمزيدِ

تود عقود الدر لو كنَّ لفظَهُ * فينظمها من تَوْأمٍ وفريد

وصف البلاغة

وهذه مقطعات لأهل العصر فى وصف البلاغة

قال أبو الفتح البُستى :

مدحتك فالتامت قلائد لم يفُزْ * بأمثالها الصِّيد الكرام الأعاظمُ

لأنك بحرٌ والمعانى لآلئ * وفكرىَ غوَّاصٌ وشعرىَ ناظم

وقال أيضاً :

ما إن سمعت بنوّارٍ له ثمرٌ * فى الوقت يُمتِع سمع المرء والبصرا

حتى أتانى كتابٌ منك مبتسمٌ * عن كل لفظ ومعنى يشبه الدُّررا

فكان لفظك فى لألائه زهَرًا * وكان معناه في أثنائه ثمرا

تسابقا فأصابا القصد فى طَلَقٍ * لله من ثمر قد سابق الزهَرَا

وقال أيضا :

لما أتانى كتاب منك مبتسمُ * عن كلّ برٍّ ولفظ غير محدودِ

حكَتْ معانيه في أثناء أسطُرِهِ * آثارك البيض في أحوالىَ السُّودِ

كأنه ألمّ بقول الطائى :

يرى أقبح الاشياء أوبة آملٍ * كستْها يد المأمول حُلَّة خائبِ

وأحسن من نَوْرٍ تُفتِّحه الصَّبا * بياضُ العطايا فى سوادِ المطالب

وقال أبو الفتح البستى فى أبى نصر أحمد بن على الميكالى

جمع الله فى الأمير أبى نصـ * ـر خصالاً تغلو بها الأقدارُ

راحةً برَّةً وصدراً فضاءً * وذكاءً تبدو له الأسرار

خَطهُ روضة وألفاظه الأز * هار يضحكن والمعانى ثِمارُ

وقال عمر بن على المطوعى يمدح أبا الفضل الميكالى من قصيدة:

والى الأمير بن الأمير المعتلى * بكمال سؤدده على الأمراءِ

وطِئتْ بىَ الوجناء وجنة مَهْمَهٍ * متقاذف الأكناف والأرجاء (١)

كيما ألاحظ منه فى أفق العلى * فلكا يدير كواكب العلياء

كالبدر غير دوامه متكاملا * كالبحر غير عذوبة وصفاءِ

بالفضل يُكنى وهو فيه كامنٌ * كالرِّى يكمن فى زُلال الماء

يا من إذا خط الكتاب يمينهُ * أهدى الينا الوشْى من صنعاء

لم تجر كفك فى البياض موقِّعاً * إلا تجلَّت عن يد بيضاء

قَرْمٌ يداه وَقلبه ما منهما * فى النظم والإعطاء إلا الطائى (٢)

وقال فيه أيضا

كلام الأمير النَّدْب فى تِبى نظمه * يَنوب عن الماء الزلال لمن يظما (٣)

---

(١) الوجناء : الناقة الصلبة ، من الوجين وهى الارض الغليظة ـ المهمه : الوادى المقفر ـ متقاذف الأكناف : متباعد الاطراف (٢) القرم : السيد ـ الطائى فى الكرم هو حاتم الطائى ، وفى النظم ابو تمام (٣) الندب : الشهم

فنروى متى نروِى بدائع نظمه * ونظما إذا لم نرو يوماً له نظما

وكتب اليه أيضاً :

أقول وقد جادت جفونى بأدمعٍ * كأنى قد استمليتهن من السُّحْبِ

وقد علِقَتْ بى للنِّزاع نوازعٌ * كتبن مُعاناة العناء على قلبى

إلى سيِّدٍ أوفى على الشمس قدرُه * وزادت معاليه ضياء على الشهب

أبى الفضل من راحت فواضل كفهِ * وراحته تُربى على عدد الترب (١)

سقى الله أرضاً حلّ فيها سحائباً * كنائله الفيَّاض أو لفظه العذْب

سحائب يحدوها نسيمٌ كخُلْقِهِ * ويقدمها برق كصارمه العَضْبِ (٢)

ولا زال أفلاك السعود مُطيفةً * بحضرته تنتابها وهو كالقطْبِ

وقال أبو منصور الثعالبى للأمير أبى الفضل :

لك فى الفضائل معجزات جمةٌ * أبداً لغيرك فى الورى لم تُجمعِ

بحران بحرٌ فى البلاغة شابَهُ * شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعى (٣)

كالنَّور أو كالسِّحر أو كالدُّرِّ أو * كالوشْيِ فى برْدٍ عليه مُوشّعٌ (٤)

شكراً فكم من فَقْرَةٍ لك كالغنى * وافى الكريم بُعَيْدَ فقر مُدْقع (٥)

وإذا تفتّق نَوْر شعرك ناضراً * فالحسن بين مُرَصّعٍ ومصرّعٍ

أرجلت فرسان الكلام ورُضت أفـ * ـراس البديع وأنت أمجد مُبدع

ونقشت فى فصِّ الزمان بدائعاً * تزرى بآثار الربيع المُمرعِ (٦)

يا مُهْدِيَ الطِّرف الجواد كأنما * قد أنْعلوه بالرياح الأربع (٧)

لاشىء أسرعُ منه إلا خاطرى * فى شكر نائلك اللطيفِ المَوقع

---

(١) تربى : تزيد (٢) الصارم العضب : السيف القاطع (٣) الوليد : هو البحترى
(٤) موشع : ذو رقوم وطرائق (٥) فقر مدقع : شديد ، لصق صاحبه بالدقعاء وهى التراب (٦) الممرع : المملوء بالكلأ والعشب (٧) الطرف : الحصان

ولو أننى أنصفت فى إكرامه * لجلال مُهدِيهِ الكريم الأروع (١)
أنظمتهُ حبَّ القلوب لحبِّه * وجعلت مربطه سواد المَدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيّقٍ * بُرْد الشباب لجله والبُرقع

وكتب اليه فى جواب كتاب ورد عليه :

أنسيمُ الرياض حول الغدير * مازجته رَيًّا الحبيب الأثيرِ (٢)
أم وُرُود البشير بالنُّجح من فكّ * أسيرٍ أو يُسر أمر عسيرِ
فى مُلاء من الشباب جديدٍ * تحت أيكٍ من التصابى نَضِيرِ (٣)
أم كتاب الأمير سيدنا الفر * د فياحبذا كتاب الأميرِ
وثمار الصدور ما أجتنيهِ * من سُطور فيها شفاء الصدورِ
نمّقتها أناملٌ تفتق الأنوا * رَ والزهر فى رياض السطورِ
كالمُنى قد جُمِعْنَ فى النِّعم الغُرِّ * مع الأمن من صُرُوف الدهورِ
يا أبا الفضل وابنه وأخاهُ * جل باريك من لطيف خبيرِ
شِيَمٌ يرتضعن دَرَّ المعالى * ويُعبِّرْنَ عن نسيم العبيرِ
وسجايا كأنهنَّ لدى النَّشْـ * ـرِ رُضابُ الحَيا بأرْىٍ مَشُورِ (٤)
ومُحيًّا لدى الملوك محيا * صادق البشر مُخجل للبدورِ

فأجابه أبو الفضل بأبيات يقول فيها فى صفة أبياته:

وهَدِىٍّ زُفّت الى السمع بِكرٍ * تتهادى فى حلية وشُذورِ (٥)
عَجِبَ الناس أن بدت من سوادٍ * فى بياضٍ كالمسك فى الكافور
نُظِمت فى بلاغة من معانٍ * مثل نظم العقود فوق النُّحورِ

(١) الاروع : الذكى الروع ، بضم الراء ، وهو الفؤاد

(٢) الأثير : العزيز (٣) الأيك : الشجر الملتف (٤) الأرى : العسل ، والمشور المصفى ، تقول : شار العسل واشتاره إذا صفاه من الافراص (٥) الهدى : على وزن غنى ، هى العروس ، والشذور قطع الذهب

كم تذكرت عندها من عهودٍ * للتلاقى فى ظلِّ عيش نضير
فذممت الزمان إذ ضَنَّ عنا * باجتماع يضم شمل السرور
ولئن راعنا الزمان ببين * ألبس الأنس ذِلّة المهجورِ
فعسى الله أن يعيد اجتماعا * فى أمانٍ من حادثات الدهورِ
إنه قادرٌ على ردِّ ما فا * ت وتيسير كل أمرٍ عسيرِ

الوزير المهلبى

وقال أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابى فى الوزير المهلّبى

قل للوزير أبى محمد الذى * قد أعجزت كلَّ الورى أوصافُه
لك فى المجالس منطقٌ يشفى الجوَى * ويسوغ فى أذن الأديب سُلافُهُ
وكأن لفظك جوهر مُتَنَخَّلٌ * وكأنما آذاننا أصدافُهُ (١)

والمهلبى هذا هو أبو محمد الحسن بن هارون بن ابراهيم بن عبد الله بن يزيد ابن حاتم بن قبيصةَ بن المهلب ، وُزِّرَ لأحمد بن بويه الديلمى ، وكانت وزارته سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، وكان أبو محمد من سرَوات الناس ، وأدبائهم ، وأجوادهم ، وأعِفّائهم ، وفيه يقول أبو اسحق الصابى :

نِعَم الله كالوحوش فما تأ * لَفُ إلا الأخاير النُّساكا
نفّرتها آثام قوم وصيّر * ن لها البر والتقى أشراكا

وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحاً فى البلاد ، على طريق الفقر والتصوف ، قال أبو على الصوفى كنت معه فى بعض أوقاته أماشيه فى إحدى طرقاته فضجر لضيق الحال فقال :

ألاَ موتٌ يباع فأشتريهِ * فهذا العيش مالاخير فيهِ
ألا رَحِمَ المهيمن نفس حُرٍّ * تصدّق بالوفاة على أخيهِ

(١) متنخل ، بالخاء المعجمة: مختار

ثم تصرّف بما يرضيه الدهر، وبلغ المهلبي مبلغه

قال أبو علي : دخلت البصرة فاجتزت بسُرّ من رأى ، واذا أنا بناشظيات وحراقات وزيارب وطيارات في عُدّة وعدد فسألت لمن هذا فقيل للوزير المهلبي ونعتوا لي صاحبي ، فوصلت اليه حتي رأيته ، فكتبت اليه رقعة وتوصلت حتى دخلت، فسلمت وجلست حتى خلا مجلسه فدفعت اليه الرقعة وفيها

ألا قل للوزير بلا احتشامٍ * مقالَ مذكِّر ما قد نسيهِ

أتذكر إذتقول لضيق عيشٍ * ألا موتٌ يباع فأشتريهِ

فنظر إليّ وقال : نعم ! ثم نهض وأنهضني معه الى مجلس الأنس، وجعل يذاكرني ما مضى، ويذكر لي كيف ترقت حاله ، وقدم الطعام فطعمنا ، وأقبل ثلاثة من الغلمان على رأس أحدهم ثلاث بِدَر [1] ، ومع الآخر تخوت وثياب ، ومع الآخر طيب وبخور، وأقبلت بغلة رائعة بسرج ثقيل، فقال : يا أبا علي ! تفضل بقبول هذا ، ولا تتخلف عن حاجة تعرض لك . فشكرته وانصرفت ، فلما هممت بالخروج من الباب استردني وأنشدني بديهاً

رقّ الزمان لفاقتي * ورثى لطول تحرُّقي

وأنالني ما أرتجي * وأجار مما أتَّقي

فلأغفرن له الكثيـــر من الذنوب السُّبَّقِ

إلا جنايته التي * فعلَ المشيب بمَفْرَقي [2]

الحكمة ضالة المؤمن

قال بعض العلماء :

— العقول لها صُوَر مثل صوَر الأجسام، فاذا أنت لم تسلك بها سبيل الأدب حارت وضلت ، وإن بعثتها في أوديتها كلّت وملّت، فاسلك بعقلك شِعاب المعاني

---

(١) البدر : جمع بدرة وهى كيس الدنانير (٢) وكانت وفاة الوزير المهلبي سنة ٣٥٢

والفهم [١] ، واستبقه بالجمام للعلم [٢] وارتد لعقلك أفضل طبقات الأدب ، وتوقّ عليه آفة العطب ، فان العقل شاهدك على الفضل ، وحارسك من الجهل . واعلم أن مغارس العقول كمغارس الأشجار ، فاذا طابت بقاع الارض للشجر زكا ثمرها وإذا كرمت النفوس للعقول طاب خيرها ، فاغمر نفسك بالكرم تسلم من الآفة والسقم ، واعلم أن العقل فى النفس اللئيمة ، بمنزلة الشجرة الكريمة ، فى الارض النميمة ، ينتفع بثمرها على خبث المغرس ، فاجتن ثمر العقول وإن أتاك من لئام الأنفس

وقيل : الحكمة ضالة المؤمن ، أينما وجدها أخذها

ـ وسمع الشعبي الحجاج بن يوسف وهو على المنبر يقول : أما بعد فان الله كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، واقصروا من الأمل ، لقِصَر الأجل . فقال : كلام حكمة خرج من قلب خَرِب ! وأخرج ألواحه فكتب . وقد روى ذلك عن سفيان الثورى . وقد سمع ابراهيم بن هشام وهو يخطب على المنبر ويقول : إن يوماً أشاب الصغير ، وأسكر الكبير : ليوم شره مستطير !

وصف الكتاب

قال الجاحظ : الكتاب وعاء مُلئ علما ، وظَرف حُشى ظرفا ، وبستان يُحمل فى رُدن [٣] وروضة تقلب فى حِجر ، ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأحيا

وقال : من صنف كتابا فقد استهدف [٤] فان أحسن فقد استعطف ، وإن أساء فقد استقذف [٥]

---

(١) الشعاب جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق فى الجبل (٢) الجمام بكسر الجيم الراحة (٣) الردن : الكم (٤) استهدف : صير نفسه هدفا لسهام النقد (٥) استقذف : عرض نفسه للقذف

— وقال : لا أعلم جاراً أبر ، ولا خليطا أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا معلما أخضع ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقل جناية ، ولا أقل إملالا و إبراما ، ولا أقل خلافا و إجراما ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعد من عَضيهة [١] ولا أكثر أعجوبة وتصرفا ، ولا أقل صَلَفا وتكلفا ، ولا أبعد من مِراء ، ولا أترك لشغَب ، ولا أزهد فى جدال ، ولا أكف عن قتال ، من كتاب . ولا أعلم قرينا أحسن مُواتاة ، ولا أعجل مكافأة ، ولا أحضر معونة ، ولا أقل مؤونة ، ولا شجرة أطول عمرا ، ولا أجمع أمراً ولا أطيب ثمرة ، ولا أقرب مُجتنى ، ولا أسرع إدراكا فى كل أوان ، ولا أوجد فى غير إبَّان ، من كتاب ، ولا أعلم نِتاجاً فى حداثة سنه ، وقرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، و إمكان وجوده ، يجمع من التدابير الحسنة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتراخية ، والأمثال السائرة ، والأمم البائدة ما يجمع الكتاب

— ودخل الرشيد على المأمون وهو ينظر فى كتاب ، فقال : ما هذا ؟ فقال : كتاب يَشْحَذ الفكرة ، ويحسن العِشرة . فقال : الحمد لله الذى رزقنى من يرى بعين قلبه ، أكثر مما يرى بعين جسمه

— وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك بأدبك وكتبك ؟ فقال : هى إن خلوتُ لذتى ، و إن اهتممت سلوتى ، و إن قلت إن زهر البستان ، ونور الجنان ، يجلوان الأبصار ، ويُمتعان بحسنهما الألحاظ ، فان بستان الكتب يجلو العقل ، ويشحذ الذهن ، ويحيي القلب ، ويقوّي القريحة ، ويعين الطبيعة ، ويبعث نتائج العقول ويستثير دفائن القلوب ، ويُمتع فى الخلوة ، ويؤنس فى الوحشة ، ويضحك بنوادره ، ويسر بغرائبه ، ويفيد ولا يستفيد ، ويعطى ولا يأخذ ، وتصل لذته الى القلب ، من غير سآمة تدركك ، ولا مشقة تعرض لك

— وقال أبو الطيب المتنبي :

وللسرِّ منى موضعٌ لا يناله * نديمٌ ولا يُفضى اليه شرابُ

(١) العضيهة : الافك

والخَوْد منى ساعة ثم بيننا * فلاةٌ الى غير اللقاء تُجاب (١)
وما العشق إلا غِرةٌ وطماعةٌ * يعرِّض قلبٌ نفسه فيصاب
وغير فؤادى للغوانى رميَّةٌ * وغير بنانى للرِّخاخ رِكاب (٢)
تركنا لأطراف القنا كل لذةٍ * فليس لنا إلا بهن لِعاب (٣)
ونصرفه للطعن فوق سوابح * قد انقصفت فيهن منه كِعاب (٤)
أعز مكان فى الدُّنا سرج سابح * وخير جليس فى الزمان كتاب

فقر فى الكتب

— إنفاق الفضة على كتب الآداب ، يخلفك عليه ذهب الألباب .

— ان هذه الآداب شوارد ، فاجعلوا الكتب لها أزِمَّة .

— كتاب الرجل عنوان عقله ، ولسان فضله .

— ابن المعتز : من قرأ سطراً من كتاب قد خط عليه فقد خان كاتبه ، لأن الخط يحرز ما تحته

— بزر جمهر : الكتب أصداف الحِكم ، تنشقُّ عن جواهر الكلم

— بعض الكتاب : إعجام الخط يمنع من استعجامه ، وشكله يؤمن من إشكاله كأن هذا الكاتب نحا الى قول أبى تمام

ترى الحادث المستعجم الخطبِ معجَماً * لديه ومشكولا إذا كان مشكلا

— ما كُتب قرّ ، وما حفظ فرّ

— الخطوط المعجَمة ، كالبرود المُعْلَمة .

— وقال ابن المعتز يصف كتابا :

وذى نُكَتٍ موشى نمَّقتهُ * وحاكته الأنامل أىَّ حوْكِ
بشكل يرفع الإشكال عنهُ * كأن سطورَه أغصان شوْك

(١) الخود : الفتاة الجميلة — تجاب : تقطع (٢) رمية: فريسة . والرخاخ جمع رخ، وهو من أدوات الشطرنج (٣) اللعاب : هو الملاعبة (٤) السوابح : الخيول ، والكعاب أطراف القنا

تهادى الكتب

جملة من ألفاظ أهل العصر فى صفة الكتب وتهاديها وما يتعلق بأسمائها ومعانيها

حضرة مولاى تجل عن أن يهدى اليها غير الكتب ، التى لا يترفع عنها كبير ، ولا يمتنع منها خطير ، وقد فكرت فيما أنفذت به مقيما للرسم فى جملة الخدم ، وحافظا للاسم فى غمار الحشم ، فلم أجد إلا الرق الذى سبق ملكه له ، والمال الذى منحه وخوَّله ، فعدلت الى الأدب الذى تنفَق سوقه بباب سيدنا ولا تكد ، وتهب ريحه بجانبه ولا تركد ، وأنفذت كتابى هذا راجياً أن أشرَّف بقبوله ، ويوقع الىَّ بحصوله ، ولما وجب على ذوى الاختصاص لسيدنا اهداء ما جرت العادة بتسابق الاولياء الى الاجتهاد فى اهدائه ، وجب العدول فى اقامة رسم الخدمة الى اتباع ما صدر عنه من الرخصة فيما تسهل كلفته ، وتجل عند ذوى الالباب قيمته ، وتحلو ثمرته ، وهو علم يقتنى ، وأدب يجتنى

قال أبو الحسن بن طباطبا العلوى

لا تنكرنْ إهداءنا لك منطقاً * منك استفدنا حسنَه ونظامهُ

فالله عز وجل يشكر فعل من * يتلو عليه وحيه وكلامهُ

وأهدى أحمد بن يوسف [1] الى المأمون فى يوم مهرجان هدية قيمتها ألف ألف درهم وكتب

---

(١) أحمد بن يوسف كاتب بليغ كان يتولى ديوان الرسائل للمأمون ، وله أخبار كثيرة تدل على انه كان مع مركزه فى الدولة كثير العبث والمجون . شتمه رجل بين يدى المأمون فقال يخاطب المأمون : قد والله ياأمير المؤمنين رأيته يستملى من عينيك ما يلقانى به . وسيعود صاحب زهر الآداب الى الكلام عنه فى عدة مواطن . كانت وفاته سنة ٢١٣

على العبد حقٌ فهو لابدَّ فاعلهْ * وإن عظُم المولى وجلت فضائلهْ
ألم ترنا نهدى إلى الله مالهُ * وان كان عنه ذا غنًى وهو قابله

قال أبو الفتح البستى :

لا تنكرنَّ اذا أهديت نحوكَ من * علومك الغُرِّ أو آدابك النُّتَفَا
فقيِّم الباغ قد يهدى لمالكه * برسم خدمته من باغه التُّحفا (١)

وكتب أبو اسحاق الصابى إلى عضد الدولة فى هذا المعنى :

— العبيد تُلاطف ولا تكاثر الموالى فى هداياها ، والموالى تقبل الميسور منها قبولا هو محسوب فى عطاياها . ولما كان أدام الله تعالى عزه مبرزا على ملوك الأرض فى الخطر الذى قصروا عنه شديداً ، والمدى الذى وقعوا منه بعيداً ، والآداب التى عجزوا عن استعلامها فضلا عن علمها ، والأدوات التى نكلوا عن استفهامها فضلا عن فهمها ، وجب أن يعدل عن اختياراتهم فيما تحظى به الجسوم البهيمية ، إلى اختياره فيما به تحظى النفوس العلية ، وعما ينفق فى سوقهم العامية ، إلى ما ينفق فى سوقه الخاصية ، إفراداً لرتبته العليا ، وغايته القصوى ، وتمييزاً له عمن لا يجرى معه فى هذا المضمار ، ولا يتعلق منه بالغبار ، وقد حملت إلى الخزانة عمرها الله شيئاً من الدفاتر وآلة النجوم . فان رأى مولانا أن يتطوَّل على عبده بالاذن فى عرض ذلك عليه مشرفا له وزائداً فى احسانه اليه ، فعل إن شاء الله تعالى

— وأهدى أبو الطيب المتنبى إلى أبي الفضل بن العميد فى يوم نوروز قصيدة مدحه فيها (٢) يقول فى آخرها :

كثر الفكر كيف نُهدى كما تُهـ * ـدى إلى ربها الرئيس عبادُه
والذى عندنا من المال والخيـ * ـل فمنه هِباته وقيادُه

---

(١) الباغ : الطيب (٢) مطلع هذه القصيدة :

جاء نيروزنا وأنت مراده * وورت بالذى أراد زناده

فبعثنا بأربعين مِهاراً * كلُّ مهر ميدانه إنشادُهُ
فارتبطها فان قلباً نماها * مَرْبطٌ تسبقُ الجيادَ جيادُه

— وفى هذه الكلمة يقول وقد احتفل فيها ، واجتهد فى تجويد ألفاظها ومعانيها ، فتعقب عليه أبو الفضل فى مواضع وقف عليها فقال : [(١)]

هل لعذرى عند الهمام أبى الفضـــل قبولٌ سوادُ عينى مِدادُه
أنا من شدة الحياء عليلٌ * مكرمات المُعِلّهِ عوّاده [(٢)]
ما كفانى تقصيرُ ما قلت فيه * عن علاهُ حتى ثناه انتقادُه
ما تعودت أن أرى كأبى الفضـــل وهذا الذى أتاه اعتياده
غمرتنى فوائدٌ شاء منها * أن يكون الكلامُ مما أفاده
ما سمعنا بمن أحب العطايا * فاشتهى أن يكون منها فؤادُه

وقد كان مدحه بقصيدته التى أولها :

بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا * وبكاك ان لم يجرد معك أو جرى

وفيها معان مخترعة ، وأبيات مبتدعة ، يقول فيها

مَن مُبلغُ الاعراب أنىَ بعدها * جالست رسْطاليس والاسكندرا
ومَلِلْت نحر عِشارها فأضافنى * من ينحر البِدر النضار لمن قرى [(٣)]
وسمعت بطلميوس دارس كتبه * متملكا متبدّيا متحضّرا [(٤)]
ورأيت كل الفاضلين كأنما * ردَّ الالَه نفوسهم والاعصرا
نَسَقوا لنا نَسَقَ الحساب مقدّما * وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

---

(١) ليس الامر كما ذكر المؤلف ، وانما لاحظ ابن العميد ما لاحظه على المتنبى فى القصيدة الرائية التى سيشير اليها المؤلف بعد ذلك ، فكانت هذه الابيات اعتذارا وقع فى تضاعيف الدالية التى قصد بها تهنئة ابن العميد بعيد النوروز (٢) المعله : من اضافة اسم الفاعل الى مفعوله (٣) البدر : جمع بدرة وهى الكيس فيه عشرة آلاف دينار والنضار ، بالضم ، الذهب، وقرى : أضاف (٤) متبديا : فى أخلاق أهل البداوة

وفيها يقول :

فدعاك حُسَّدُك الرئيس وأمسكوا * ودعاك خالقك الرئيس الأكبرا
خلَفَت صفاتك فى العيون كلامَهُ * كالخطِّ يملأ مِسْمَعَىْ من أبصرا

أخذه من قول الطائى يصف قصائده :

بِقُربٍ يراها من يراها بسمعهِ * ويدنو اليها ذو الحجا وهو شاسِعُ (١)

أوصاف الكتب

— كتاب كتب لى أماناً من الدهر ، وهنانى أيام العمر

— كتاب أوجبَ من الاعتداد ، فوق الاعداد ، وأودع بياض الوداد ، سواد الفؤاد

— كتابٌ النظرُ فيه نعيمٌ مقيم ، والظفَر به فتحٌ عظيم

— كتابٌ ارتحت لِعيانه ، واهتززت بعنوانه

— كتاب هو من الكتب الميامين (٢) التى تأتى من قِبل اليمين

— كتاب عَدَدْته من حُجول العمر وغُرَره (٣) واعتددته من فُرَص العيش وغِرره (٤)

— كتاب هو أَنْفَس طالع ، وأكرم متطلّع ، وأحسن واقع ، وأجل متوقَّع

— كتاب لو قُرِئ على الحجارة لانفجرت ، أو على الكواكب لانتثرت

— كتاب كدت أُبليه طيًّا ونشرا ، وقبلته ألفا ويد حامله عشرا

— كتاب نسيت لحسنه الروض والزَّهر ، وغفرت للزمان ما تقدّم من ذنبه وما تأخر

— كتاب أَملته هِزَّة المجد على بَنانك ، ونطق به لسان الفضل عن لسانك

— أنا ألتقط من كل حرف تُدِيره أناملك تُحْفَة ، وآخذُ من كل سطر تتجشَّم تخطيطَه نُزهة

— اذا قرأت من خطك حرفا ، وجدت على قلبى خِفاً (٥) واذا تأمّلت من كلامك لفظا ، ازددت من أنسى حظا .

---

(١) شاسع : بعيد (٢) الميامين جمع ميمون (٣) الحجول جمع حجل وهو : بياض فى القوائم تحجل به الخيول ، والغرر جمع غرة وهى بياض فى الجبهة (٤) غرر : جمع غرة بكسر الغين وهى النزق ، وقد يحلو فى الشباب (٥) الخف والخفة : الارتياح

— كتاب كتب لى أماناً من الزمان ، وتوقيع وقع منى موقع الماء من العطشان.

— كتاب هو تَعِلّة المسافر (١) وانسة المستوحش ، وزُبدة الوصال ، وعُقْلة المستوفز (٢)

— كتاب هو رُقية القلب السَّليم (٣) وغرة العيش البهيم (٤)

— كتاب هو سَمَر بلا سَهَر ، وصَفْو بلا كَدَر

— كتاب تمتعت منه بالنعيم الأبيض ، والعيش الأخضر ، واستلمته استلام الحجر الأسود (٥) ووكلت طرفى من سطوره بَوشْى مهلَّل ، وتاج مكلَّل ، وأودعت سمعى من محاسنه ، ما أنسانى سماع الاغانى ، من مطربات الغوانى (٦)

— نشأت سحابة من لفظك غيمها نعمة سابغة ، وغيثها حكمة بالغة ، سقتْ روضة القلب ، وقد أَجهدَتها يد الجَدب (٧) فاهتزت وربَتْ ، وا كتست ما اكتست

— كتاب حسبته ساقطا الىّ من السماء ، اهتزازاً لمطلعه ، وابتهاجاً بحسن موقعه ، تناولته كما يُتناول الكتاب المرقوم ، وفَضَضْتُه كما يُفضُّ الرَّحيقُ المختوم (٨)

— كتاب كالمشترى شَرُف به المسير ، وقميص يوسف جاء به البشير

— كتاب هو من الحسن روضة حَزْن ، بل جنة عَدْن ، وفى شرح النفس ، و بسط الانس ، برد الاكباد والقلوب ، وقميص يوسف فى أجفان يعقوب

— قد أهديت الىّ محاسن الدنيا مجموعة فى ورقة ، ومباهج الحلى والحلل محصورة فى طبقة

— كتاب ألصقتُه بالقلب والكبد ، وشممته شمّ الولد

---

(١) تعلة المسافر : مايتلهى به لقطع الوقت (٢) المستوفز : المتعجل (٣) السليم : الملدوغ (٤) البهيم : المظلم (٥) يريد انه استلمه متيمنا باستلامه كما يتقرب الحاج إلى الله باستلام الحجر الاسود (٦) انظر ما كتب عن القيان وما قال فيهن الشعراء من الشعر البارع البديع في كتاب « أفنان الجمال » (٧) أجهدتها : أشقتها ، والجدب القحل (٨) الرحيق المختوم : الخمر المعتقة التى لم تفض عن دنانها الاختام

— ورد منك المسك ذكياً ، والزهر جَنِيّاً ، والماء مريّاً [١] والعيش هنيّاً ، والسحر بابليا

— كتاب مطلعهُ مطلعُ أهلة الاعياد ، وموقعهُ موقع نيل المراد

— كتاب وجدته قصير العمر ، كليالى الوصال بعد الهجر ، لم أبدأ به حتى استكمل وقارب الآخر منه الاول

— كتاب منتقض الأطراف، منقطع الأكتاف، أبتر الجوارح ، مضطرب الجوانح

— كتاب كأنه توقيع متحرِّز ، أو تعريض متبرِّز [٢] كاد يلتقى طرفاه ، ويتقارب مُفتتحه ومُنتهاه

— كتاب التقت طرفاه صِغَرا ، واجتمعت حاشيتاه قصِرا ، ماأظننى ابتدأته ، حتى ختمته ، ولا استفتحته ، حتى أتممته ، ولا لمحته ، حتى استوفيته ، ولانشرته ، حتى طويته ، وأحسبنى لو لم أجوِّد ضبطه ، ولم ألزم يدى حفظه ، لطار حتى يختلط بالجو فلا أرى منه إلا هباء منثوراً ، وهواء منشوراً

— كتاب حسبته يطير من يدى لخفته ، ويلطف عن حسى لقلته ، وعجبت كيف لم تحمله الرياح قبل وصوله إلى ، وكيف لم يختلط بالهواء عند حصوله لدىّ

— كتاب قصَّ الاقتصار أجنحته ، فلم يدع له قوادمَ ولاخوافى ، وأخذ الاختصار جثته ، فلم يبق ألفاظاً ولا معانى

— طلع كتابك كايماء بطرف ، أو وحى بكف

— وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز :

— استعرت من على بن يحيى المنجم جزءاً فيه أخبار مَعْبَد ، بخط حمّاد بن اسحاق الموصلى ، وكان وعدنى به ، فبعث إلىّ بست ورقات لطاف ، فرددتها وكتبت إليه:

— « إن كنت أردت بقولك جزأ الجزأ الذى لا يتجزأ فقد أصبت ، وان كنت

---

(١) مرى : مرىء هنىء (٢) متبرز : متعفف ، ورجل برز ،وامرأة برزة : عفيف وعفيفة ، وكلاهما بسكون الراء

أردت جزأ فيه فائدة للقارئ ، ومُتْعة للسامع ، فقد أَحَلْت [١] وقد رددته عليك ، بعد أن طار اللحظ عليه طيرة »

— فأجابنى: إذا كان السِّفر عندك مِنجاة فما أصنع [٢]

لوعة الشوق

وقال أبو العباس دخل رجل على الحسن بن سهل بعد أن تأخر عنه أياما فقال: « ما ينقضى يوم من عمرى لا اراك فيه الا علمت انه مبتور القدر ، منحوس الحظ ، مغبون الأيام »

فقال الحسن: هذا لأنك توصل إلىّ بحضورك سروراً لا اجده عند غيرك ، وأتنسّم من ارواح عشرتك ما تجدالحواس به بغيتها ، وتستوفى منه لذتها ، فنفسك تألف منى مثل ما آلفه منك

وكان يقال : محادثة الرجال تلقيح الألباب [٣] ، وقال ابن الرومى

ولقد سئمت مآربى فكأن أطيبها خبيثُ

الا الحديث فانهُ مثل اسمه أبداً حديثُ

قال مخارق : لقينى ابو اسحق اسماعيل بن القاسم قبل نسكه ، فقال : أناوالله صبٌّ بك، ولوع إليك ، مغمور القلب بشكرك ، واللسان بذكرك ، متشوِّفٌ إلى رؤيتك ومفاوضتك ، وقد طالت الأيام على ما أعد به نفسى من الاجتماع معك ، ومن قضاء الوطر منك. فما عندك ، أناالفداء لك ، اتزورنى ام ازورك ؟ قلت : جعلنى الله فداك ، ما يكون عند من هو منك بهذا الموضع ، وفى هذا المحل ، إلا الانقياد إلى أمرك ، والسمع والطاعة لك ، ولولا أن أسيء الأدب فى أمر بدأت فيه بالفضل ، لقلت ان كثير ما ابتدأت به من القول ، يقل فيما عندى من الشوق

(١) أحال : تكلم بالمحال (٢) المنجاة ما يتطهر به من ورق أوماء (٣) التلقيح : ماتلقح به النخلة لتثمر

اليك، والشغف بك دون ما حرك هذا القول منى ، فوجبت لك المنة به علىّ ، وأنا بين يديك ، فاثن عنانى الى ما أردت ، وقُدنى كيف شئت ، تجدنى كما قال القائل

ما تشتهيه فاني اليوم فاعلهُ * والقلب صبٌّ فما جشّمتَهُ جشِمِا

الفهم والافهام

وذكر سهل بن هرون رجلا فقال :

لم أر أحسن منه فهما لجليل ، ولاتفهما لدقيق .

أشار اليه أبو تمام فقال :

وكنت أعزَّ عزًّا من قنوعٍ تعرّضه صفُوحٌ من مَلولِ [1]

فصرت أذل من معنى دقيقٍ به فقرٌ الى ذهن جليلِ

وقال سعيد بن مسلم للمأمون :

لو لم أشكر الله تعالى إلا على حسن ما أبلانى من أمير المؤمنين من قصده إلىّ بحديثه ، واشارته الىّ بطرفه ، لقد كان فى ذلك أعظم الرفعة ، وأرفع ما توجبه الحرمة .

فقال : يفعل أمير المؤمنين ذلك ، لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الإفهام اذا حَدثت ، وحسن الفهم اذا حُدثت ، ما لا يجده عند أحد ممن مضى ، ولا يظن أنه يجده عند أحد ممن بقى ، فانك لتستقصى حديثى ، وتقف عند مقاطع كلامى ، وتخبر بما كنت أغفلته منه

— وقال المتوكل لابى العيناء : ما تحسن ؟ قال أفهَم وأُفهِم

— وقال بعض الحكماء لتلميذه وقد ضرب الموسيقى : أفهمت ؟ قال : نعم ، قال : بل لم تفهم ، لأنى لا أرى عليك سرور الفهم !

---

(١) الصفوح : الصفح والاعراض

— وقد قيل : من نظر الى الربيع وأنواره ، والروض وأصباغه ، ولم يبتهج ، كان عديم حِس ، أو سقيم نفس

ربيع القلب والروح

ومر أبو تمام بابرشهر من أرض فارس فسمع جارية تغنى بالفارسية فشاقه شجيّ الصوت فقال :

ومُسْمِعَةٍ تروق السمع حسناً * ولم تُصْمِمْهُ لايصمم صداها
لوت أوتارها فشجت وشاقت * فلو يسطيع حاسدها فداها
ولم أفهم معانيها ولكن * ورت كَبِدى فلم أجهل شداها
فكنت كأنني أعمىّ معنًّى * يحب الغانياتِ ولا يراها

وقال ابو الفضل احمد بن ابى طاهر قلت لأبى تمام: اخذت هذا المعنى من احد ؟ قال : نعم ، اخذته من قول بشار بن برد :

ياقوم أُذْني لبعض الحى عاشقةٌ * والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا بمن لاترى تهذى؟فقلت لهم * الاذن كالعين تُوفِى القلب ما كانا

وقال بشار ايضا فى هذا المعنى

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها * قلبى فأضحى به من حبها أثَرُ
أنَّى ولم ترها تهذى فقلت لهم * إن الفؤاد يرى ما لايرى البصر

وقال :

يزهدّنى فى حب عَبْدَةَ معشرٌ * قلوبُهُمْ فيها مخالفةٌ قلبى
فقلت دَعُوا قلبى وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يُبْصِرُ ذو اللبِّ
وما تُبْصِرُ العينان فى موضع الهوى * ولا تسمع الأذنان الا من القلب

— وقد قال أبو يعقوب الخزيمى فى هذا المعنى ، وكان قد عَوِر ثم عمى ، وقيل إنها للخليل بن أحمد

قالت أتهزأ بي غداة لقيتها * يا للرجال لصبوة العميان

فأجبتها نفسي فداؤك إنما * أذني وعيني في الهوى سيان

— وقريب من هذا قول الحكم بن قنبر وان لم يكن منه

ان كنت لست معي فالذكر منك معي * يرعاك قلبي وان غيبت عن بصرى

العين تبصر من تهوى وتفقده * وناظر القلب لا يخلو من النظر

وقال آخر :

أما والذي لو شاء لم يخلق الهوى * لئن غبت عن عيني فما غبت عن قلبي

تُرينيك عين الوهم حتى كأنني * أناجيك من قرب وان لم تكن قربي (١)

وقال أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم

لئن كان عن عيني أحمد غائباً * فما هو عن عين الضمير بغائب

له صورة في القلب لم يقصها النوى * ولم تتخطفها أكف النوائب

اذا ساءني منه شحوط مزاره * وضاقت بقلبي في نواه مذاهبي (٢)

عطفت على شخص له غير نازح (٣) * محلته بين الحشا والترائب

طرفة ادبية

وذكر أبو عبيدة كيسان مستمليه في بعض الأمر فقال : مافهم ، ولو فهم لوهم (٤) وكان كيسان يوصف بالبلادة والغفلة . قال الجاحظ : كان يكتب غير مايسمع ويستقي غير ما يكتب ، ويقرأ غير ما يستقي (٥) ، ويملي غير ما يقرأ ، أمليت عليه يوما

(١) ومن هذا الباب قول أحمد بن يوسف

تطاول باللقاء العهد منا · وطول العهد يقدح في القلوب

أراك وان نأيت بعين قلبي · كأنك نصب عيني من قريب

فهل لي في الرواح الى حبيب · يقر بعينه قرب الحبيب

(٢) الشحوط : البعد (٣) النازح : البعيد (٤) وهم : غلط (٥) استقى : سود

عجبت لمعشرٍ عدلوا * بمعتمرٍ أبا عمرِو

فكتب أبا بشر ، وقرأ أبا حفص ، واستقى أبا زيد

واجب الجليس

قال أبو عباد :

— للمحدث على جليسه السامع لحديثه ، أن يجمع له باله ، ويُصغى الى حديثه ، ويكتم عليه سره ، ويبسط له عذره .

— وقال : ينبغى للمحدث اذا أنكر عين السامع أن يستفهمه عن معنى حديثه ، فان وجده قد أخلص له الاستماع أتمَّ له الحديث ، وان كان لاهيا عنه حرمه حسن الاقبال عليه ، ونفع المؤانسة له ، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير فى حق المحدث

— وقال : نشاط المحدث على قدر فهم المستمع

— وكان عبد الله بن مسعود (١) رضى الله عنه يقول : حدِّث الناس ماجدحوك باسماعهم (٢) ولحظوك بابصارهم ، فاذا رأيت منهم فتوراً فأمسك

— وقال أبو الفتح البستى

اذا أحسست فى لفظى فتوراً * وحفظى والبلاغة والبيان

فلا ترتَبْ بفهمى إن رقصى * على مقدار إيقاع الزمانِ

— وقال عامر بن عبد قيس : الكلمة اذا خرجت من القلب ، وقعت فى القلب ، واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان

— وقال الحسن وقد سمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته من قلبه ولم يرقّ لها : ياهذا إن بقلبك لشراً أو بقلبى !

---

(١) صحابى جليل كان من السابقين الى الاسلام و كان أول من جهر بقراءة القرآن فى مكة ، وتولى بعد وفاة الرسول بيت مال الكوفة . كان رضى الله عنه يكثر من التطيب وكان من المتفوقين فى رواية الحديث توفى سنة ٣٢ (٢) جدحوك بأسماعهم : وجهوها نحوك

الحديث المعاد

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن السماك لجاريته : كيف ترين ما أعظ الناس به ؟ قالت : هو حسن إلا أنك تكرره ، قال : إنما أكرره ليفهمه من لم يكن فهمه ، قالت: الى أن يفهمه البطيء يثقل على سمع الذكى

— واستعيد ابن عباس حديثا فقال : لولا انى أخاف أن أغضّ من بهائه ، وأُريق من مائه ، وأُخلِق من جدة رُوائه ، لأعدته

— وقال أبو تمام الطائى يصف قصائده :

منزّهة عن السّرَق المؤدّى * مكرّمة عن المعنى المعادِ

أخذه البحترى فقال :

لا يعمل اللفظ المكرّ ر فيه واللفظ المردّد

والاطالة مملولة، كما يُملّ التكرير

أنواع الادب

وقد قال الحسن بن سهل :

— الآداب عشرة فثلاثة شهرجانية ، وثلاثة أنوشروانية، وثلاثة عربية ، وواحدة أربت عليهن . فأما الشهرجانية فضرب العود ، ولعب الشّطْرَنج ، ولعب الصوالج ؛ وأما الأنوشروانية فالطب ، والهندسة ، والفروسية ، وأما العربية فالشعر ، والنسب وأيام الناس . وأما الواحدة التى أربت عليهن : فمقطعات الحديث ، والسمر ، وما يتلقاه الناس بينهم فى المجالس .

— وكان يقال: خذ من العلوم نُتَفها ، ومن الآداب طُرَفها .

— وكان يقال : مقطعات الأدب ، قُراضات الذهب

وحضر بشار بن برد مجلسا فقال : لاتجعلوا مجلسنا غناء كله ، ولا شعراً كلّه ولا سمراً كله ، ولكن انتهبوه انتهابا

اللهو المباح

وقال الحسن رحمه الله :

— حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدثور ، واقدعوا [١] هذه الأنفس فانها طُلَعَة [٢] وانكم إن لا تزعوها [٣] تنزع بكم الى شر غاية .

— وقال ازدشير بن بابك : إن للأذهان كلالا ، وللقلوب ملالا ، ففرقوا بين الحكمتين ، يكن ذلك استجماما

— ويروى فى حكمة آل داود : لاينبغى للعاقل أن يخلىَ نفسه من أربع : عُدَّة لمعاده ، وصلاح لمعاشه ، وفكر يقف به على ما يصلحه من فساده ، ولذة فى غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث . [٤]

— وما أحسن ما قال أبو الفتح كُشاجم [٥]

عَجَبى ممن تناهتْ حالهُ * وكفاه الله ذلاّت الطلبْ

كيف لا يقسم شَطْرَىْ عمرهِ * بين حالَين نعيم وأدب

ساعة يُمتِع فيها نفسهُ * من غذاء وشراب مُنتَخَب

ودُنوٍّ من دُمًى هنَّ لَهُ * حين يشتاق إلى اللّعب لُعب [٦]

فاذا ما نال مِنْ ذا حَظّهُ * فحديثٌ ونشيدٌ وكُتُب

مرّةً جدٌّ وأخرى راحةٌ * فاذا ما غَسقَ الليل انتصب

---

(١) من القدع ، بالقاف ، هو الزجر . وفى الاصل (افدعوا) بالفاء وهو تحريف

(٢) طلعة : كثير التطلع (٣) يزع بالزاى المعجمة ، يزجر ، وفى الاصل (ترعوها) بالراء المهملة وهو تحريف

(٤) انظر ما كتب عن أثر الفنون الجميلة فى تقويم النفوس فى كتاب «الاخلاق عند الغزالى» (٥) هو محمود بن محمد ، الشاعر الكاتب ، المتوفى سنة ٣٥٠

(٦) الدمى : جمع دمية وهى الصورة توضع فى المحراب لتمثل الحور العين

فقضى الدنيا نهاراً حقها * وقضى لله ليلاً ما وجب
تلك أقسامٌ متى يعملْ بها * دهرَهُ يسعَد ويَرشُد ويُصِب

تقسيم الايام

— وقال أبو العباس محمد بن يزيد :

— قسم كسرى أيامه فقال : يصلح يوم الريح للنّوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للشرب واللهو ، ويوم الشمس لقضاء الحوائج

— قال الحسين بن خالويه (١) ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم قد جزَّأ نهاره ثلاثة أجزاء ، جزء لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه ، ثم جزء جزأه بينه و بين الناس . فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول : أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي ، فانه من أبلغَ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله تعالى يوم الفزع الا كبر .

(١) هو الحسين «لا الحسن كما ورد فى الاصل» ابن احمد امام اللغة والعربية في عصره . طلب العلم فى بغداد ثم سكن حلب واختص بسيف الدولة بن حمدان وأولاده ، وهناك انتشر علمه وروايته . وكانت وفاته سنة ٣٧٠ . قال السيوطي فى بغية الوعاة : سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصور فقالوا : لا . فقال لابن خالويه ما تقول أنت ؟ فقال انا أعرف اسمين . قال : فما هما ؟ قال : صحراء وصحارى ، وعذراء وعذارى . فلما كان بعد شهرين أصاب حرفين اخرين هما صلفاء وصلافى وهى الارض الغليظة ، وخبزاء وخبازى وهى ارض فيها ندوة ، ثم بعد عشرين سنة وجد حرفا خامسا وهو سبتاء وسباتى وهي الارض الخشنة .

فضل الايجاز

وقال شبيب بن شَيْبة [١] :

— إن ابتليت بمقام لابد لك فيه من الاطالة فقدم أحكام البلوغ فى طلب السلامة من الخَطَل ، قبل التقدم من أحكام البلوغ في شرف التجويد . ثم إياك أن تعدل بالسلامة شيئاً ، فقليلٌ كافٍ خيرٌ لك من كثير غير شاف

— وكان جعفر بن يحيي يقول لكُتّابه : ان استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا

وقال ثمامة بن أشرس :

— لم أر قط أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد ، وكان صاحب ايجاز

— وكان أبو وائلة إياس بن معاوية على تقدمه فى البلاغة ، وفضل عقله وعلمه ، بالاكثار معيبا ، والى التطويل منسوبا ، وقال له عبد الله بن شبرمة : أنا وانت لانتفق ، انت لاتشتهى ان تسكت ، وانا لا أشتهى أن أسمع ! وقيل له ما فيك عيب الا كثرة كلامك ، قال : أفتسمعون صوابا ام خطأ ؟ قالوا بل صوابا ، قال فالزيادة فى الخير خير

فضل السكوت

قال الجاحظ : وليس كما قال ، بل للكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن مقدار الاحتمال ، ودعا الى الاستثقال والكلال ، فذلك هو الفضال [٢] والهذر والخطل والاسهاب الذى سمعت الخطباء يعيبونه . . . .

(١) كان شبيب بن شيبة مشهورا بالفصاحة والدهاء ، وكان ينادم خلفاء بنى أمية ويفزع اليه أهل بلده فى حوائجهم ، توفى نحو سنة ١٧٠

(٢) الفضال ، على وزن كتاب ، المبتذل من قول أو غيره

— وذكر الاصمعي أن ابن هبيرة لما أراد إياسا على القضاء ، قال : إني والله لا أصلح له . قال وكيف ذلك ؟ قال لأني دميم ، ولأني حديد ، ولأني عيي ، قال ابن هبيرة أما الحدّة فان السوط يقوّمك ، وأما العي فقد عبّرت عما تريد ، وأما الدمامة فاني لا أريد أن أحاسن بك

ولم يصفه أحد بالعيّ وإنما كان يعاب بالاكثار ، ولكنه أراد المدافعة عن نفسه والحديث ذو شجون [١].

— وقال أبو العيناء : ذُكرتُ لبعض القيان فعشقتني على السماع فلما رأتني استقبحتني ، فقلت

وشاطرةٍ لما رأتني تنكّرت * وقالت قبيحٌ أحولٌ ماله جِسمُ
فان تنكري منّي احولالا فانني * أديب أريب لا عييٌّ ولا فَدْمُ [٢]

فكتبت اليّ : إنا لم نرد أن نوليك ديوان الزمام !

ذكاء اياس

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب الى عديّ بن أرطاة [٣] إن قبلك رجلين من مزينة : يعني بكر بن عبد الله وإياس بن معاوية ، فولّ أحدهما قضاء البصرة ، فاحضرهما ، فقال بكر : والله ما أحسن القضاء ؛ فان كنت صادقا فما تحل توليتي ، وان كنت كاذبا فذلك أوجب لتركي . فقال اياس : إنكم وقفتموه على شفير جهنم ، فافتدى منها بيمين يكفرها ، ويستغفر الله تعالى منها ، فقال له عديّ : أما اذ اهتديت لها فأنت احق بها ، فولاه

— ودخل اياس الشام ، وهو غلام صغير ، فقدّم خصما له الى بعض القضاة ، وكان

---

(١) شجون : ضروب (٢) الفدم : العيي عن الكلام (٣) عدى بن ارطاة أمير من أهل دمشق ، ولاه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ فاستمر الى ان قتله معاوية ابن يزيد سنة ١٠٢

الخصم شيخا، فصال عليه إياس بالكلام، فقال له القاضي خفّض عليك، فانه شيخ كبير، قال: الحق اكبر منه. قال: اسكت! قال: فمن ينطق بحجتي؟ قال ما أراك تقول حقا، قال: لا اله الا الله! فدخل القاضي على عبد الملك فأخبره. فقال: اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام لا يفسد اهلها! (١)

الفرار من الحديث المملول

وقال احمد بن الطيب السَّرَخسي تلميذ يعقوب بن اسحاق الكندي: (٢) كنت يوما عند العباس بن خالد، وكان ممن حبب الله اليه ان يتحدث. فأخذ يحدثني. وينتقل من حديث الى حديث. وكنا في صحن له فلما بلغتنا الشمس انتقلنا إلى موضع آخر. حتى صار الظل فيئا. فلما أكثر واضجر. ومللت حسن الأدب في حسن الاستماع. وذكرت قول الاوزاعي ان حسن الاستماع قوة للمحدث. قلت له: اذا كنت وانا اسمع قد عييت مما لا كلفة عليَّ فيه. فكيف أراك وانت المتكلم؟ فقال: ان الكلام يحلل الفضول اللزجة الغليظة التي تعرض في اللهوات، وإصل اللسان، ومنابت الاسنان. فوثبت وقلت: لا أراني معك اليوم الا (ايارج الفيقرا) فانت تتغرغر بي! فاجتهد في ان أجلس فلم أفعل

طرف أدبية

قال أحمد بن الطيب:

— كنا مرة عند بعض اخواننا فتكلم وأعجبه من نفسه البيان، ومنّا حسن الاستماع، حتى أفرط، فعرض لبعض من حضر مَلَلٌ، فقال: اذا بارك الله في الشيء

(١) وكانت وفاة إياس سنة ١٢٢ (٢) كان الكندي فيلسوف العرب في عصره، واحد أبناء الملوك من كنده، نشأ في البصرة وانتقل الى بغداد، وكان من أعرف الناس بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك. وقد ترجم عدد من كتبه الى اللاتينية. وكانت وفاته نحو سنة ٢٦٠

لم يفْنَ ؛ وقد جعل الله تعالى فى حديث أخينا البركة !

— ولعبد الله بن سالم الخياط فى زجل كثير الكلام

لى صاحبٌ فى حديثه البركه * يزيد عند السكون والحركه
لو قال (لا) فى قليل أحرفها * لردها بالحروف مشتبكه

— ومن طرائف التطويل ما أنشأه البديع ، وسيمر من كلامه ماهو آنق من زهر الربيع

— قال الاصمعى : بالعلم وَصَلْنا و بالمُلَح نِلنا

— وقال الاصمعى أيضاً : أنشدت محمد بن عمران قاضى المدينة ، وكان أعقل من رأيته :

يا أيها السائل عن منزلى * نزلتُ فى الخان على نفسى
يغدو علىّ الخبز من خابزٍ * لا يقبل الرهن ولا يُنسى (١) .
آكل من كيسى ومن كِسرتى * حتى لقد أوجعنى ضِرسى

فقال اكتب لى هذه الابيات ، فقلت أصلحك الله ، هذا لايشبه مثلك ، وانما يروى مثل هذا الأحداث . فقال اكتبها فالاشراف تعجبهم المُلح .

— وقد قال أبو الدرداء رحمه الله تعالى : انى لأستَجِمُّ نفسى ببعض الباطل ، ليكون أقوى لها على الحق

— وقال ابن الماجشون : لقد كنا بالمدينة وإنّ الرجل ليحدّثنى بالحديث من الفقه فيمليه علىّ ويذكر الخبر من الملح فأستعيده فلا يفعل . ويقول لا أعطيك مُلَحى وأهبك ظَرْفى وأدَبي

— وقال ابن الماجشون : إني لأسمع بالكلمة المليحة ومالى إلا قميص واحد فادفعه الى صاحبها ، واستكسى الله عزّ وجل

(١) ينسى : ينسئ ، من النسيئة وهى التأخير

ملح الغاضرى

وقال الزبير بن بكار [1]:

— رؤى الغاضرى ينازع أشعب الطمع عند بعض الولاة ويقول : أصلح الله الأمير ! إن هذا يدخل علىّ فى صناعتى ، ويطلب مشاركتى فى بضاعتى ، وهيأته هيئة قاض . والأمير يضحك

وكانا جميعا فرسَىْ رِهان. ورضيعَىْ لِبان . فى بيانهما . إلا أن الغاضرى كان لا يتخلق بالطمع تخلُّق أشعب

— وأتى الغاضرى يوما الحسن بن زيد فقال : جُعلت فداك . انى عصيت الله ورسوله . قال بئس ما صنعت . وكيف ذلك ؟ قال لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لايفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة . وأنا أطعت امرأتى فاشتريت غلاما فهرب

قال الحسن فاختر واحدة من ثلاث : ان شئت فثمن الغلام . قال بأبي أنت قف عند هذه ولا تتجاوزها ! قال أعرض عليك الخصلتين . قال: لا . حسبى هذه

— وقد روى نحو هذا عن أشعب أنه قال له بعض إخوانه : لو صرت الىّ العشية نتفرّج ؟ قال أخاف أن يجيء ثقيل . قلت ليس معنا ثالث . فمضى معى فلما وصلنا الظهر ودعوت بالطعام فاذا بداق يدق الباب . قال : ترى أن قد صرنا إلى ما نكره . قلت له إنه صديق وفيه عشر خصال إن كرهت واحدة منهن لم آذن له قال هات قلت : أولها أنه لا يأكل ولايشرب . فقال التسع لك ، قل له يدخل !

— ورأى سفيان الثورى [2] الغاضرى وهو يضحك الناس . فقال ياشيخ أوماعلمت

---

(١) كان الزبير بن بكار عالما بالأنساب وأخبار العرب ، وهو من أحفاد الزبير ابن العوام ، ولد فى المدينة وتولى قضاء مكة فتوفى فيها سنة ٢٥٦

(٢) ولد سفيان الثورى فى الكوفة سنة ٩٧ ونشأ نشأة أهل التقى والدين المولعين برواية الحديث ، وكانت وفاته بالبصرة سنة ١٦١

أن لله يوماً يخسر فيه المُبْطِلون ؟ فوجم الغاضري وما زال ذاك يعرف فيه حتى لقى الله عز وجل

ملح أشعب

وأشعب الطمع هو أشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير وكان أحلى الناس

قال الزبير بن أبي بكر كان أهل المدينة يقولون : تغير كل شيء إلا مُلَح أشعب وخبز أبي الغيث . ومِشية بَرة [١] وكان أبو الغيث يعالج الخبز بالمدينة، و برة بنت سعيد بن الاسود كانت من أجمل النساء وأحسنهن مشية . وأشعب يضرب به المثل فى الطمع . وكان أشعب قد نشأ فى حِجْر عائشة بنت عثمان رحمها الله مع أبي الزناد [٢] . قال أشعب : فلم يزل يعلو وانحط حتى بلغنا الغاية .

— وقال أشعب : أسلفتني أمي إلى بزاز فسألتني بعد سنة : أين بلغت ؟ فقلت فى نصف العمل . قالت وكيف ؟ قلت تعلمت النشر و بقى الطى . قالت اذا لا تفلح .

— وسألته صديقة له خاتما فقالت أذكرك به . قال اذكرى انك سألتني فمنعتك !

— وقيل له كم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ؟ قال ثلثمائة وثلاثة عشر درهما ! ثم تنسك فى آخر عمره . وغزا ومات على خير رحمه الله تعالى

— وقيل لأشعب أرأيت أطمع منك ؟ قال نعم كلبة آل فلان : رأت رجلين يمضغان علكا [٣] فتبعتهما فرسخين تظن انهما يأكلان شيئا .

— وأهدى رجل من ولد عامر بن لؤى إلى اسماعيل الاعرج فالوذجة واشعب حاضر فقال: كل يا اشعب . فأكل منها . فقال كيف تراها ؟ فقال : عليه الطلاق ان لم تكن عملت قبل ان يوحى ربك إلى النحل ! اى ليس فيها حلاوة [٤]

(١) انظر جمال المشية وما قيل فى ذلك من الشعر الجميل في كتاب « أفنان الجمال »

(٢) أبو الزناد هو عبد الله بن ذكوان القرشى المدنى . كان من كبار المحدثين ، وكان كثير الاتباع من طلاب الفقه والشعر والعربية . توفى فجأة بالمدينة سنة ١٣١

(٣) العلك : اللبان (٤) وكانت وفاة أشعب بالمدينة سنة ١٥٤

أبو نواس

وروى ابو هفان قال دخل ابو نواس الحسن ابن هانىء على يحيى بن خالد فقال له انشدنى بعض ما قلت فأنشده :

انى أنا الرجل الحكيم بطبعهِ * ويزيد فى علمى حكاية من حكا
أتتبَّع الظرفاء أكتب عنهمُ * كيما أحدث من أحبُّ فيضحكا

فقال له يحيى : إن زندك ليورى بأول قدحة ، فقال ارتجالا فى معنى قول يحيى

أما وزند أبى على إنهُ * زند إذا استوريت سهّل قد حكا
إن الاله لعلمه بعبادهِ * قد صاغ جدك للسماح ومنحكا
تأبى الصنائع همتى وقريحتى * من أهلها وتعاف إلا مدحكا

ووصف أبو عبد الله الجماز أبا نواس فقال :

كان أظرف الناس منطقاً ، وأغزرهم أدباً ، وأقدرهم على الكلام ، وأسرعهم جواباً ، وأكثرهم حياء ، وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النغمة والاشارة ملتف الاعضاء ، بين الطويل والقصير ، مسنون الوجه[1] ، قائم الأنف ، حسن العينين والمضحك ، حلو الصورة ، لطيف الكف والأطراف ، وكان فصيح اللسان ، جيد البيان ، عذب الألفاظ ، حلو الشمائل ، كثير النوادر ، وأعلم الناس كيف تكلمت العرب ، راوية للأشعار ، علاّمة بالأخبار ، كأن كلامه شعر موزون .

الجماز

وأقبل أبو شراعة العبسى والجماز فى حديثه ، وكان أقبح الناس وجهاً ، وكانت يد أبى شراعة كأنها كربة نخل ، فقال الجماز : فلو كانت أطرافه على أبى شراعة لتم حسنه . فغضب أبو شراعة ، وانصرف يشتمه

(١) مسنون : مخروط.

والجماز هو ابو عبدالله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر، وكانوا يزعمون انهم من حمير نالهم سباء فى خلافة أبي بكر رضى الله عنه وهم مواليه، وسلم الخاسر عمه [1].

— وكان الجماز من احلى الناس حكاية ، وأكثرهم نادرة .

— قال بعض جلساء المتوكل : كنا نكثر عند المتوكل ذكر الجماز حتى اشتاقه ، فكتب فى حمله إليه ، فلما دخل أفحم . فقال له المتوكل : تكلم فانى أريد أن استبرئك ، فقال بحيضة أو بحيضتين يا أمير المؤمنين ! فقال له الفتح قد كلمتُ أمير المؤمنين يُولّيك على القرود والكلاب ؟ قال أفلست سامعاً مطيعاً ؟ فضحك المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم

— وكان لا يدخل بيته أكثر من ثلاثة لضيقه ، فدعا ثلاثة فجاءه ستة وقرعوا الباب ووقفوا على رجل رجل فعد أرجلهم من خلف الباب فلما حصلوا عنده ، قال : اخرجوا عنى ، فانما دعوت ناساً ولم أدع كراكى

مناقب الرجال

وقال الطائى فى عمرو بن طوق التغلبى

الجِدُّ شيمتهُ وفيه فكاهةٌ * سَجْحٌ ولا جِدٌّ لمن لم يلعبِ
شَرِسٌ ويتبع ذاك لين خليقةٍ * لاخير فى الصهباء مالم تقطِبِ [2]

وقال فى الحسن بن وهب

لله أيام خطبنا لينها * فى ظله بالخندريس السلسلِ [3]
بمدامة نغم السماع خفيرها * لاخير فى المعلول غير معلّلِ [4]

(1) سلم الخاسر هو سلم بن عمرو بن حماد المتوفى سنة ١٨٦ . كان شاعرا ماجنا خليعا . وسمى الخاسر لأنه باع مصحفا واشترى بثمنه طنبوراً .

(2) تقطب : تعبس (3) الخندريس : الخمر (4) المعلول : الذى يشرب العلل بفتحتين ، وهو الشرب الثانى ، بخلاف النهل فهو الشرب الاول

يغشى عليها وهو يجلو مُقلَتَىْ * بازٍ ويغفل وهو غير مُغَفَّلِ

لا طائش تهفو خلائقهُ ولا * خَشِنُ الوقار كأنه فى مَحْفِلِ

فَكِهٌ يجمُّ الجدَّ أحياناً وقد * ينضى ويهزل عيش من لم يهزل

وقال فيه

ولقد رأيتك والكلام لآلئ * تُؤَمٌ فبكر فى النظام وثَيِّبُ[1]

وكأن قساً فى عُكاظ يخطب * وابن المقفع فى اليتيمة يسهب[2]

وكأنّ ليلى الاخيلية تندب * وكُثَيْر عزة يوم بين ينسُب

يكسو الوقار ويستخف موقّراً * طوراً فيبكى سامعيه ويطرب.

وقال ابو الفتح البُستى

أفِدْ طبعك المكدودَ بالهم راحةً * براحٍ وعلِّلْهُ بشىء من المزْحِ

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

— وما زال الاشراف يمزحون ، ويسمحون بما لايقدح فى أديانهم ، ولا يغض من مُروآتهم .

— وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السَمحة . وقال : إنى لأمزح ولا أقول إلا حقاً .

رواية الشعر والنسيب

— وقيل لسعيد بن المسيِّب[3] إن قوماً من أهل العراق لايرون إنشاد الشعر فقال: لقد نسكوا نسكاً أعجميا .

— وقيل لابن سيرين إن قوماً يزعمون أن انشاد الشعر ينقض الوضوء ، فأنشد

(١) تؤم : أشباه الدرر . (٢) اليتيمة : اسم كتاب لابن المقفع

(٣) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة : جمع بين الحديث والفقه والزهد ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ؛ وكان احفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب واقضيته حتى سمى راوية عمر ؛ وكانت وفاته سنة ٩٤

لقد أصبحت عُرس الفرزدق ناشزاً * ولو رضيت رشح إسته لاستقرّتِ

وقام يصلى : وقيل بل أنشد

أنبئت أن عجوزاً جئت أخطبها * عُرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

— وقيل لأبى السائب المخزومى : أترى أحداً لايشتهى النسيب ؟ فقال : أما ممن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا[١]

عروة بن أذينة

وروى مصعب بن عبد الله الزبيرى[٢] عن عروة بن عبيد الله بن عروة الزبيرى قال :

كان عروة بن أذينة[٣] نازلا فى دار أبى بالعقيق ، فسمعه ينشد لنفسه

إن التى زعمت فؤادك ملّها * خُلِقتْ هواك كما خُلقت هوًى لها

فيك الذى زعمت بها وكلا كما * أبدى لصاحبه الصبابة كلَّها

ولعمرُها لو كان حبك فوقها * يوماً وقد ضَحِيت إذن لأظلَّها[٤]

فاذا وجدت لها وساوس سلوةٍ * شفع الضمير الى الفؤاد فسلّها

(١) انظر (أشراك العقول) فى كتاب « البدائع »

(٢) راوية اديب محدث ، وهو عم الزبير بن ابى بكر . وكان شاعرا ، وكان ابوه عبد الله بن مصعب من اشرار الناس . وكانت وفاة مصعب بن عبد الله فى ٢ شوال سنة ٢٣٣ . وفى الطبعة الثالثة من كتاب « حب ابن ابى ربيعة وشعره » بحث مفصل عن طريقة مصعب بن عبد الله فى النقد ورأى الدكتور طه حسين فيه ، فليرجع اليه القارىء إن شاء (٣) هو عروة بن يحيى المتوفى سنة ١٣٠ . كان شاعرا غزلا ، فضلا عن تقدمه فى الفقه والحديث ، وهو القائل :

لا أركب الامر تزرى بى عواقبه ولا يعاب به عرضى ولا دينى

كم من فقير غنى النفس تعرفه ومن غنى فقير النفس مسكين

(٤) ضحيت : تأذت من الشمس . وفى الاغانى قبل هذا البيت :

ويبيت بين جوانحى حب لها لو كان تحت فراشها لأقلها

بيضـاء باكرها النعيم فصاغها * بلَباقةٍ فأدقَّها وأجلَّهـا (١)
لمَّا عرضتُ مسلِّما لىَ حاجةٌ * أخشى صُعوبتها وأرجو ذُلَّها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى * ما كان أكثرها لنا وأقلَّها
فدنا وقال لعلها معذورةٌ * فى بعض رِقبتها فقلت لعلها

قال فأتانى أبو السائب المخزومى فقلت له بعد الترحيب به : ألك حاجة ؟ فقال نعم أبيات لعروة بلغنى أنك سمعته ينشدها ، فأنشدته الأبيات فلما بلغت قوله

فدنا وقال لعلها معذورة

البيت ، طرب وقال : هذا والله الدائم الصبابة ، الصادق العهد ، لا الذى يقول :

إن كان أهلك يمنعونك رغبةً * عنى فأهلى بى أضنُّ وأرغبُ

لقد عدا هذا الاعرابى طوره ، وإنى لأرجو أن يغفر لصاحب هذه الأبيات لحسن الظنّ بها ، وطلب العذر لها ، قال فعرضت عليه الطعام فقال : لا والله ما كنت لاخلط بهذه الابيات طعاما حتى الليل . وانصرف

أبو السائب المخزومى

وكان أبو السائب غزير الأدب ، كثير الطرب ، وله فكاهات مذكورة ، وأخبار مشهورة ، وكان جدّه يكنى أبا السائب أيضاً ، وكان خليطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكره قال : نعم الخليط كان أبو السائب ، لايشارى ولا يمارى (٢)

---

(١) أدقها وأجلها : أدق المواضع التى يجب أن تكون دقيقة ، وأجل المواطن التى يجب أن تكون جليلة ، فهى مثلا دقيقة الخصر ، وثيرة الردف . ويحسن الرجوع الى هذه المعانى فى كتاب « أفنان الجمال » (٢) المشاراة والمماراة : العنف فى المجادلة

واسم ابى السائب عبد الله، وكان اشراف اهل المدينة يستظرفونه ، ويقدمونه لشرف منصبه ، وحلاوة ظرفه .

عود الى عروة بن أذينة

وكان عروة بن أُذينة على زهده ، وورعه ، وكثرة علمه ، وفهمه ، رقيق الغزل كثيره ، وهو القائل

اذا وجدت أُوار الحب فى كبدي * اقبلت نحو سِقاء القوم أبتردُ
هبني بَرَدْت ببرد الماء ظاهرهُ * فمن لنارٍ على الاحشاء تتقدُ

وقد روى هذان البيتان لغيره

— ومرت به سكينة بنت الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم فقالت له : انت الذى تزعم انك غير عاشق وانت تقول(١)

قالت وابثثتها سِرّى فبحتُ به * قد كنتَ عندى تحب الستر فاستترِ
ألست تبصر من حولى ؟ فقلت لها * غطّى هواكِ وما ألقى على بصرى

والله ما خرج هذا من قلب سليم قط

حب الاحوص

وروى الزبير عن رجل لم يسمه قال : قال لى ابو السائب انشدنى للأحوص(٢) فأنشدته

(١) عبارة الاغانى (انت الذى تزعم أن لك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وانك تقى ؟ قال : نعم ! قالت : أفأنت الذى تقول ، الخ) (٢) الاحوص هو عبد الله بن محمد الانصارى ، شاعر هجاء رقيق النسيب ، كان معاصرا لجرير والفرزدق ، وهو من سكان المدينة ونفاه الوليد بن عبد الملك الى اليمن . ولقب بالاحوص لضيق فى مؤخر عينيه وله أخبار كثيرة بين الجد والمجون ، وكانت وفاته سنة ١٠٥

قالت وقلت تحرَّجى وصِلى * حبل امرئ بوصالكم صبٍّ
صاحت : إذن بعلى ؟ فقلت لها * الغدر شيء ليس من ضربى (١)
شيئان لا أدنو لوصلهما * عُرْس الخليل وجارة الجَنْب
أما الخليلُ فلست فاجعَهُ * والجارُ أوصانى به ربى
عُوجا كذا نذكر لغانية * بَعْضَ الحديث مطيَّكم صحْبى (٢).
ونقلْ لها فيمَ الصدود ولم * نُذنب بل أنت بدأت بالذنب
إن تُقْبلى تُقبل وننزلكم * منا بدار السهل والرَّحب
أو تهجرى تكدر معيشتنا * وتُصدَّعى متلائم الشَّعب

— فقال هذا والله المحب حقا لا الذى يقول

وكنت إذا حبيبٌ رام هجرى * وجدت وراىَ مُنْفَسَحاً عريضاً!

— ثم قال : اذهب فلا صحبك الله ، ولا وسَّع عليك (٣)

يغفر الله لأهل الجمال

وخرج أبو حازم يوماً يرمى الجمار ، فاذا هو بامرأة حاسر (٤) قد فتنت الناس بحسن وجهها ، وألهتهم بجمالها ، فقال لها يا هذه انك بمشعر حرام ، وقد فتنت الناس وشغلتهم عن مناسكهم ، فاتقى الله واستترى ، فان الله عز وجل يقول فى كتابه العزيز (وليضربن بخُمرهن على جيوبهن) فقالت انى من اللاتى قيل فيهن

أماطتْ كِساء الخزِّ عن حُر وجهها * وأرخت على المتنين بردا مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حِسْبة * ولكن ليقتلن البرئ المغفَّلا (٥)

— الشعر للحارث بن خالد المخزومى — فقال أبو حازم لأصحابه تعالوا ندع الله

(١) ليس من ضربى : ليس من طبعى (٢) عوجا مطيكم : قفا مطيكم
(٣) الخطاب لقائل البيت الأخير (٤) امرأة حاسر وسافر : ليس فى وجهها قناع
(٥) المغفل : الطيب القلب

لهذه الصورة الحسنة أن لايعذبها الله تعالى بالنار ! فجعل ابو حازم يدعو وأصحابه يؤمنون . فبلغ ذلك الشعبي فقال : ما أرقّكم يا أهل الحجاز ، وأظرفكم ! اما والله لو كان من قُرى العراق لقال : اعز بى عليك لعنة الله !

أبو حازم

وكان أبو حازم من فضلاء التابعين ، وله مقامات جميلة من الملوك ، وكلام محفوظ يدل على فضله وعقله ، وهو القائل : كل عمل تكره من أجله الموت فاتركه ، ولايضرك متى مت .

— وكان يقول : ماأحببت أن يكون معك غدا فقدمه اليوم

— وكان يقول : إنما بيني وبين الملوك يوم واحد ، أما أمس فلا يجدون لذته وانا وإياهم من غد على وَجَل ، وانما هو اليوم ، فما عسى ان يكون اليوم ؟

— وقال أبو العتاهية :

حتى متى نحن فى الايام نحسبها * وانما نحن فيها بين يومَيْنِ
يوم تولىّ ويوم نحن نأملهُ * لعلّه أجلب اليومين للحَيْنِ (١)

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة

وروى الزبير بن ابى بكر قال : قدمت امرأة من هُذَيل المدينة ، وكانت جميلة ومعها ابن لها صغير ، وهى أيِّم (٢) ، فخطبها الناس واكثروا ، فقال فيها عبيدالله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

أحبُّك حبًّا لا يحبك مثله * قريب ولا فى العالمين بعيدُ
احبك حبا لو علمت ببعضهِ * لَجُدْتِ ولم يصعب عليك شديد
وحبك يا أم العلاء مُتيّمى * شهيدى أبو بكر فذاك شهيد

(١) الحين : الهلاك (٢) أيم : لا زوج لها

ويعلم وجدى القاسم بن محمد * وعروة ما القى بكم وسعيد
ويعلم ما أخفى سليمان كله * وخارجةٌ يبدى بنا ويعيدُ
متى تسألى عما أقول فتخبرى * فللحب عندى طارفٌ وتليدُ

فقال له سعيد بن المسيب : قد أمنت أن تسألنا ، ولو سألتنا ما شهدنالك بزور

— وكان عبيد الله أحد الفقهاء السبعة الذين انتهى إليهم علم المدينة ، وقد ذكرهم عبيد الله فى هذه الأبيات وهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومى والقاسم بن أبى بكر الصديق وعروة بن الزبير بن العوام وسعيد ابن المسيب بن حزن وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد بن ثابت الانصارى

— وقيل لعبيد الله أتقول الشعر على شرفك ؟ فقال :لابد للمصدور أن ينفث (١)

— وعبيد الله هو القائل

شَقَقْتِ القلب ثم ذَرَرْتِ فيه * هواكِ فليم والتأم الفُطُورُ (٢)
تَغَلْغل حبُّ عثمة فى فؤادى * فباديه مع الخافى يسيرُ
تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ * ولا حُزن ولم يبلغ سرورُ

ما يفعل الحب بالقلب

أخذه سَلْم بن عمرو الخاسر فقال:

سقتنى بعينَيها الهوى وسقيتها * فدبَّ دبيب الخمر فى كل مفصل

وقال أبو نواس:

أحب اللوم فيها ليس إلا * لترداد اسمها فيها ألامُ
ويدخل حبها فى كل قلبٍ * مداخلَ لا تَغَلْغَلُها المدام (٣)

ومنه قول المتنبي:

وللسر مني موضع لا يناله * نديمٌ ولا يُفضي اليه شرابُ

---

(١) انظر (ظلم العواطف) فى كتاب « البدائع » (٢) ليم والتأم معناهما واحد والفطور جمع فطر بالفتح وهو الصدع (٣) لا تغلغلها المدام : لا تتغلغل فيها

وقال بعض المحدثين

ما زلت تغوينى وتطلب خُلتى * حتى حللتَ بحيث حلّ شرابى

ثم انصرفتَ بغير جُرم كان لى * ما هكذا الاحباب للاحباب

أخذ أبو نواس قوله (احب اللوم فيها) البيت من قول ابن أبى أمية

وحدثنى عن مجلس كنتِ زينَهُ * رسولٌ امينٌ والنساء شهودُ

فقلت له رُدّ الحديث الذى مضى * وذكرك من بين الحديث أريدُ

اناشدُه بالله إلا أعدتَهُ * كأنى بطئ الفهم عنه بعيدُ

وقول ابى نواس فى البيت الاول كقوله

اذا غاديتنى بصبوح لومٍ * فممزوجا بتسمية الحبيبِ

فانى لا اعدّ اللوم فيها * عليك اذا فعلت من الذنوب

ولا انا إن عمدت ارى جنانا * وان ضنّتْ بمبخوس النصيب

مقنّعة بثوب الحسن ترعى * بغير تكلّفٍ ثمر القلوب

ابو نواس وجنان

وفى جنان هذه يقول أبو نواس

ياذا الذى عن جنان ظلّ يخبرنا * بالله قُل وأَعِدْ يا طيّب الخبرِ

قالوا اشتكتك وقالت ما ابتليتُ به * أراهُ من حيث ما أقبلت في أثَرى

ويرفع الطرف نحوى إن مررت به * حتى ليخجلنى من شدة النظر

وان وقفت له كيما يكلّمنى * فى الموضع الخالو لم ينطق من الحصَر (١)

ما زال يفعل بى هذا ويُدمنهُ * حتى لقد صار من همّى ومن وطَرى (٢)

وفى جنان أيضا يقول أبو نواس ، وكان بها صبا ولها محبا

جنان تسبنى ذُكِرت بخير * وتزعم أننى رجل خبيث

(١) الحصر: العى (٢) الوطر : الحاجة

وأن مودّتى كَذِبٌ ومَينٌ * وأنى للذى تطوى بثوث[1]
وليس كذا ولا ردٌّ عليها * ولكنّ الملول هو النكوث
ولى قلب ينازعنى إليها * وشوق بين أضلاعى حثيث
رأت كلفى بها وقديم وجدى * فملَّتنى كذا كان الحديث

وكانت جنان مولاة لبعض الثقفيين ، وفى معنى قول ابن أبى أمية يقول العباس بن الاحنف

وحدثتنى ياسعدُ عنها فزدتنى * جُنُونا فزدنى من حديثك ياسعدُ

ظرف أهل المدينة

وأهل المدينة أكثر الناس ظَرْفاً ، وأكثرهم طِيبا ، وأحلاهم مِزاحا ، وأشدهم اهتزازا للسماع ، وحسن أدب عند الاستماع

— وقال عبد الله بن جعفر : إن لى عند السماع هزة ، لو سُئلت عندها لأعطيت ، ولو قاتلت لأبليت .

وروى أبو العيناء قال قال الاصمعى : مررت بدار الزبير بالبصرة فاذا شيخ قديم من أهل المدينة من ولد الزبير يكنى أبا ريحانة جالس بالباب عليه شَملة تستره فسلمت عليه ، وجلست اليه ، فبينما أنا كذلك إذ طلعت علينا سويداء تحمل قربة ، فلما نظر اليها لم يتمالك أن قام اليها ، فقال لها بالله غنى صوتاً ! فقالت : إن موالىَّ أعجلونى ، فقال لابد من ذلك ، قالت أمَّا والقربة على كتفى فلا . قال فأنا أحملها ، فأخذ القربة منها ، فاندفعت تغنى

فؤادى أسيرٌ لا يُفكُّ ومهجتى * تَفيض وأحزانى عليك تَطولُ
ولى مُقْلَةٌ قَرْحَى لطول اشتياقها * اليك وأجفانى عليك هُمُولُ

---

(١) بثوث : كثير البث لسره والتحدث عنه

فديتك أعدائى كثيرٌ وشقّتى * بعيدٌ وأشياعى لديك قليل (١)

فطرب ، وصرخ صرخة ، وضرب بالقربة الى الارض فشقها . فقامت الجارية تبكى . وقالت ما هذا بجزائى منك ، أسعفتك بحاجتك فعرضتنى لما أكره من موالىّ ، قال لاتغتمى ،فان المصيبة علىّ حصلت،ونزع الشملة ووضع يداً من خلف ويداً من قُدّام ، وباع الشملة ، وابتاع لها قربةجديدة ، وقعد بتلك الحال ، فاجتاز به رجل من ولد على بن أبى طالب ، رضى الله تعالى عنه ، فعرف حاله ، فقال : يا ابا ريحانة ! أحسبك من الذين قال الله تعالى فيهم (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قال: لايا ابن رسول الله، ولكنى من الذين قال الله تعالى فيهم (فبشّر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) فضحك، وامر له بألف درهم

ومرّ بالاوقص المخزومى وهو قاضى المدينة سكرانُ وهو يتغنى بليل ، فأشرف عليه وقال : يا هذا شربت حراما ، وايقظت نياما ، وغنيت خطأ ، خذه عنى ، واصلح له الغناء

التشبيب بأخت الحجاج

وسمع سعيد بن المسيِّب منشداً ينشد

فلم ترعينى مثل سِربٍ رأيتهُ * خرجْنَ من التنعيم معتمراتِ (٢)

مررن بفخّ ثم رُحن عشيةً * يلبِّين للرحمن مؤتجراتِ (٣)

ولما رأت ركب النميرى اعرضت * وكنَّ بأن يلقَينَه حذِرات

دعت نِسوةً شُمَّ العرانين بزّلاً * نواعم لاشُعْثاً ولا غبرات (٤)

(١) انظر لوعة الشوق فى كتاب « مدامع العشاق » لترى بقية هذه القصيدة البديعة

(٢) السرب : القطيع من البقر والظباء ، والمراد به هنا جماعة من حسان النساء

(٣) فخ موضع بمكة (٤) العرانين : جمع عرنين وهو الأنف ، وبزل : جمع بازل وهو البعير يبلغ تسع سنين فتكتمل قوته ، والمراد وصف هؤلاء النسوة بأنهن بلغن السن التى ينقلن فيها القلب من مكان الى مكان

فأبرزن لما قمن يحجبن دونها * حجاباً من القَسِّىِّ والحبرات [1]
تضوَّع طيباً بطن نعمان إذ مشَتْ * به زينب فى نسوة عطرات
يخبئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات [2]

فقال سعيد : هذا والله مما يلذ استماعه ، ثم قال

وليست كأخرى وسَّعت جيب دِرعها * وأبدت بنان الكف للجمَرات
وغالت بيان المسك وَحْفاً مرجّلا * على مثل بدر لاح فى الظلمات [3]
وقامت تراءى بين جمع فأفتنت * برؤيتها من راح من عرفات

قالوا فكانوا يرون أن الشعر الثانى له ، والأول لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفى يقوله فى زينب بنت يوسف أخت الحجاج حتى ظفر به فقال : أنت القائل ماقلت ؟ قال وهل قلت أصلح الله الأمير إلا :

يخبئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات

قال له : كم كنتم إذ تقول * ولما رأت ركب النميري أعرضت * قال والله ما كنت إلا أنا وصاحب لى على حمار هزيل ! فضحك وعفا عنه

— وهو القائل

أهاجتك الظعائن يوم بانوا * بذى الزىّ الجميل من الأثاث [4]
ظعائن أسلكت فى بطن قوٍّ * تحث اذا رنت أى احتثاث
كأن على الهوادج يوم بانوا * نِعاجاً ترتعى بقل البَراث [5]
يُهيِّجك الحمام إذا تغنَّى * كما سجع النوادب بالمراثى

---

(١) القسى : نوع من اللباس ينسب الى قرية مصرية بقرب العريش . أوهو القزى فأبدلت الزاى (٢) الاعتجار : لبسة خاصة للمرأة (٣) وحف : أسود ، وهو صفة الشعر ، والمرجل : المسرح (٤) الظعائن : جمع ظعينة ، وهي المرأة فى الهودج والاثاث متاع البيت (٥) البراث : الارض السهلة

وصف الدنيا

وقال ابن المعتز :

— وعد الدنيا الى خُلف ، و بقاؤها الى تَلف ، و بعد عطائها المنع ، و بعد أمانها الفجع ، طوّاحة طرّاحة ، آسية جرّاحة ، كم راقد فى ظلها قد ايقظته ، وواثق بها قد خانته ، حتى يلفظ نفسه ، ويودع دنياه ، ويسكن رمسه ، وينقطع عن أمله ، ويشرف على عمله ، وقد رجح الموت بحياته ، ونقض قوى حركاته ، وطمس البلى جمال بهجته ، وقطع نظام صورته ، وصار كخط من رماد تحت صفائح انضاد (١) وقد اسلمه الاحباب ، وافترش التراب ، فى بيت قد نجرته المعاول (٢) ، وفُرشت فيه الجنادل ، مازال مضطربا فى امله ، حتى استقر فى اجله ،ومحت الأيام ذكره ، واعتادت الألحاظ قبره

بين ابن المعتز و ثعلب

وكتب وهو معتقل الى استاذه ابى العباس احمد بن يحيى ثعلب (٣) يتشوقه

ماوَجْدُ صادٍ بالحبال مُوثَقِ * بماءِ مُزْنٍ بارد مصفَّقِ (٤)
بالريح لم يُكدر ولم يُرنَّقِ * جادت بهأخْلاف دَجْنٍ مُطْبِقِ (٥)
بصخرةٍ إن تَر شمسا تبرِقِ * مادَ عليها كالزجاج الازرقِ (٦)
صَريحُ غَيثٍ خالصٍ لم يُمْذَقِ * إلاّ كوجدى بك لكن أتَّقِ (٧)

(١) صفائح أنضاد : الصفائح الحجارة العريضة ، انضاد جمع نضد وهو المنحوت باستواه (٢) المعاول : جمع معول وهو آ لة كالقدوم . (٣) كان ثعلب من أصدق أهل العربية لسانا وأبعدهم ذكرا وأثبتهم حفظا ، وكان فى رأى المبرد أعلم الكوفيين . توفى فى جمادى الآخرة سنة ٢٩١ (٤) مصفق : صفقته الريح أى لعبت به حتى لكأنه يصفق .
(٥) الاخلاف : الاثداء يفيض منها اللبن ، والدجن المطبق هو السحاب المتراكم .
(٦) ماد : مال (٧) لم يمذق: لم يمزج ، يشبه الغيث القوى بالخمر الصرفة تصرع الشاربين .

يافاتحا لكل باب مُغْلَقِ * وصيْرَفياً ناقداً للمنطقِ (١)

إن قال هذا بَهْرَجٌ لم ينفَقِ * إنا على البعاد والتفرقِ

لنلتقى بالذكر ان لم نلتقِ

فأجابه

أخذت ، أطال الله بقاءك ، أول هذه الأبيات مما أمليته عليك من قول جميل (٢)

وما صادياتٌ حُمْنَ يوماً وليلةً * على الماء يخشين العِصِيَّ حوانى

كواعبُ لم يصدرن عنه لوجهةٍ * ولاهنَّ من بَردِ الحياض دوانى

يَرَيْنَ حَباب الماء والموت دونه * فهنَّ لاصوات السقاة روانى

بأكثر منى غُلَّةً وصبابةً * اليك ولكنَّ العدوّ عرانى

وأخذت آخرها من قول رؤبة بن العجاج (٣)

إنى وان لم ترنى فاننى * أخوك والراعى اذا استرعيتنى

أراك بالود وان لم ترنى

قال : فاستخفنى فى ذلك ونسب الىّ سوء الادب

---

(١) الصيرفى : الرجل الحاذق فى تميز النقود ويريد به هنا البصير بنقد القول

(٢) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري ، وهو شاعر أذاب قلبه بالحنين الى معشوقته بثينة ، وكانت سكينة بنت الحسين تقدمه على الشعراء الغزلين ، لقوله :

يقولون جاهد ياجميل بغزوة وأى جهاد غيرهن أريد

لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

وكانت وفاته سنة ٨٢

(٣) راجز فصيح من مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية، كان أكثر مقامه بالبصرة ومات فى البادية سنة ١٤٥ فقال الخليل : دفنا الشعر واللغة والفصاحة

شعر ابن المعتز

وكان أبو العباس عبد الله بن المعتز فى المنصب العالى من الشعر والنثر ، وفى النهاية فى إشراق ديباجة البيان ، والغاية من رقة حاشية اللسان ، وكان كما قال ابن المرزبان :

اذا انصرف من بديع الشعر، الى رقيق النثر ، أتى بحلال السحر

وليس بعد ذى الرُّمة[1] أكثر افتنانا ، وأكبر تصرفا واحسانا فى التشبيه منه ·

وانما فرقت جملة ما اخترت من شعره ونثره فى جملة هذا الكتاب ، لئلا أخرج عما تقدّم به الشرط فى البسط ، وآتى ههنا ببعض ما أختاره له · قال:

وفتيانٍ سَرَوْا والليلُ داجٍ * وضوء الصبح متَّهمُ الطلوعِ
كأن بُزاتهم امراء جيشٍ * على أكتافهم صدأ الدروعِ

وقال أيضا

فى ليلة أكل المحاق هلالها * حتى تبدى مثل وَقف العاج[2]
والصبح يتلو المشترى فكأنه * عُرْيان يمشي فى الدُّجى بسراج[3]

وقال أيضا يصف فرسا

ولقد غدوت على طِمرٍّ سابحٍ * عقدتْ سنابكه عَجاجة قَسْطَلِ[4]
متلثّم لُجُمَ الحديد يلوكها * لوك الفتاة مساوكا من إسْحَلِ[5]

---

(١) ذو الرمة هو غيلان بن عقبة أحد فحول الشعر فى عصره ، قال فيه أبو عمرو ابن العلاء : (فتح الشعر بامرىء القيس وختم بذى الرمة) ولعل ذلك لانه كان يكثر من التشبيب وبكاء الاطلال ، أولأن ديباجته كانت بدوية خالصة . توفى باصبهان سنة ١١٧

(٢) وقف العاج : هو القطعة من العاج يمسك بها الثوب كالدبوس ونحوه

(٣) الدجى : جمع دجية وهى الظلمة (٤) طمر : حصان سريع الجرى كأنما يهوى من طمار ، أى من مكان مرتفع ، وسنابك الجواد حوافره ، والعجاجة السحابة ، والقسطل الغبار (٥) اللجم جمع لجام ، والاسحل بالكسر شجر يستاك به

ومُحجَّل غير اليمين كأنه * متبختر يمشى بكمٍّ مسبلِ

وقال

قد اغتدى بقارحٍ * مُسَوَّمٍ يعبوب [1]
ينفى الحصى بحافر * كالقَدَح المكبوب
قد ضحكت غُرَّتُه * فى موضع التقطيبِ [2]

وقال أيضا

ولقد وطئت الغيث يحملنى * طِرْفٌ كلون الصبح حين وَفَدْ
جمَّاع أطراف الصِّوار فما * الأُخرى عليه إذا جرى بأشَدْ [3]
يمشى فيعرض فى العِنان كما * صَدَفَ المعشَّق ذو الدلال وصدّ
فكأنه موجٌ يذوب اذا * أطلقته فاذا حبست جَمَدْ

وقال أيضا يصف سيفاً:

ولى صارمٌ فيه المنايا كوامنٌ * فما ينتضى إلا لسفك دماءِ
ترى فوق مَتْنَيه الفِرِنْد كأنه * بقية غيْمٍ رَقَّ دون سماءِ

وقال يصف ناراً:

مشهَّرةٌ لايحجب النخلُ ضوءها * كأن سيوفاً بين عيدانها تُجْلى
يفرج أغصان الوقود اضطرامها * كما شقت الشقَّراء عن متنها جَلاًّ [4]

---

(١) القارح من ذى الحافر ماطلع نابه وذلك فى السنة التاسعة ، والمسوم : المعلم ، واليعبوب : السهل الجرى فى عدوه (٢) التقطيب : العبوس (٣) الصوار : القطيع (٤) الشقراء : فرس زهير بن جـذيمة

وصف النار

وقال بعض أهل العصر وهو السَّرى الموصلى (١)

يومُ رَذَاذٍ مُمسّك الحجُبِ * يضحك فيه السُّرور من كَثَبِ (١)
ومجلس أُسبِلت ستائره * على شموس البهاء والحسبِ
وقد جرت خيل راحنا خَبَباً * فى حلْبها أو هممن بالخَبَبِ (٣)
والتهبت نارنا فَمنظرها * يغنيك عن كل منظر عجَب
إذا ارتمت بالشرار فاطَّردت * على ذُراها مطارد اللهب
رأيت ياقوتة مشبَّكة * تطير عنها قُراضةُ الذهب
فانهض الى المجلس الذى ابتسمت * فيه رياض الجمال والادبِ

وقال بعض أهل العصر وهو أبو الفرج الببغاء (٤)

فَحَماً قدَّم الغلام فأهدى * فى كوانينه حياة النفوسِ
كان كالآبنوس غير محلًّى * فغدا وهو مُذهَبُ الآبنوسِ
لقِىَ النار فى ثياب حِدادٍ * فكسته مُصبَّغات عروسِ

وقال أبو الفضل الميكالى

كأن الشرارَ على نارنا * وقد راق منظرها كل عَينْ
سُحَالة تِبرٍ اذا ما علا * فإمَّا هوى فَفُتات اللُّجَيْن (٥)

---

(١) هو السرى الرفاء المتوفى ببغداد سنة ٣٦٦ . وسمى الرفاء لأنه كان فى صباه يرفو الثياب ، وهو جيد الشعر كثير الولع بالاوصاف والتشبيهات (٢) الرذاذ : المطر الضعيف. والكثب بالتحريك : القرب (٣) الخبب ضرب من العدو ، وهو أن ينقل الفرس أيامنه جميعا وأياسره جميعا ، أو أن يراوح بين يديه (٤) هو عبد الواحد ابن نصر المتوفى سنة ٣٩٨ . كان من أهل نصيبين واتصل بسيف الدولة ودخل الموصل وبغداد ونادم الملوك والرؤساء (٥) السحالة : النحالة

عود الى شعر ابن المعتز

وقال ابن المعتز يصف سحابة

وموقَرة بثِقل الماء جاءتْ * تَهادى فوق أعناق الرياحِ (١)

فباتت ليلها سَحًّا ووَبْلاً * وهطلا مثل أفواه الجراحِ

كأن سماءها لما تجلَّتْ * خلال نجومها عند الصباحِ

رياضُ بنفسج خَضِلٍ ثراهُ * تفتَّحَ بينه نوْرُ الأقاحِ (٢)

وقال :

ولُجة للمنايا خضت غمرتها * بصارم ذكرٍ صمصامةٍ خذمِ (٣)

وقارح صبغ الخيلانُ دُهمتهُ * بشُهبة كاختلاط الصبح بالظُّلَمِ (٤)

وقال

وليل ككحل العين خضت ظلامهُ * بأزرق لمَّاع وأبيضَ صارمِ

ومَضْبورة الأعضادِ حَرْفٍ كأنها * تصافح رَضْراض الحصى بمناسم (٥)

وقال يصف حية

نَعتُّ رقطاء لا يحيى لرُقيتها * لوقدّها السيف لم يعلق به بلَلُ (٦)

تُلقى اذا انسلخت فى الارض جلدتها * كأنها كُمّ درعٍ قدّهُ بطلُ

وقال أيضا

وأسأرَ منى الدهرُ عضْباً مهنَّداً * يفُلُّ شَبا حظى وقلباً مُشيَّعاً (٧)

---

(١) موقرة : مثقلة (٢) خضل: ندى (٣) خذم : قاطع (٤) قارح : القارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الابل وهو الذى قوى ببلوغه تسع سنين — والخيلان جمع خال وهو شامة فى البدن. والدهمة: السواد ، والشهبة: لون بين السواد والبياض

(٥) الاعضاد جمع عضد ، ومضبورة : محكمة الخلق مكتنزة اللحم. حرف : ضامرة ورضراض الحصى صغارها — والمناسم جمع منسم وهو البعير (٦) رقطاء : منقطة

(٧) أسأر : ابقى — والمشيع : الشجاع

ورأيًا كمرآة الصناع أرى به * سرائر غيب الدهر من حيث ماسعى

أخذه من قول المنصور لابنه المهدى

لا تبرمن أمراً حتى تفكر فيه ، فان فكر العاقل مرآته ، يريه قبحه وحسنه .

رثاء المنصور

ولما دُفِنَ المنصور وقف الربيع على قبره فقال :

— رحمك الله يا أمير المؤمنين ، وغفر لك ، فقد كان لك حمًى من العقل ، لا يطير به الجهل ، وكنت ترى باطن الأمر بمرآة من الرأى ، كما ترى ظاهره

ثم التفت الى يحيى بن محمد أخى المنصور فقال هذا كما قال أبو دَهْبل الجُمحى [١]

عقم النساء فما يلدن شبيهه * إن النساء بمثله عُقُمُ [٢]

و بعده [٣]

متهلل بنعم بلا متباعد * سِيَّان منه الوَفرُ والعدْمُ [٤]

نَزْر الكلام من الحياء تخاله * ضَمِناً وليس بجسمه سُقْمُ [٥]

اوصاف الرجال

أخذ البيت الأخير من قول ليلى الأخيلية [٦]

لا تقربَنّ الدهر آل مُطرِّفٍ * إن ظالمًا يومًا وإن مظلوما

---

(١) فى الاصل (أبو دعبل) وهو تحريف (٢) عقم : جمع عقيم وهي المرأة العاقر وقبل هذا البيت كما فى الحماسة :

ان البيوت معادن فنجاره ذهب وكل بيوته ضخم

والنجار : الاصل (٣) هذا استطراد من المؤلف (٤) الوفر والعدم : الغنى والفقر (٥) ضمن : مريض (٦) هي ليلى بنت عبد الله اشتهرت بأخبارها مع توبة وله فيها شعر جميل ، وهى أشهر النساء الشواعر بعد الخنساء ، توفيت نحو سنة ٧٥ وأول هذه المقطوعة كما فى ديوان الحماسة :

قومٌ رِباط الخيل حول بيوتهم * وأسنةٌ زُرق يُخَلْنَ نجوما
وممزّق عنه القميص تخالهُ * وَسَط البيوت من الحياءِ سقيما
حتى اذا رفع اللواء رأيتهُ * يوم الهياج على الخميس زعيما (١)

وقال

يُشبّهون ملوكا فى تجلّتهم * وطول أنصبة الأعناق واللِّمم (٢)
اذا بدا المسك يجرى فى مفارقهم * راحوا كأنهمُ مرضى من الكرم

وقال أبو على الحاتمى : وما أحسن أبياتا أنشدها أبو عمرو المطرز غلام ثعلب يعترض فى أثنائها هذا المعنى

تخالهُمُ للحلم صمّاً عن الخنا * وخُرْساً عن الفحشاء عند التّهاتر (٣)
ومرْضَى اذا لاقوا حياءً وعِفةً * وعند الحروب كالليوث الخوادر (٤)
لهم عز إنصافٍ وذلُّ تواضع * بهم ولهم ذلت رقاب العشائر
كأنّ بهم وصْماً يخافون عاره * وليس بهم إلا اتقاء المعاير (٥)

وأنشد :

أَحلام عادٍ لايخاف جليسهم * وان نطق العوراء عيب لسانِ
اذا حُدثوا لم يخش سوءَ استماعهم * وان حدّثوا أدّوا بحسن بيان

يا أيها السدم الملوى رأسه ليقود من أهل الحجاز بريما
اتريد عمرو بن الخليع ودونه كعب ؟ اذن لوجدته مرءوما
ان الخليع ورهطه فى عامر كالقلب ألبس جؤجؤا وحزيما

السدم : الفحل الهائج . والبريم : الجيش المؤلف من اخلاط الناس . والمرءوم : المحوط بالعطف ، والجؤجؤ الصدر (١) اللواء : الراية ، والخميس الجيش لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة . والزعيم الرئيس

(٢) الانصبة : جمع نصاب وهو الأصل الذى ركب فيه العنق

(٣) التهاتر : تبادل السباب بالباطل (٤) الخوادر جمع خادر وهو الليث يلزم اجمته (٥) المعاير : المعايب

طيب الوصال

وقال ابن المعتز :

وعاقد زِنَّار على غصنِ الآسِ * دقيق المعانى مُخْطَف الخصر ميّاسِ (١)

سقانى عُقاراً صبّ فيها مِزاجها * فأضحك عن ثغر الحَباب فم الكاسِ

وقال :

يا ليلةً نسىَ الزمان بها * أحداثه كونى بلا فجرِ

فاح المساء ببدرها ووشت * فيها الصبّا بمواقع القطر

ثم انقضت والقلب يَتْبعها * فى حيثما سقطت من الدهر (٢)

وقال :

يا رُبّ إخوانٍ صحبتهمُ * لا يملكون لسلوةٍ قلبا

لو تستطيع قلوبهم نفرَتْ * أجسامهم فتعانقت حبا (٣)

هذا كقول ابن الرومى

أعانقهُ والنفس بعد مشوقةٌ * إليه وهل بعد العناق تدانى

وألثم فاه كى تزول حرارتى * فيشتد ما ألقى من الهَيمان

ولم يك مقدار الذى بى من الجوى * ليرويَهُ ما ترشْفُ الشفتان

كأن فؤادى ليس يشفى غليلهُ * سوى أن يُرى الروحان يمتزجان

نثر ابن المعتز

ومن منثوره :

— لا يزال الاخوان يسافرون فى المودة ، حتى يبلغوا الشقّة ، فاذا بلغوها ألقوا عصا

(١) الزنار : رباط يشد به الخصر — ومخطف الخصر : ضامره ، ومثله اخطف ومخطوف (٢) هذا البيت غاية فى روعة الخيال (٣) نفرت : سعت

التسيار ، واطمأنت بهم الدار ، وأقبلت وفود النصائح ، وأمنت خبايا الضمائر ، فحلوا عُقد التحفظ ، ونزعوا ملابس التخلق

— وله : سار فلان فى جيوش عليهم أردية السيوف ، وأقمصة الحديد ، وكأن رماحهم قرون الوعول [١] وكأن أدراعهم زَبَد السيول ، على خيل تأكل الارض بحوافرها ، وتمد بالنقع سُرادقها [٢] قدنشرت فى وجوهها غُرر كأنها صحائف الرّق [٣] وأمسكها تحجيل كأنه اسْوِرَة اللُّجَيْن [٤] وقُرِّطت عُذُراً كأنها الشنف [٥] تتلقف الاعداء أوائله ولم تنهض أواخره ، قد صُبَّ عليهم وقار الصبر ، وهبت معهم ريح النصر

— وله فى عليل :

آذن الله فى شفائك ، وتلقى داءك بدوائك ، ومسح بيد العافية عليك ، ووجه وفد السلامة اليك ، وجعل علتك ماحية لذنوبك ، مضاعفة لثوابك .

— وكتب الى عبيد الله بن سليمان بن وهب [٦] فى يوم عيد :

أخرتنى العلة عن الوزير أعزه الله ، فحضرت بالدعاء فى كتابى لينوب عنى ، ويعمر ما أخلته العوائق منى ، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الاعياد السالفة بركة على الوزير ، ودون الاعياد المستقبلة فيما يحب ويُحَبُّ له ، ويقبل ما توسل به الى مرضاته ، ويضاعف الاحسان اليه ، على الاحسان منه ، ويمتعه

---

(١) الوعول : جمع وعل وهو التيس الجبلى (٢) النقع : غبار الحرب

(٣) الرق ، بالفتح ويكسر : جلد رقيق يكتب فيه (٤) اللجين : الفضة

(٣) الشنف ، بالفتح : القرط — والعذر بضمتين جمع عذار

(٦) وزير من أكابر الكتاب ، استوزره المعتمد على الله وأقره بعده المعتضد ، واستمرت وزارته عشر سنين وخمسين يوما وكانت وفاته سنة ٢٨٨ . وهو الذى قال فيه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حين وزر للمعتضد :

أبى دهرنا اسعافنا فى نفوسنا ... وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها ... ودع أمرنا ان الأهم مقدم

بصحبة النعمة ولباس العافية ، ولا يريه فى مسرة نقصاً ، ولا يقطع عنه مزيداً ، ويجعلنى من كل سوء فداه ، ويصرف عيون الغير عنه ، وعن حظى منه

— وله إلى بعض الرؤساء :

لا تَشِن حسن الظفَر بقبح الانتقام، وتجاوز عن كل مذنب لم يسلك من الإعذار طريقا [1] حتى اتخذ من رجاء عفوك رفيقا

— وله: اعتذار إلى القاسم بن عبيد الله :

ترفّع عن ظلمى إن كنت بريئاً ، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئاً ، فوالله انى لأطلب عفو ذنب لم أجنه ، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه ، لتزداد تطولا وأزداد تذللا ، وأنا أعيذ حالى عندك بكرمك من واش يكيدها ، وأحرسها بوفائك من باغ يحاول افسادها ، وأسأل الله تعالى أن يجعل حظى منك ، بقدر ودى لك ، ومحلى من رجائك ، بحيث استحق منك .

— وله إليه :

لو كان فى الصمت موضع يسع حالى لخففت عن سمع الوزير ونظره ، ولم أشغل وجها من فكره ، وما زالت الشكوى تعرب عن لسان البلوى ، ومن اختلت حالته ، كان فى الصمت هلكته ، وقد كان الصبر ينصرنى على ستر أمرى حتى خذلنى

— وهذا كقول احمد بن اسماعيل : فصاحة الشكوى ، على قدر البلوى ، إلا أن يكون بالشاكى انقباض ، وبالمشكو إليه إعراض

وصف الماء

وقد أحسن أبو العباس بن المعتز فى صفة الماء فى أرجوزته التى أنشدتها آنفاً ، وقد قال فى قصيدة له وذكر إبلا :

---

(١) الاعذار : ابداء العذر ، وفى الاصل (الاقدار) وهو تحريف :

فتبدّى لهن بالنّجَف المد * بر ماءٌ صافى الجمام مرىٌّ[1]

يتمشّى على حصًى يسلب الما * ءَ قذاه فمتنه مجلىٌّ

واذا داخلته درة شمس * خلته كُسِّرَتْ عليه الحُلِىّ

وقال[2]:

لا مثل منزلة الدويرة منزلٌ * يا دار جادك وابلٌ وسقاكِ[3]

بؤساً لدهر غيرتك صروفه * لم يمحُ من قلبى الهوى ومحاكِ

لم يحل للعينين بعدك منظرٌ * ذمّ المنازل كلهنّ سواكِ

أىّ المعاهد منك أندب طيبَهُ * ممْساكِ بالآصال أم مغداكِ ؟

أم بَرد ظلك ذى الغصون وذى الجنى * أم أرضك الميثاء أم رياكِ[4]

وكأنما سُعطت مجامر عنبر * أوفُتّ فار المسك فوق ثراكِ[5]

وكأنما حصباء أرضك جوهرٌ * وكأن ماء الورد دمع نداكِ

وكأنما أيدى الربيع ضحيّةً * نشرت ثياب الوشى فوق رُباكِ

وكأن دِرْعاً مفْرغا من فضة * ماء الغدير جرَتْ عليه صَبَاكِ[6]

وعشقت عاتكة المرية ابن عم لها فراودها عن نفسها فقالت:

وما طعم ماء أىّ ماء تقولهُ * تحدّر عن غُرٍّ طِوال الذوائبِ

بمنعرَج من بطن وادٍ تقابلتْ * عليه رياح الصيف من كل جانبِ

نفَتْ جَرْيةُ الماء القذَى عن متُونهِ * فما إنْ بهِ عيبٌ تراه لشاربِ

بأطيبَ ممن يقصِر الطرف دونَهُ * تُقى الله واستحياءُ بعض العواقبِ

---

(١) النجف ، محركة وبهاء ، مكان لايعلوه الماء مستطيل منقاد ويكون فى بطن الوادى وقد يكون ببطن من الارض . والجمام جمع جم وهو الماء الكثير ، والمرى الهنئ

(٢) هذه الكافية من أروع ماقال ابن المعتز ، وقد ترجمتها الى الفرنسية فى كتابى
La prose arabe au Ive siècle de l'hegire

(٣) الدويرة : محلة ببغداد (٤) رواية الديوان (أم برد ظلك ذى العيون وذى الحيا) والميثاء : اللينة (٥) فار المسك : ما تجمد من دم الغزال (٦) مفرغ مصبوب

وأنشد الأصمعي قال أنشدني أبو عمرو بن العلاء لجابر بن الأرتّ وقال هو أحسن ماقيل في معناه :

أيا ويح نفسي كلما التحتتْ لوحةً[1] * على شربة من ماء أحواض مارب[2]

بقايا نطاف أودع الغيم صفوها * مصقَّلة الأرجاء زُرْق المشارب[3]

ترقرق دمع المزن فيهن والتوت * عليهن أنفاس الرياح الغرائب

وأنشد اسحاق بن ابراهيم للأبيرد اليربوعي ورويت لمضرس بن ربعي الأسدي .

فألقت عصا التسيار عنها وخيمت * بأرجاء عذب الماء زُرقٍ محافره

أزال القذىُ عن مائه وافد الصَّبا * يروح عليه ناسماً ويباكره

وأول من أتى بهذا زهير بن أبي سلمى في قوله

فلما وردن الماء زُرقا جمامهُ * وضعن عصيّ الحاضر المتخيِّم[4]

وقال ابن الرومي

وماء جلت عن حَر صفحته القذى * من الريح معطار الاصائل والبُكَر

به عبَقٌ مما تسحَّب فوقهُ * نسيم الصبا يجرى على النَّور والزهَر

---

(١) التحت : عطشت من قولهم لاحه العطش ولوحه اذا غيره ، وهو ملتاح ، وبه لوح شديد ، وبعير ملواح وإبل ملاويح : سريعة العطش

(٢) مارب : هى بلاد الأزد باليمن ، وهى غير مهموزة لأنها وردت كذلك فى الخطوط الحميرية كما أخبرنا السنيور نللينو . وهذا لاينافى انها همزت فى بعض الاشعار ولسد مارب وسيل العرم قصص طويلة ذكر بعضها فى معجم البلدان

(٣) النطاف والنطف جمع نطفة وهى الماء الصافى قل أو كثر (٤) المتخيم : المقيم

بركة الجعفري [1]

ويتعلق بهذا الباب قول البحتري يصف بركة الجعفري [2] وهو قصر ابتناه المتوكل في سر من رأى

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها [3] * والآنسات إذا لاحت مغانيها

ما بال دجلة كالغيرى تنافسها * في الحسن طوراً وأطوارا تباهيها

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكاً * مثل الجواشن مصقولاً حواشيها [4]

فحاجب الشمس أحيانا يغازلها [5] * وريق الغيث أحياناً يباكيها

إذا النجوم تراءت في جوانبها * ليلا حسبت سماء ركبت فيها

كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السبائك تجري في مجاريها

تنصب فيها وفود الماء معجلة * كالخيل خارجة من حبل مجريها [6]

كأن جن سليمان الذين ولوا * إبداعها فأدقوا في معانيها

فلو تمر بها بلقيس عن عرض [7] * قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها

لا يبلغ السمك المقصور غايتها * لبعد ما بين قاصيها ودانيها

يعمن فيها بأوساط مجنحة * كالطير تنشر في جو خوافيها

---

(١) الجعفري اسم قصر بناه المتوكل قرب سامراء، فلما انتقل اليه انتقل معه أهل سامراء حتى كادت تخلو، وفي هذا القصر قتل المتوكل في شوال سنة ٢٤٧

(٢) سميت البركة بركة لاقامة الماء فيها، من بروك البعير (٣) رواية الديوان — (الحسناء رؤيتها) (٤) الجواشن جمع جوشن وهو الدرع. وفي الاصل (من الجواشن) وهو تحريف (٥) رواية الديوان (يضاحكها) وهي أنسب

(٦) الوفود جمع وفد. وهو هنا تيار الماء (٧) عن عرض: من جانب. وفي الاصل (معرضة) وقد آثرنا رواية الديوان

قصور المتوكل

ولم ينفق أحد من خلفاء بنى العباس فى البناء ما أنفقه المتوكل ، وذلك انه أنفق فى أبنيته ثلثمائة ألف ألف

وفى أبنيته يقول على بن الجهم (١)

وما زلت اسمع أن الملو * ك تبنى على قدر أخطارها
وأعلم أن عقول الرجا * ل يُقضى عليها بآثارها
صُحُونٌ تسافر فيها العيون * فتحسرُ من بُعْد أقطارها (٢)
وقبة مُلكٍ كأن النجو * م تُفضِي اليها بأسرارها
اذا أُوقِدَت نارها بالعراق * أضاء الحجازَ سنا نارها
لها شُرُفاتٌ كأن الربيع * كساها الرياض بأنوارها
فهنَّ كمصطحبات خرجن * لفُصْح النصارى وإفطارها (٣)
نظمن القِسِيَّ كنظم الحلى * بعُونِ النساء وأبكارها (٤)
فمن بين عاقصةٍ شعرها * ومُصلِحة عقْد زِنّارها (٥)

وللبحترى فيها شعر كثير منه

أرى المتوكلية قد تعالت * مصانعها (٦) وأكملت التماما

(١) شاعر فحل من معاصرى أبى تمام والبحترى وهو صاحب الرائية المشهورة التى يقول فى أولها

عيون المها بين الرصافة فالجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى
أعدن لى الشوق القديم ولم أكن سلوت ولكن زدن جمرا الى جمر

اختص بالمتوكل ثم غضب عليه فنفاه الى خراسان فأقام بها مدة ورحل الى حلب فقتله بقربها بعض بنى كلب بسنة ٢٤٩

(٢) تحسر : تكل ، والاقطار النواحى والارجاء (٣) الفصح من أعياد النصارى

(٤) عون : جمع عوان ، على وزن سحاب ، وهى التى كانت لها زوج

(٥) الزنار : رباط يشد به الخصر (٦) مصانعها : مبانيها . وفى الديوان (محاسنها)

قصور كالكواكب لامعاتٌ * يكدن يُضِئن للسارى الظلاما

وروض مثل بُرْد الوشى فيهِ * جنى الحوذان ينشر والخزامى (١)

غرائب من فنون النَّور فيها * جنَى الزهر الفُرادى والتؤاما

يضاحكها الضحى (٢) طوراً وطوراً * عليها الغيم ينسجم انسجاما

ولو لم يستهلَّ لها غمامٌ * بريِّقه لكنت لها غماما (٣)

وقال أيضاً

قد تمّ حسن الجعفرى ولم يكن * ليتمّ إلا بالخليفة جعفرِ

ملكٌ تبوأ خير دار أنشئت * فى خير مبدى للأنام ومحضر

فى رأس مُشرفة حصاها لؤلؤ * وترابها مسك يشاب بعنبرِ (٤)

مخضرة والغيث ليس بساكبٍ * ومضيئة والليل ليس بمقمر

رُفِعَتْ بمنخَرَق الرياح وجاورت * ظل الغمام الصيِّب المستعبر (٥)

و بعده :

ورفعت بنيانا كأن منارهُ * أعلام رضوى أو شواهق صيبر (٦)

عالٍ على لحظ العيون كأنما * ينظرن منه الى بياض المشترى (٧)

ملأت جوانبُه الفضاء وعانقت * شرفاته قطع السحاب الممْطر

وتسيل دجلة تحته ففناؤهُ * من لجة فُرشت وروض أخضَر

شجر تلاعبه الرياح فتنثنى * أعطافه فى سائحٍ متفجرِ

---

(١) الحوذان والخزامى من النباتات المزهرة (٢) فى الاصل (يضاحك نورها) وقد آثرنا رواية الديوان (٣) ريق القطر : الغزير منه

(٤) يشاب : يمزج (٥) الصيب : الكثير الانهمال . ورواية الديوان :

ظهرت لمخترق الشمال وجاورت   ظلل الغمام الصائب المستغزر

(٦) رضوى وصيبر : جبلان، وفى الاصل (شواهق منبر) وهو تحريف (٧) المشترى : اسم نجم

وصف موضع

أخذ أبو بكر الصنوبرى [١] قول البحترى فى صفة البركة فقال يصف موضعا

سقى حلباً سافكٌ دمعهُ * بطىءُ الرقوءِ إذا ماسفَكْ [٢]

ميادينه بُسطهنّ الرياضْ * وساحاتهُ بينهن البِرَكْ

ترى الريح تنسج من مائه * دُرُوعاً مضاعفَة أو شبك

كأن الزجاج عليها أذيبَ * وماء اللجين بها قد سُبِك

هى الجوُّ من رِقة غير أن * مكان الطيور يطيرُ السمك

وقد نظم الزهر نظم النجومْ * فمفترق النظم أو مشتبك

كما درّج المـاء مَرُّ الصبا * ودبّج وجه السماءِ الحبك

يباهين أعلام قُمص القِيان * ونقْش عصائبها والتّكَكْ

وأخذ قوله ☆ إذا النجوم تراءت فى جوانبها ☆ فقال

ولما تعالى البدرُ وامتدّ ضوءُهُ * بدجلة فى تشرين فى الطول والعرْض

وقد قابل المـاء المفضض نورهُ * وبعض نجوم الليل يقفو سنا بعض [٣]

توهّم ذو العين البصيرة أنهُ * يرى باطن الافلاك من ظاهر الارض

ولأهل العصر فى هذا النحو كلام كثير . قال الأمير أبو الفضل الميكالى يصف بركة وقع عليها شعاع الشمس فألقته على بهو مُطلّ عليها :

أما ترى البركة الغراء قد لبست * نوراً من الشمس فى حافاتها سطعا

والبهو من فوقها يلهيك منظرَهُ * كأنهُ ملكٌ فى دَستِه ارتفعا

---

(١) هو أحمد بن محمد الحلبى المتوفى سنة ٣٣٤ (٢) الرقوء : السكون. يقال : رقأ دمعه ودمه ، ولا رقأت دمعة فلان ولا أرقأ الله عينه . ومن كلامهم : اليأس رقوء الدمع. وقال ذو الرمة :

لئن قطع اليأس الحنين فانه رقوء لتذراف الدموع السوافك

(٣) يقفو : يتبع ، والسنا الضوء

والماء من تحته ألقى الشعاع على * أعلا سماواته فارتجَّ ملتمعا
كأنه السيف مصقولاً تُقلبهُ * كفّ الكميِّ الى ضرب الكمى سعى (١)

دار البحر

وقال على بن محمد الايادى يمدح المعز ويصف دار البحر بالمنصورية (٢)

ولما استطال المجد واستولت البُنى * على النجم واشتد الرواق المروَّقُ (٣)
بنى قبةً للملك فى وسط جَنةٍ * لها منظرٌ يُزهَى به الطرف مُونقُ
بمعشوقة الساحات أما عِراصُها * فخضرٌ وأما طيرها فهى نُطَّقُ (٤)
تحف بقصر ذى قُصُور كأنما * ترى البحر فى أرجائه وهو مُتْأقُ (٥)
له بركة للماء ملء فضائهِ * تَخُبُ بقصريها العيون وتَعنَقُ (٦)
لها جَدْولٌ ينصبُّ فيها كأنهُ * حُسامٌ جلاه القَين بالأرض مُلْصَقُ (٧)
لها مجلسٌ قد قام فى وسْط مائها * كما قام فى فيض الفرات الخورنق (٨)
كأنَّ صفاء الماء فيها وحُسْنَهُ * زجاجٌ صَفَتْ أرجاؤه فهو أزرق
اذا بثَّ فيها الليل أشخاص نجمهِ * رأيت وجوه الزنج بالنار تُحْرَقُ
وان صافحتها الشمس لاحت كأنها * فرند على تاج المعزِّ ورَونَقُ
كأن شرافات القاصر حولها * عذارى عليهنَّ الملاء الممنطق
يذوب الجفاء الجَعد عن وجه مائها * كما ذاب آل الصحصحان المرقرق (٩)

وقال عبد الكريم بن ابراهيم:

يارب فتيان صدق رُحت بينهمُ * والشمس كالدَّنِفِ المعشوق فى الأفقِ
مَرْضى أصائلها حَسْرى شمائلها * تروَّحَ الغُصُن المطور فى الورق

(١) الكمى : الشجاع (٢) المنصورية : مدينة بقرب القيروان (٣) البنى : جمع بنية بالضم والكسر (٤) العراص هى الباحات (٥) متأق : ملآن (٦) تخب وتعنق من الخبب والعنق بفتحتين وهما من أنواع السير (٧) القين : الحداد (٨) الخورنق : اسم قصر (٩) الصحصحان : موضع بين حلب وتدمر، والآل السراب

مُعاطياً شمس إبريق إذا مُزِجَتْ * تقلّدت عِقد مَرْجان من النَّزَق
عن ماحلٍ طافح بالماء مُعْتَلِجٍ * كأنما نفسه صِيغَتْ من الحَدَق
تضمُّه الريح أحيانا وتفرقه * فالماءُ ما بين محبوس ومنطلق
من أخضر ناضر والطل يلحقه * وأبيض تحت قيظىّ الضحى يقق[1]
تهزُّهُ الريح أحياناً فيمنحها * للزجر خفق فؤاد العاشق القلق
كأنَّ حافاته نُطّقن من زَبَدٍ * مناطقاً رُصِّعت من لؤلؤ نَسَقِ
كأن قبته من سُنْدُسٍ نمطٍ * حسناءُ مجاوِّةُ اللبَّات والعنق
إذا تبلَّج فجرٌ فوق زرقته * حسبته فرساً دَهْماء فى بَلَقِ[2]
أو لا زَوَرْداً جرى فى متنه ذهب * فلاح فى شارقٍ من مائه شرِقِ
عشيةٌ كملت حُسناً وساعدَها * ليل يمدِّد أطناباً على الافق
تَجْلَى بغُرة وضَّاحِ الجبين له * ما شئت من كرم وافٍ ومن خُلُقِ

المياه والغدران

ألفاظ لأهل العصر فى وصف الماء وما يتصل به

— ماء كالزجاج الأزرق .
— غدير كعين الشمس .
— موارد كالمبارد .
— ماء كلسان الشمعة ، فى صفاء الدمعة ، يسبح فى الرضراض ، سبح النضناض .
— ماء أزرق كعين السنّور[3] صاف كقضيب البلّور .
— ماء إذا مسته يد النسيم حكى سلاسل الفضة .
— ماء إذا صافحته راحة الريح ، لبس الدروع كالمسيح :

(٣) قيظى : منسوب الى القيظ وهو الحر الشديد . وفي الاصل (قبطى) وهو تحريف واليقق : الناصع البياض (٤) البلق : ارتفاع التحجيل الى الفخذين (١) السنور : القط

— كأن الغدير بتراب الماء رداء مصندل .

— بركة كأنها مرآة السماء .

— بركة مفروزة بالخضرة ، كأنها مرآة مجلوة ، على ديباجة خضراء .

— بركة ماء كأنها مرآة الصناع [1] .

— غدير ترقرقت فيه دموع السحائب ، وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب .

— ماء زُرق جِمامه ، طامية أرجاؤه ، يبوح بأسراره صفاؤه ، وتلوح فى قراره حصباؤه .

— ماء كأنما يفقده من يشهده ، يتسلسل كالزرافين [2] ويرضع أولاد الرياحين .

— انحل عقد السماء ، ووهى عقد الانواء .

— انحل سلك القطر عن در البحر .

— أسعد السحاب جفون العشاق [3] ، وأكف الأجواد ، وانحل خيط السماء وانقطع شريان الغمام .

— سحابة يتجلى عليها ماء البحر ، وتفض علينا عقود الدر .

— سحاب حكى المحب فى انسكاب دموعه ، والتهاب النار بين ضلوعه .

— سحابة تحدو من الغيوم جمالا ، وتمد من الامطار حبالا .

— سحابة ترسل الأمطار أمواجاً ، والامواج أفواجاً .

— تحللت عقد السماء بالديمة الهطلاء .

— غيث أجشّ يروى الهضاب والآكام [4] ، ويحيي النبات والسوام .

— غيث كغزارة فضلك ، وسلاسة طبعك ، وسلامة عقدك ، وصفاء ودك .

— وبل كالنبل .

---

(١) الصناع : المرأة الماهرة فيما تصنع ، وكأنما يراد بها هنا المرأة التى تهتم بزينة النساء

(٢) الزرافين : الآلات يرفع بها الماء ، فترى له عليها بريقا ولمعانا (٣) أسعد : من الاسعاد وهو المشاركة في البكاء (٤) الآكام : جمع أكمة وهي التل

— سحابة لا تجف جفونها ، ولا يخف أنينها .

— سحابة يضحك من بكائها الروض، وتخضر من سوادها الأرض .

— ديمة روت أديم الثرى ، ونبهت عيون النّور من الكرى .

— سحابة ركبت أعناق الرياح وسحت كأفواه الجراح — مطر كأفواه القِرب، ووحل إلى الركب — أندية من الله معها على البيوت بالثبوت ، وعلى السقوف بالوقوف — أقبل السيل ينحدر انحداراً ، ويحمل أحجاراً وأشجاراً ، كأن به جِنة ، أو فى أحشائه أجنة .

وبعض ماهر من هذه الألفاظ محاول نظام ما تقدم إنشاده

ولهم فى مقدمات المطر

لبست السماء جلبابها ، وسحبت السحائب أذيالها .

— قد احتجبت الشمس فى سُرادق الغيم ، ولبس الجو مطرفه الأدكن .

— باحت الريح بأسرار الندى ، وضُرِبت خيمة الغمام ، ورش جيش النسيم ، وابتل جناح الهواء ، واغرورقت مقلة السماء ، وبشر النسيم بالندى ، واستعدت الارض للقطر .

— هبت شمائل الجنائب ، لتأليف شمل السحائب .

— تألفت أشتات الغيوم ، وأسبلت الستور على النجوم

وصف الرعد والبرق

وفى الرعد والبرق

— قام خطيب الرعد ، ونبض عرق البرق .

— سحابة ارتجزت رواعدها ، وأذهبت ببروقها مطاردها .

— نطق لسان الرعد ، وخفق قلب البرق ، فالرعد ذو صخب ، والبرق ذو لهب .

— ابتسم البرق عن قهقهة الرعد .

— زأرت أسد الرعد ، ولمعت سيوف البرق .

— رعدت الغمائم و برقت ، وانحلت عزالى السماء فطبقت — هدرت رواعدها وقربت أباعدها ، وصدقت مواعدها .

— كأن البرق قلب مشوق ، بين التهاب وخفوق .

ويتصل بهذه الأنحاء ماحكاه عمر بن على المطوعى قال :

— رأى الأمير السيد أبو الفضل عبيد الله بن أحمد أدام الله عزه أيام مقامه بجوين أن يطالع قرية من قرى ضياعه تدعى نجاب على سبيل التنزه والتفرج فكنت فى جملة من استصحبه إليها من أصحابه ، واتفق اننا وصلنا والسماء مُصْحية ، والجو صاف لم يطرز ثوبه بعلم الغمام ، والافق فيروزج لم يعبق به كافور السحاب ، فوقع الاختيار على ظل شجرة باسقة الفروع ، متسقة الأوراق والغصون ، قد سترت ماحوالها من الأرض طولا وعرضاً ، فنزلنا تحتها مستظلين بسماوة أفنانها (١) مستترين من وهج الشمس بستارة أغصانها ، وأخذنا نتجاذب أذيال المذاكرة ، ونتسالب أهداب المناشدة والمحاورة ؛ فما شعرنا بالسماء إلا وقد ارعدت وأبرقت ، وأظلمت بعد ما أشرقت ، ثم جادت بمطر كأفواه القِرب فأجادت ، وحكت أنامل الاجواد ومدامع العشاق (٢) بل أوفت عليها وزادت حتى كاد غيثها يعود عيثا (٣) وهمّ وبلُها أن يستحيل ويلا ، فصبرنا على أذاها ، وقلنا سحابة صيف عما قليل تَقَشَّع ، فاذا نحن بها قد أمطرتنا بَرَدا كالثغور ، لكنها من ثغور العَذاب ، لامن الثغور العِذاب ، فأيقنا بالبلاء ، وسلّمنا لأسباب القضاء ؛ فما مرت إلا ساعة من النهار ، حتى سمعنا خرير الانهار ، ورأينا السيل

---

(١) السماوة : السماء وهو السقف (٢) المدامع : جمع مدمع ، وهو هنا مكان الدمع ، فالمراد من مدامع العشاق عيونهم (٣) العيث : الفساد

قد بلغ الزبى ،[١] والماء قد غمر القِيعان والرُّبى[٢] فبادرنا إلى حصن القرية لائذين من السيل بأفنيتها ، وعائذين من القطر بأبنيتها ، وأثوابنا قد صندل كافوريّها ماء الوبل ، وغلف طرازيها طين الوحل ، ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الابدان ، وان فقدنا بياض الأكمام والأردان ، ونشكره على سلامة الأنفس والأرواح ، شكر التاجر على بقاء رأس المال إذا فجع بالأرباح ، فبتنا تلك الليلة فى سماء تكِفُ ولا تكُفُّ[٣] وتبكى علينا إلى الصباح بأدمع هوام ، وأربعة سِجام[٤] ، فلما سُلَّ سيف الصبح من غمد الظلام ، وصُرف بوالى الصحو عامل الغمام ، رأينا صواب الرأى أن نوسع الاقامة بها رفضاً ، ونتخذ الارتحال عنها فرضاً ، فما زلنا نطوى الصحارى أرضاً فأرضاً ، إلى أن وافينا المستقر ركضاً ؛ فلما نفضنا غبار ذلك المسير ، الذى جمعنا فى ربقة الأسير ، وأفضينا إلى ساحة التيسير ، بعد ما أصبنا بالأمر العسير وتذاكرنا ما لقينا من التعب والمشقة ، فى قطع ذلك الطريق ، وطى تلك الشقّة ، أخذ الأمير السيد أطال الله بقاءه القلم فعلق هذه الابيات ارتجالا

دهتنا السماء غداة السحابْ * بغيث على أفقه مُسْبَلِ
فجاء برعدٍ له رنّةٌ * كرنّة ثكلى ولم تثكل
وثنّى بوبلٍ عدا طورَهُ * فعاد وبالاً على المُحِل[٥]
وأشرف أصحابنا من أذاه * على خطر هائل مُعْضل
فمن لائذ بفناء الجدار * وآوٍ الى نَفَق مُهْمل[٦]
ومن مستجير ينادى الغريق * هناك ومن صارخ مُعْوِلِ
وجادت علينا سَمَاء السقوف * بدمعٍ من الوجد لم يهمل
كأن حراماً لها أن ترى * يبيساً من الأرض لم يُبْلَل

---

(١) الزبى جمع زبية وهى الرابية لايعلوها ماء (٢) القيعان : جمع قاع ، والربى : جمع ربوة (٣) تكف : تسيل ، وتكف تمتنع (٤) هوام : جمع هامية ، وسجام : جمع ساجمة أى ممطرة (٥) الممحل : المجدب (٦) النفق : السرداب

وأقبل سَيْلٌ له روعةٌ * فأدبر كلٌّ عن المقبل
يُقلّع ماشاء من دوحةٍ * ومايلق من صخرة يحمل
كأنَّ باحشائه إذ بدا * أَجِنَّة حُبْلَى ولم تحبل
فمن عامرٍ ردّهُ غامراً * ومن مَعْلَمَ عاد كالمجهل (١)
كفانا بليته ربنا * فقد وجب الشكر للمفضل
فقل للسماء ارعدى وابرقى * فأنا رجعنا الى المنزلِ (٢)

أخذ المطوعى قوله (فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام) من قول أبى الفتح البستى

ربَّ ليل أغمد الانوار إلاّ * نور ثَغْرٍ أو مدام أو ندام
قد نعمنا بدياجيه إلى أن * سل سيف الصبح من غمد الظلام

وقال بعض أهل العصر وهو أبو العباس الناشىء :

خليليَّ هل للمزن مقلة عاشقٍ * أم النار فى أحشائها وهى لاتدرى
أشارت إلى أرض العراق فاصبحت * وكاللؤلؤ المنثور أدمعها تجرى
سحاب حكت ثكلى أصيبت بواحدٍ * فعاجَتْ له نحو الرياض على قبر
تسربل وشْيا من حُزون تطرزت * مطارفها طرزاً من البرق كالتبر
فوشيٌ بلا رقمٍ ورقمٌ بلا يدٍ * ودمع بلا عين وضحك بلا ثغرِ

— وقال آخر :

أوقت لبرق شديد الوميضْ * ترلمَى غواربُه بالشُّهبْ
كأن تألقَه فى السماء * سُطور كُتِبْنَ بماء الذهب

— وقال ابن المعتز :

كأن الرَّباب الجوْن دون سحابهِ * خليع من الفتيان يسحب مِئزرا (٣)

---

(١) غامر : خراب ، ومعلم ومجهل :معلوم ومجهول ، وكلاهما على وزن مقعد
(٢) هذا البيت غاية فى خفة الروح (٣) الرباب : السحاب ، والجون الاسود

إذا لحقته خِيفةٌ من رعودهِ * تلفت واستلَّ الحسام المذكَّرا

وقد قال حسان بن ثابت :

كأن الرباب دُوَيْن السحاب * نَعامٌ تعلَّق بالأرجُلِ (١)

وقال ابن المعتز :

باكية يضحك فيها برقها * موصولة بالارض مُرخاة الطُّنُب

رأيت فيها برقها منذ بدا * كمثل طرف العين أوقلب يجِب (٢)

جرت بها ريح الصَّبا حتى بدا * منهاليَ البرق كأمثال الشهب (٣)

تحسبه طوراً إذا ما انصدعت * أحشاؤها عنه شُجاعاً يضطرب (٤)

وتارة تحسبهُ كأنه * أبلق مال جله حين وثب (٥)

وتارة تحسبه كأنه * سلاسل مفصولة من الذهب

وقال الطائى

يا سهمُ للبرق الذى استطارا * صار على رغم الدجى نهارا

آض لنا ماء وكان نارا (٦)

وينشد أصحاب المعانى

نارٌ تجدد للعينين نضرتها * والنار تلفح عيدانا فتحترق

(١) دوين : تصغير دون . (٢) يجب : يضطرب (٣) رواية الديوان :

ثم حدت بها الصبا كأنها فيها من البرق كأمثال الشهب

(٤) الشجاع : الثعبان . ورواية الديوان :

اذا تعرى البرق فيها خلته بطن شجاع فى كثيب يضطرب

(٥) الأبلق : الجواد يرتفع تحجيله الى الفخذين ، والتحجيل بياض فى القوائم ، والجل مايوضع على ظهر البعير والجواد (٦) آض : رجع وصار

الشرب في الصحو

وقال ابن المعتز يمدح الشرب فى الصحو ويذمه فى المطر

أنا لا أشتهى سماء كبطن العـ * ـير والشرب تحتها فى خراب

بين سقف قد صار منخل ماء * وجدار ملقًى وتل تراب

وبيوت يوقّع الوكف فيهن * وإيقاعه بغير صواب

انما أشتهى الصبوح على وجـ * ـه سماء مصقولة الجلباب

ونسيم من الصبا يتمشّى * فوق روض ندٍ جديد الشباب

وكأن الشمس المضيئة دينا * ر جلته حدائد الضرّاب

فى غداة وكأسها مثل شمس * طلعت فى مُلاءة من شراب

أو عروس قد ضمّخت بخلوق * فهى صفراء فى قميص حباب

وغناء لا عـذر للعود فيـه * بتندّى الأوتار والمضراب

وبراة البساط من وضر الطـ * ـين ومسح الأقدام فى كل باب

ونشاط الغلمان ان عرضت حا * جاتنا فى مجيئهم والذهاب

وجفاف الريحان والنرجس الغض * بأيدى الخلان والاصحاب

لا تندّى أنوفهم كلما حيوا * بضغث ندى أنوف الكلاب

ذاك يوم أراه غنما وحظا * من عطاء المهيمن الوهاب

وقال الصنوبرى :

أنيس ظباء بوحش الظبا * وصبغ حياً مثل صبغ الحيا

ويوم تكامله الشمس من * صفاء الهوى وصفاء الهوا

بشمس الدنان وشمس القيان * وشمس الجنان وشمس السما

الوامق الممنوع

وشبيه بالابيات التى كتبها ثعلب الى أبى العباس بن المعتز لجميل [1] قول الآخر

وما وجد ملواح من الهيم خُلّيت * عن الورد حتى جوفها يتصلصل [2]
تحوم وتغشاها العصى وحولها * أقاطيع أنعام تعلّ وتنهل
بأكثر منى لوعة وصبابة * الى الورْد الا أننى أتجمل [3]

وقال أبو حية النميرى

كفى حزناً انى أرى الماء معْرِضاً * لعينى ولكن لاسبيل الى الورْدِ [4]
وما كنت أخشى أن تكون منيتى * بكف أعز الناس كلهم عندى

وصف رجل حازم

وقال ابن المقفع :

— كان لى أخ أعظم الناس فى عينى [5] ، وكان رأس ما عظّمه فى عينى صِغَرَ الدنيا فى عينه ، كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى ما لا يجد ، ولا يكثر اذا

(١) قد مرت هذه الابيات فى ص ٢١٨ (٢) الملواح : الناقة أصابها اللوح وهو الظمأ الشديد ، والهيم : جمع هيماء ، وهى التى أصيبت بداء الهيام وهو شدة الظمأ ، ويتصلصل : يصوت (٣) ومثل هذا أيضا قول الشريف الرضى

وما حائمات يلنفن من الصدى * الى الماء قد موطلن بالرشفان
اذا قيل هذا الماء لم يملكوا لها * معاجا باقران ولا بمثان
باظما الى الاحباب منى وفيهم * غريم اذا رمت الديون لوانى

(٤) ومن هذا الباب قول الآخر :

انى واياك كالصادى رأى نهلا * ودونه هوة يخشى بها التلفا
يرى بعينيه ماء عز مورده * وليس يملك دون الماء منصرفا

(٥) عبارة اليتيمة : (انى مخبرك عن رجل كان أعظم الناس فى عينى)

وجد ، وكان خارجاً من سلطان فرجه ، فلا يدعو اليه مؤنة ، ولا يستخف له رأياً ولا بدنا ، وكان لا يتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة ، وكان خارجا من سلطان لسانه ، فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يمارى فيما علم ، وكان خارجا من سلطان الجهالة ، فلا يتقدم [١] أبدا إلا على ثقة بنفسه ، وكان أكثر دهره صامتا ، فاذا قال بزَّ القائلين [٢] وكان ضعيفا مستضعفا ، فاذا جدّ الجدّ [٣] فهو الليث عاديا [٤] وكان لا يدخل فى دعوى ، ولا يشارك فى مِراء [٥] ، ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضيا فهما [٦] وشهوداً عدُولا . وكان لا يلوم أحداً فيما يكون العذر فى مثله حتى يعلم ماعذره ، وكان لا يشكو وجعه إلا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يستشير صاحبا إلا أن يرجو منه النصيحة ، وكان لا يتبرم [٧] ، ولا يتسخَّط . ولا يتشكى ولا يتشهّى ، ولا ينتقم من العدوّ ، ولا يغفل عن الولى ، ولا يخص نفسه بشىء دون اخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته . فعليك بهذه الأخلاق أن اطقتها ولن تطيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع .

ابراهيم بن أدهم [٨]

وعلى ذكر قوله (وإن قال بز القائلين) قال ابن كناسة واسمه محمد بن عبدالله ويكنى أبا يحيى فى ابراهيم ابن أدهم الزاهد

(١) عبارة اليتيمة (فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة)

(٢) بذ غلب ، بالذال والزاى ، ومنه : من عزبز (٣) فى الأصل (فاذا وجد الجد) وهو تحريف. وعبارة اليتيمة (فاذا جاء الجد) (٤) عاديا منصوب على الحال

(٥) المراء : الجدال (٦) رواية اليتيمة (قاضيا عدلا) (٧) يتبرم : يتضجر

(٨) ابراهيم بن أدهم شخصية قوية ترى أثرها فى كتب الدين والاخلاق . كان يعيش من عرق جبينه ويشترك مع الغزاة فى قتال الروم . تعفف عن ميراث أبيه واكتفى بحياة التقشف والخشونة . وكان معروفا بالفصاحة والحرص على صواب القول ، فكان اذا حضر مجلس سفيان الثورى وهو يعظ أوجز سفيان في كلامه مخافة أن يزل . وكانت وفاته نحو سنة ١٦١

رأيتك لاترضى بما دونه الرضى * وقدكان يرضى دون ذاك ابن أدهما
وكان يرى الدنيا صغيراً عظيمها * وكان لأمر الله فيها معظّما
وأكثر ما تلقاه فى الناس صامتا * وان قال بزّ القائلين فأفحما
يُشيع الغنى فى الناس إن مسّه الغنى * وتلقى به البأساء عيسى بن مريما
أهان الهوى حتى تجنّبه الهوى * كما اجتنب الجانى الدم الطالبَ الدما

وصف التقى والزهد

ألفاظ لأهل العصر فى ذكر التقى والزهد

— فلان عذب المَشْرب، عفّ المطلب ، نقي الساحة من المآثم ، بريء الذمة من الجرائم . اذا رضى لم يقل غير الصدق ، وإذا سخط لم يتجاوز جانب الحق ، يرجع الى نفس أمّارة بالخير ، بعيدة من الشر ، مدلولة على سبيل البر

— أعرض عن زبرج الدنيا وخِدَعها ، وأقبل على اكتساب نعم الآخرة ومُتَعها

— كَفَّ كفّه عن زخرف الدنيا ونضرتها ، وغض طرفه عن متاعها وزهرتها وأعرض عنها وقد تعرضت له بزينتها ، وصدّ عنها وقد تصدّت له فى حليتها

— فلان ليس ممن يقف فى ظل الطمع ، فيسف الى حضيض الطبع [1] ، نقى الصحيفة ، علا عن الفضيحة ، عف الإزار ، طاهر من الأوزار ، قد عاد لاصلاح المعاد ، وإعداد الزاد

ابن المقفع

وكان ابن المقفع من أشراف فارس ، ومن حكماء زمانه ، وله مصنفات كثيرة ورسائل مختارة ، وكان مُحْجماً عن قول الشعر ، وقيل له لم لا تقول الشعر

(١) الطبع : بفتح الباء الخسة. وفى الاصل (التصنع) وهو تحريف

فقال : الذى أرضاه لا يجيئنى والذى يجىء لا أرضاه [1]

أخذ هذا بعضهم فقال

أبى الشعر إلا أن يفىء رديُّه * الىّ ويأبى منه ما كان مُحْكما

فياليتنى إذ لم أُجد حَوْكَ وشيه * ولم أكُ من فرسانه كنت مفْحَما [2]

وكان ظريفا فى دينه [3] وذكر أنه مر ببيت النار فقال

يا بيت عاتكة الذى أتعزّلُ * حذر العِدا و به الفؤاد موكّلُ [4]

أصبحت أمنحك الصدود واننى * قسما اليك مع الصدود لأمْيَلُ [5]

البيتان للاحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح الانصارى أخى بنى عمرو بن عوف

عاصم بن ثابت

وعاصم بن ثابت حمى الدّبر [6] قتله بنو لحيان من هذيل يوم الرجيع فأرادوا أن يبعثوا برأسه الى مكة ، وكانت سلافة بنت سعد نذرت لتشربن فى رأسه الخمر وكان قتل بعض ولدها من طلحة بن أبى طلحة أحد بنى عبد الدار يوم أحد ، فلما أرادوا أخذ رأسه حمته الدبر وهى النحل فلم يجدوا اليه سبيلا وجعلوا يقولون إن الدبر لو قد أمسى صبرنا الى جشو استه فلما أمسوا بعث الله أتيا [7] فواراه منهم وعاتكة التى ذكرها هى عاتكة بنت يزيد بن معاوية .

(١) ومع هذا فقد تيسرت له الاجادة ، حتى اختار له مؤلف الحماسة الأبيات الآتية :

رزئنا أبا عمرو ولاحى مثله فلله ريب الحادثات بمن وقع

فان تك قد فارقتنا وتركتنا ذوى خلة مافى انسداد لها طمع

فقد جر نفعا فقدنا لك أننا امنا على كل الرزايا من الجزع

(٢) مفحم : مغلوب (٣) يريد انه كان متهما ، لأنه كان قبل اسلامه مجوسيا يعبد النار . توفى سنة ١٤٢ (٤) أتعزل : أتجنب . وفى الاصل (اتغزل) وهو تحريف (٥) انظر ما كتب عن هذا الشعر فى كتاب البدائع تحت عنوان (الادب الجديد) (٦) الدبر ، بالفتح ، جماعة النحل والزنابير (٧) الأتى : على وزن غنى هو السيل

فهم المنصور

ولما دخل أبو جعفر المنصور المدينة قال للربيع : ابغنى رجلا عاقلا عالما بالمدينة ليقفنى على دورها ، فقد بعد عهدى بديار قومى ، فالتمس له الربيع فتى من أعقل الناس وأعلمهم ، فكان لايبتدئ باخبار حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة وأجود بيان ، وأوفى معنى . فأعجب المنصور به وأمر له بمال فتأخر عنه ، ودعته الضرورة الى استنجازه ، فاجتاز ببيت عاتكة فقال : يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الاحوص :

— يا بيت عاتكة الذى أتعزل .

البيت ، ففكر المنصور فى قوله وقال: لم يخالف عادته بابتداء الاخبار ، دون الاستخبار ، إلا لأمر . وأقبل يردد القصيدة وينصفها بيتا بيتا حتى انتهى الى قوله فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مَذِق اللسان يقول مالايفعل(١)

فقال : يا ربيع ، هل أوصلت الى الرجل ما أمرنا له به ؟ فقال أخرته عنه لعلة، ذكرها الربيع ، فقال: عجله له مضاعفا . وهذا ألطف تعريض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور

بلية الحسد

ومن كلام ابن المقفع

— الحاسد لايزال زاريا على نعمة الله ، ولا يجد لها مزالا ، ومكدراً على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعماً ، ولا يزال ساخطا على من لايترضاه ، ومسخطاً لما ينال ، فهو كظوم هلوع جزوع ، ظالم أشبه شيء بمظلوم ، محروم الطِلبة ، منغّص

(١) مذق اللسان : يمزج الجد بالهزل

العيشة ، دائم التسخط ، لابما قُسم له يقنع ، ولا على مالم يقسم له يغلب . والمحسود يتقلب فى فضل نعم الله مباشراً للسرور ممهلا فيه الى مدة لايقدر الناس لها على قطع ولا انتقاص . ولو صبر الحاسد على مابه لـكان خيراً له لأنه كلما أراد أن يطفئ نور الله أعلاه ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الـكافرون

ألسنة الحساد

قال الطائى :

لولا التخوُّف للعواقب لم تزل * للحاسد النُّعمى على المحسود
واذا أراد الله نشر فضيلة * طُويَت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يُعرَف طيب عَرف العود

أخذه البحترى فقال :

ولن تستبين الدهرَ موضع نعمةٍ * اذا أنت لم تُدلَلْ عليها بحاسدِ

ولقد أحسن القائل :

إن يحسدونى فانى غير لائمهمْ * قبلى من الناس أهل الفضل قد حُسِدوا
فدام لى ولهم مابى وما بهمُ * ومات أكثرنا غيظاً بما يجد
أنا الذى يجدونى فى صدورهمُ * لاأرتقى صَدَراً عنها ولا أرِدُ (١)

وقال ابن الرومى لصاعد بن مخلد :

وضدٍّ لـكم لا زال يسفُل جَدُّهُ * ولا برحتْ أنفاسه تتصعدَّ (٢)
يرى زِبْرِج الدنيا يزَف اليكمُ * ويُغضى عن استحقاقكم فهو يُفأدُ (٣)
ولو قاس باستحقاقكم ما مُنِحتمُ * لأطفأ ناراً فى الحشا تتوقد

(١) لاأرتقى صدراً ولا أرد : أى لا أصعد ولا أهبط فأنا كالشجى الدائم الذى لاسلامة لأعدائى منه . وهذه الابيات غاية فى جمال البيان (٢) الجد : بالفتح ، الحظ
(٣) يفأد : يحرق فؤاده

وآنَقُ من عِقد العقيلةِ جيدُها * وأحسن من سِربالها المتجرِّدُ[1]

وقال معن بن زائدة :

إني حُسِدت فزاد الله في حسدى * لا عاش من عاش يوماغير محسود

ما يحسد المرء إلا من فضائلهِ * بالعلم والظرف أو بالبأس والجود

وصف الحسد

ألفاظ لأهل العصر فى ذكر الحسد

— قد دبت عقارب الحسد ، وكمنت أفاعيهم بكل مرصد

— فلان معجون من طينة الحسد والمنافسة ، مضروب فى قالب الضيق والمناقشة قد وكل بى لحظا ينتضل بأسهم الحسد

— فلان جسد كله حسد ، وعقد كله حقد

— الحاسد يعمى عن محاسن الصبح ، بعين تدرك حقائق القبح

التلطف فى الطلب

كتب محمد بن حماد يُعرِّض فى حاجة له ببيتى شعر الى الواثق يقول :

جذبت دواعى النفس عن طلب المنى * وقلت لها كُفى عن الطلب المزْرى

فان أمير المؤمنين بكفهِ * مدار رحىً بالرزق دائبة تجرى

فوقّع تحتهما (جذبك نفسك عن امتهانها بالمسألة دعانى الى صونك بسعة فضلى عليك فخذ ما طلبت هنيئاً)

قال على بن عبيدة أتيت الحسن بن سهل نهم الصلح فأقمت ببابه ثلاثة أشهر لا أحظى منه بطائل فكتبت اليه :

---

(١) يقول : ان جيد العقيلة أجمل من العقد الذى يظن انه يزينه ، والمتجرد ، أى الجسم العريان ، أجمل من السربال وهو القميص

مدحت ابن سهل ذا الايادى وماله * بذاك يدٌ عندى ولا قدَمٌ بعدُ
وما ذنبه والناس إلا أقلّهم * عيال له إن كان لم يك لى جدُّ
سأحمده للناس حتى اذا بدا * له فىّ رأى عاد لى ذلك الحمد

فكتب إلىّ : باب السلطان يحتاج الى ثلاث خلالَ : عقل وصبر ومال ، فقلت للواسطة تؤدى عنى ؟ قال نعم ، قلت تقول له : لو كان لى مال لأغنانى عن الطلب اليك ، أو صبر لصبرت عن الذل ببابك ، أو عقل لاستدللت به على النزاهة عن رفدك ! فأمر لى بثلاثين ألف درهم

نجوى محب

وقال على بن عبيدة الريحانى يوما وقد رأى جارية يهواها :

لولا البُقيا على الضمائر ، لبحنا بما تجنه السرائر ، لكن نيران الحب تُتَدارك بالإخفاء ، ولا تُعاجل بالابداء ، فان دوامها مع اغلاق أبواب الكتمان ، وزوالها فى فتح مصارع الاعلان .

وقد قال محمد بن يزيد الأموى :

لا وحبيك لا أصا * فح بالدمع مدمعا
من بكى حبه استرا * ح وان كان موجعا

ومن كلام على بن عبيدة : اجعل أنسك آخر ما تبذل من ودك ، ومن الاسترسال منك ، حتى تجد له مستحقا ، فان الانس لباس العرض ، وتحفة الثقة ، وحباء الأكفاء ، وشعار الخاصة ، فلا تُخلق جدّته الا لمن يعرف قدر ما بذلت له منك *

وقال : لولا حركات من الابتهاج أجد حسّها عند رؤيتك فى نفسى لا أعرف لها مثيراً من مظانها الا مؤانستك لى ، لأبقيت عليك من العناء ، وخففت عنك مؤنة اللقاء ، لكنى أجد من الزيادة بك عندى أكثر من قدر راحتك فى تأخرك عنى ، فأضيق عن احتمال الخسران بالوحدة منك

وقال : لوجلى من طلوع الملالة بكرٌ اللقاء أستخف التجافى مع شدة الشوق لتبقى جدة الحال عند من أحب دوامه لى . ورد طرف الشوق باطنا أيسر من معاناة الجفاء مع الود ظاهراً

وقال بعض المحدَّثين:

كم استراح إلى صبر فلم يُرِح * صبٌّ اليكم من الاشواق فى بُرِحِ
تركتمُ قلبه من حزن فرقتكم * لو يرزق الوصل لم يقدر على الفرحِ

وقال أعرابى :

ألا قل لدار بين أكثبة الحمىٰ * وذاتِ الغضى جادت عليك الهواضب (١)
أجدك لا آتيك الا تتابعت * دموع أضاعت ما حفظت سواكب
ديارٌ تنسّمتُ المنى نحو أرضها * وطاوعنى فيها الهوى والحبائبُ
ليالىَ لا الهجران محتكم بها * على وصل من أهوى ولا الظن كاذب

بين ابراهيم بن المهدي

واحمد بن أبى دواد

تنازع ابراهيم بن المهدى وابن بختيشوع الطبيب بين يدى أحمد بن أبى دواد فى مجلس الحكم فى عقار بناحية السواد فأربى عليه ابراهيم وأغلظ له فأحفظ ذلك ابن أبى دواد فقال : ياابراهيم اذا نازعت فى مجلس الحكم بحضرتنا امرأً فلا أعلمن انك رفعت عليه صوتا ، ولا أشرت بيد ، وليكن قصدك أمماً (٢) وريحك ساكنة وكلامك معتدلا ، مع وفاء مجالس الخليفة حقوقها من التعظيم والتوقير ، والاستكانة والتوجه الى الواجب ، فان ذلك أشكل بك ، واشمل لمذهبك فى محتدك ، وعظيم خطرك ، ولاتعجلن فربَّ عجلة تهب رَيْثا ، والله يعصمك من خطل القول والعمل، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ، ان ربك حكيم عليم

(١) الهواضب : السحب المواطر (٢) أمم : قريب

فقال ابراهيم : أصلحك الله تعالى أمرت بسداد ، وحضضت على رشاد ، ولست عائداً لما يثلم مروءتى عندك ، ويسقطنى من عينك ، ويخرجنى من مقدار الواجب الى الاعتذار ، فها أنا معتذر اليك من هذه البادرة ، اعتذار مقر بذنبه ، معترف بجرمه ، ولا يزال الغضب يستفزنى بمواده ، فيردنى مثلك بحلمه، وتلك عادة الله عندك وعندنا منك، وقد جعلت حقى من هذا العقار لابن بختيشوع ، فليت ذلك يكون وافياً بأرش الجناية عليه[1] ولم يتلف مال أفاد موعظة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل [2]

أردشير بن بابك

لما استوثق أمر أردشير بن بابك وجمع ملوك الطوائف وتم له ملكه ، جمع الناس فخطبهم خطبة حض فيها على الألفة والطاعة ، وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة، وصفّ الناس أربعة صفوف فخروا له سُجَّدا وتكلم متكلمهم فقال :

لازلت أيها الملك محبوّاً من الله تعالى بعز النصر ، ودرك الأمل ، ودوام العافية ، وتمام النعمة ، ولا زلت تَتابع لديك المكرمات ، وتشفع اليك الذمامات ، حتى تبلغ الغاية التى يؤمن زوالها ، وتصل الى دار القرار التى أعدها الله تعالى لنظرائك من أهل الزلفى عنده ، والمكانة منه ، ولازال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة النجوم والأنهار ، حتى تستوى أقطار الارض كلها فى علوّ قدرك عليها ، ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ماعمنا عموم ضياء الصبح ، ووصل الينا من عظيم رأفتك ما اتصل بانفسنا اتصال النسيم ، فأصبحت قد جمع الله بك الايدى بعد افتراقها ، وألف القلوب بعد توقد نيرانها ، ففضلك لا يدرك بوصف ، ولا يحدُّ بنعت

(١) الأرش: الدابة (٢) هذا الحديث يمثل جانبا من الحظ الذى ظفر به أحمد بن أبى دواد فى عصره - وقد صحب هذا الرجل المأمون والمعتصم والواثق وعمل معهم جميعا . توفى سنة ٢٤٠

فقال أردشير : طوبى للممدوح اذا كان للمدح مستحقا ، وللداعى اذا كان للاجابة أهلا

وقيل لاردشير : أيها الملك الرفيع الذى حلب العصور ، وجرّب الدهور ، أى الكنوز أعظم قدراً ؟ قال العلم الذى خف محمله ، فثقلت مفارقته ، وكثرت مرافقته ، وخفى مكانه ، فأمن من السرقة عليه ، فهو فى الملأ جمال ، وفى الوحدة أنيس ، يرأس به الخسيس ، ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك * قيل له فالمال ؟ قال : ليس كذلك : محمله ثقيل ، والهم به طويل ، ان كنت فى ملأ شغلك الفكر فيه ، وان كنت فى خلوة أتعبتك حراسته

أخلاق الملوك

قال الجاحظ : حدثنى الفضل بن سهل قال:

كانت رسل الملوك إذا جاءت بالهدايا يجعل اختلافهم الىّ ، فتكون المؤامرات فيما معهم من ديوانى ، فكنت أسأل رجلا رجلا منهم عن سيَر ملوكهم ، وأخبار عظمائهم فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم ، فقال : بذل عُرفه ، وجرّد سيفه ، فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة ، لا ينْظِر جنده ، ولا يُحرج رعيته ، سهل النوال ، حزن النكال ، الرجاء والخوف معقودان فى يده

قلت فكيف حكمه ؟ فقال : يرد المظالم ، ويردع الظالم ، ويعطى كل ذى حق حقه ، فالرعية اثنان : راض ومغتبط

قلت : فكيف هيبتهم له ؟ قال يُتصور فى القلوب ، فتغضى له العيون

قال : فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصغائى إليه ، واقبالى عليه ، فسأل الترجمان ماالذى يقوله الرومى ، قال يذكر ملكهم ، ويصف سيرته ، فتكلم مع الترجمان بشىء فقال لى الترجمان :

إنه يقول : إن ملكهم ذو أناة عند القدرة ، وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة

عند المغالبة ، وذو عقوبة عند الاجترام ، قد كسا رعيته جميل نعمته ، وخوّفهم عسف نقمته ، فهم يتراءونه رأى الهلال خيالا ، ويخافونه مخافة الموت نكالا . وسعهم عدله ، وردعتهم سطوته ، فلا تمتهنه مَزْحة ، ولا تؤمّنه غفلة . إذا أعطى أوسع . وإذا عاقب أوجع . فالناس اثنان : راج وخائف . فلا الراجى خائب الأمل . ولا الخائف بعيد الأجل .

قلت فكيف هيبتهم له ؟ قال لا ترفع اليه العيون أجفانها ، ولا تُتبعه الابصار انسانها . كأن رعيته قطاً رفرفت عليها صقور صوائد .

فحدثت المأمون بهذين الحديثين فقال : كم قيمتهما عندك . قلت ألفا درهم ، قال يافضل ان قيمتهما عندى أكثر من الخلافة . أما عرفت قول على ابن أبى طالب كرم الله وجهه (قيمة كل امرىء ما يحسن) أفتعرف أحداً من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف أحداً من خلفاء الله الراشدين المهديين بهذه الصفة ؟ قلت لا ، قال : فقد أمرت لهما بعشرين ألف دينار ، واجعل العذر مادة بينى وبينهما فى الجائزة ، فلولا حقوق الاسلام وأهله لرأيت اعطاءهما ما فى بيت مال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه

أخت ملك الخزر

وقال الجاحظ حدثنى حميد بن عطاء قال : كنت عند الفضل بن سهل وعنده رسول ملك الخزَر ، وهو يحدثنا عن أخت لملكهم ، قال :

أصابتنا سنة احتدم شُوَاظُها علينا بحر المصائب ، وصنوف الآفات ، ففزع الناس إلى الملك ، فلم يدر ما يجيبهم به ، فقالت أخته : أيها الملك إن خوف الله خُلُق لا يخلق جديده ، وسبب لا يمتهن عزيزه ، وهو دال الملك على استصلاح رعيته ، وزاجره عن استفسادها ، وقد فزعت اليك رعيتك بفضل العجز عن الالتجاء إلى من لا تزيده الاساءة إلى خلقه عزا ، ولا ينقصه العود بالاحسان إليها

ملكا ، وما أحد أحق بحفظ الوصية من الموصى ، ولا بركوب الدلالة من الدال ، ولا بحسن الرعاية من الراعى . ولم تزل فى نعمة لم تغيرها نقمة ، وفى رضى لم يكدره سخط ، إلى أن جرى القدر ، بما عمِيَ عنه البصر ، وذهل عنه الحذر ، فسلب الموهوب ، والواهب هو السالب ، فعد إليه بشكر النعم ، وعُذبه من فظيع النقم ، فتى تنسه ينسك ، ولا تجعلن الحياء من التذلل للمعز المذل سترا بينك و بين رعيتك ، فتستحق مذموم العاقبة ، ولكن مُرهم ونفسك بصرف القلوب ، الى الاقرار له بكنه القدرة ، و بتذلل الألسن فى الدعاء بمحض الشكر له ، فان المالك ربما عاقب عبده ليرجعه عن سيء فعل الى صالح عمل ، أو ليبعثه على دائب شكر ليحرز به فضل أجر . فأمرها الملك أن تقوم فيهم فتنذرهم بهذا الكلام ففعلت ، فرجع القوم وقد علم الله منهم قبول الوعظ فى الأمر والنهى ، فحال عليهم الحول وما منهم مفتقد نعمة كان سلبها ، وتواترت عليها الزيادات بجميل الصنع ، فاعترف لها الملك بالفضل فقلدها الملك ، فاجتمعت الرعية لها على الطاعة فى المكروه والمحبوب ، قال : وهذا وهُمْ أعداء الله تعالى وضرائر نعمته ، ومستوجبو نقمته ، أعاد لهم بالشكر ما أرادوا ، وأعطاهم بالاقرار له بكنه قدرته ما تمنوا ، فكيف بمن يجمعه على الشكر نوران اثنان : قرآن منزل ، ونبي مرسل ، لوصدقت النيات ، واجتمعت على الافتقار إليه الطلبات ، لكنهم أنكروا ما عرفوا ، وجهلوا ما علموا ، فانقلب جدهم هزلا ، وسكوتهم خَبْلا

أقوال الملوك والحكماء

قطعة صادرة من أقوال الملوك دالة على فضل كرمهم و بعد هممهم

غضب كسرى أنوشروان على بعض مرازبته فقال :

يحط عن مرتبته ، ولا ينقص من صلته ، فان الملوك تؤدب بالهجران ، ولا تعاقب بالحرمان

— واصطنع أنو شروان رجلا فقيل له : انه لا قديم له ، قال : اصطناعنا اياه شرفه .

— قال معاوية رضى الله عنه : نحن الزمان : من رفعناه ارتفع ، ومن وضعناه اتضع

— وكان يقول : انى لآنف من أن يكون فى الأرض جَهلٌ لا يسعه حِلمى ، وذنب لا يسعه عفوى ، وحاجة لايسعها جودى

— وقال عبد الملك بن مروان : أفضل الناس من تواضع عن رِفعة ، وعفا عن قدرة ، وأنصف عن قوة

— زياد : استشفعوا لمن وراءكم . فليس كل أحد يصل الى السلطان ، ولا كل من وصل اليه يقدر على كلامه

— المهلب : عجبت لمن يشترى المماليك بماله ، كيف لايشترى الأحرار بمعروفه (وقد روى هذا لابن المبارك) وقال لبنيه : يا بنى أحسن ثيابكم ما كان على غيركم

— قال أبو تمام الطائى يستهدى فَرواً وعرَّض بقول المهلب

فهل أنت مُهديه بمثل شكيرةٍ * من الشكر يعلو مُصْعِداً ويصوِّبُ[1]

فأنت العليمُ الطَّب أى وصيةٍ * بها كان أوصى فى الثياب المهلَّبُ[2]

— يزيد بن المهلب : استكثروا من الحمد فان اللوم قلّ من ينجو منه

— السفاح : ما أقبح بنا أن تكون الدنيا لنا وأولياؤنا خالون من أثرها

— المأمون : إنما تطلب الدنيا لتُملك ، فاذا مُلكت فلتوهب

— وقال : إنما يتكثر بالذهب والفضة من يَقِلاَّن عندة

— الحسن بن سهل : الأطراف منازل الاشراف ، يتناولون ما يريدون بالقدرة ، وينتابهم من يريدهم بالحاجة

---

(١) شكيرة : شعرة ، يريد ان هديتك لاتساوى شعرة من شكره ، ويعلو ويصوب يرتفع وينخفض (٢) الطب بالفتح الماهر الحازق بعمله ، وهو أيضا الفحل الحاذق بالضراب

وتعرّض له رجل فقال له من أنت ؟ قال أنا الذى أحسنت إلىّ يوم كذا وكذا ، فقال مرحباً بمن توسل إلينا بنا

ولما أراد المعتصم أن يشرّف أشتاس التركى بعقب فتح الخزمية أمر أصحاب المراتب بالترجُّل إليه ، فنظر الحسن بن سهل إلى حاجبه يمشى ويتعثر فى مشيه فبكى ، فقال ما يبكيك ؟ إن الملوك شرّفتنا وشرّفت بنا

ومن كلام أهل العصر :

— للأمير شمس المعالى قابوس بن وشمكير : من أقعدته نكاية الأيام ، أقامته إغاثة الكرام ، ومن ألبسه الليل ثوب ظلمائه ، نزعه النهار عنه بضيائه

— وله : ابتناء المناقب ، باحتمال المتاعب ، وإحراز الذكر الجميل ، بالسعى فى الخطب الجليل

— الصاحب بن عباد :

وقائلةٍ لِمْ عرتك الهموم * وأمرك ممتثَلٌ فى الأمم

فقلت ذرينى لما أشتكى * فان الهموم بقدر الهمم

أبو الطيب المتنبى :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن * يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

— أبو الفتح البستى :

صاحب السلطان لا بدّ له * من هُمُومٍ تعتريه وغُمَم

والذى يركب بحْراً سيرى * قُحَمَ الأهوال من بعد قُحَم[(١)]

— أردشير : إذا رغبت الملوك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة

— افريدون : الأيام صحائف آجالكم ، فخلدوها أحسن أعمالكم

— وقيل للاسكندر : ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لابيك ؟

(١) قحم : جمع قحمة وهى الشدة

قال : لأن أبى سبب حياتى الفانية ، ومؤدبى سبب حياتى الباقية

— ودخل محمد بن زياد مؤدب الواثق على الواثق فأظهر إكرامه ، وأكثر إعظامه فقيل له : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا أول من فتق لسانى بذكر الله ، وأدنانى من رحمة الله

— وأشير على الاسكندر بتبييت الفُرس[1] فقال : لا أجعل غلبتى سرقة

— وقيل له : لو تزوجت بنت دارا ! فقال لاتغلبنى امرأة غلبتُ أباها

— أنو شروان : الملك إذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته ، كان كمن يعمِّر سطح بيته بما يقتلعه من قواعد بنيانه

— أبرويز : أطع من دونك

— السفاح : إن من أدنى الناس ووضعائهم من عدّ البخل حزماً ، والعفوَ ذلا

— وكان يقول : إذا كان الحلم مفسَدة كان العفو مَعْجزة ، والصبر حسن إلا على ما أوقع بالدين ، وأوْهى السلطان ، والأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة .

وقد قال ابن المعتز :

كم فرصة ذهبت فعادت غصة * تُشجى بطول تلهف وتندُّم[2]

الرأى والعزيمة

— ولما عزم المنصور على الفتك بأبى مسلم فزع من ذلك عيسى بن موسى فكتب إليه :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا تدبُّرٍ * فانَّ فساد الرأى أن تتعجلا

فأجابه المنصور :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن تترددا

---

(١) التبييت : الهجوم بغتة بالليل (٢) الغصة : ماعترض فى الحلق ، وتشجى : تحدث الشجا وهو الغصة . وغصصت ، بالكسر والفتح ، تغَص ، بالفتح ، غصصا ، فأنت غاص وغصان .

ولا تمهل الأعداء يوماً بغُدوة * وبادرهم أن يملكوا مثلها غـدا

— وهذا فى موضعه كقول الأمام على كرم الله وجهه (من فـكر فى العواقب لم يشجع)

همة سعد بن ناشب

وقال سعد بن ناشب فأفرط [1]

عليكم بدارى فاهدموها فانها [2] * تراث كريم لايخاف العواقبا [3]

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمَهُ * ونكّبَ عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر فى رأيه غير نفسهِ * ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

سأغسل عنى العار بالسيف جالباً * علىّ قضاء الله ما كان جالباً

ويصغر فى عينى تلادى إذا انثنت * يمينى بادراك الذى كنت طالبا

وكان سعد من مرَدَة العرب، وشياطين الانس، وفيه يقول الشاعر:

وكيف يُفيق الدهر سعدُ بن ناشب * وشيطانه عند الأهلةِ يصرَعُ

كلام الملوك

— كتب مروان بنُ محمدٍ الى عبد الله بن علىٍّ يسأله حِفظَ حرمه فقال له: الحق لنا فى دمك، وعلينا فى حرمك

---

(١) وأول هذه القطعة:

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا   على قضاء الله ما كان جالبا

وأذهل عن دارى واجعل هدمها   لعرضى من باقى المذمة حاجبا

(٢) رواية الحماسة: (فان تهدموا بالغدر دارى)

(٣) وبعد هذا البيت روى صاحب الحماسة:

أخى غمرات لايريد على الذى   يهم به من مفظع الامر صاحبا

إذا هم لم تردع عزيمة همه   ولم يأت ما يأتى من الامر هائبا

فيالرزام رشحوا بى مقدما   إلى الموت خواضاً إليه الكتائبا

— وقال الرشيد لاسماعيل بن صبيح : اياك والدالَّة[1] فانها تفسد الحرمة ، ومنها أُتى البرامكة

— وقال المأمون : الملوك تحتمل كل شىء الا ثلاثا : إفشاء السر ، والقدح فى الملك والتعرض للحرَم

— المعتصم : اذا نُصر الهوى بطل الرأى

— المنتصر : لذة العفو أطيب من لذة التشفِّى . وذلك أن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ، ولذة التشفى يلحقها ذم الندم

— والمنتصر يقول عن تجربة لأنه قتل أباه المتوكل . والأمر فى ذلك أشهر من أن يذكر ولكنى أُلمِّعُ منه باليسير

مقتل المتوكل

كان المتوكل قد عقد لولده المنتصر والمعتز والمؤيَّد ولاية العهد ، ثم تغير على المنتصر دون أخويه ، وكان يسميه المنتظِر ، ويقول له أنت تتمنى موتى ، وتنتظر وقتى ! ويأمر الندماء أن يعبثوا به الى أن أوغر صدره ، وأقل صبره ، فلما كانت ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين كان المتوكل يشرب مع الفتح فى قصره المعروف بالجعفرى ومعه جماعة من الندماء والمغنين ، وكان المنتصر معهم ، فلما انصرف ثلاث ساعات من الليل قال لزرافة التركى : ألا تسعى ساعة حتى أشكو اليك ما يمر بى ؟ قال بلى ! وجعل يماطله ويطاوله ، وغلّق بُغا الشرابى الابواب كلها الا باب الماء ومنه دخل الذين قتلوه ، فأول من ضربه باغر التركى ضربة قطع بها حبل عاتقه ، وتلقاه الفتح بنفسه فأكب عليه ، فقتلا جميعا ، وبويع المنتصر من ساعته ، وكانت مدة المنتصر فى الخلافة مدة شيرويه ابن كسرى ، حين قتل أباه ، ستة أشهر

---

(١) الدالة : ما تدل به على صديقك من خير قدمته . وفى الاصل (الذلة) وهو تحريف

وقال ابراهيم بن أحمد الأسدى يرثى المتوكل

هكذا فلتكن منايا الكرام * بين ناىٍ ومِزهر ومُدامِ
بين كأسين أروتاه جميعاً * كأس لذاته وكأس الحِمام
يقِظٌ فى السرور حتى أتاهُ * قَدَر الله حتفه فى المنام
والمنايا مراتب يتفاضلـن وبالمرهفات موت الكرام
لم يزُر نفسه رسولُ المنايا * بصنوف الاوجاع والاسقام
هابه مُعْلناً فدبّ اليه * فى ستور الدجى بحد الحسام

أخذ هذا المعنى عبد الكريم بن ابراهيم التيمى فقال يرثى عيسى بن خلف صاحبُ خراج المغرب ، وكان قد تناول دواء فمات بسببه

منايا سدَدْتَ الطُّرق عنها ولم تدع * لها من ثنايا شاهق مُتَطلَّعا
فلما رأت سُور المهابة دونها * عليك ولما لم تجد فيك مطمعا
ترقّت بأسباب لِطافٍ ولم تكد * تواجه موفور الجلالة أرْوَعا
فجاءتك فى سر الدواء خَفِيّةً * على حينَ لم تحذر لداء توقعا
فلم أر مالاً يُتقى مثل سَهْمها * ولا مثلها لم تخش كيداً فترجعا

وفاء البحترى

وقد رثاه البحترى ويزيد المهلبى بمرثيتين من أجود ما قيل فى معناها ، وكانا حاضرين ليلة قَتْلِه فاختفى أحدهما فى طىّ الباب ، والآخر فى قناة الشاذروان ، فمن قصيدة البحترى

تغيّر حُسْن الجعفرى وأُنْسُهُ * وقُوِّض بادى الجعفرىّ وحاضِرُهْ
تحمل عنه ساكنوهُ فُجاءةً * فآضت سواءً دورُه ومقابِرُه (١)
ولم أر مثل القصر إذ رِيع سِرْبُهُ * وإذ ذُعرت أطلاؤه وجآذِرُه (٢)

(١) آضت : صارت (٢) الاطلاء : جمع طلا وهو ولد الظبية ، والجآذر جمع جؤذر

وإذ صِيح فيه بالرّحيل فهتكت * على عَجَلٍ أستارُهُ وستائِرهْ
إذا نحن زرناه أجدَّ لنا الأسى * وقد كان قبل اليوم يَبْهَجُ زائره
فأين عميد الناس فى كل نوبةٍ * تنوبُ وناهى الدهر فيهم وآمِرُه (١)
تخفَّى له مُغتالُهُ تحت غِرةٍ * وأولى لمن يغتاله لو يجاهره
صريعٌ تقاضاه السيوف حُشاشةً * يجود بها والموت حمرٌ أظافره
حرام علىَّ الراح بعدك أو أرى * دماً بدم يجرى على الأرض مائره
وهل يُرتجَى أن يطلب الدم طالبٌ * مدى الدهر والموتور بالدم واتره (٢)
فلا مُلِّىَ الباقى تراثَ الذى مضى * ولا حملت ذاك الدعاءَ منابره

وهى طويلة (٣) وكان أبو العباس ثعلب يقول فيها : ما قيلت هاشمية أحسن منها ، وقد صرّح فيها تصريح من أذهلته المصائب ، عن تخوّف العواقب ، وقد كان البحترى يرتاح فى كثير من شعره الى ذكره وذكر الفتح بن خاقان ، فمن ذلك قوله لبعض من يمدحه :

تداركَنى الاحسان منك ونالنى * على فاقةٍ ذاك الندَّى والتطوُّلُ
ودافعتَ عنى حين لا الفتح يُرتجى * لدفع الأذى عنى ولا المتوكلُ

وقال :

مضى جعفرٌ والفتح بين مُوسَّدٍ * وبين قتيل فى الدماء مضرَّجِ
أأطلب أنصاراً على الدهر بعد ما * ثوى منهما فى الترب أوسِى وخزرجى (٤)

وهو ولد البقرة (١) قبل هذا البيت :

فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت بهيبتها أبوابه ومقاصره

وأين عميد الناس الخ (٢) الموتور هو الواتر لأن الذى قتل المتوكل هو ابنه .

(٣) ومن جيدها قوله :

أدافع عنه باليدين ولم يكن ليثنى الاعادى أعزل الليل حاسره
ولو كان سيفى ساعة القتل فى يدى درى الفاتك العجلان كيف أساوره
أكان ولى العهد أضمر غدرة فمن عجب أن ولى العهد غادره

(٤) مات أوسه وخزرجه : مثل فى فقد النصير لان الاوس والخزرج يضرب بهما

وقال فى غلام له :

عسى آيسٌ من رَجْعة الوصل يُوصلُ * ودهرٌ تولّى بالأحبّة يُقبلُ

أيا سكناً فات الفراق بنفسه * وحال التعادى دونه والتزيُّلُ

أتعجبُ لمّا لم يَغُلْ جسمىَ الضنا * ولم يخترم نفسى الحِمام المعجّلُ

فقبلك بانَ الفتح منى مودّعاً * وفارقنى شَفْعاً له المتوكل

فما بلغ الدّمع الذى كنت أرتجي * ولا فعل الوجدُ الذى خِلت يفعلُ

وما كل نيران الجوى تُحرق الحشا * وما كل أدواءِ الصَّبابة تقتل

رثاء المتوكل

وقال أبو خالد بن محمد المهلبي في قصيدة أولها :

لا وجد إلا أراه دون ما أجدُ * ولا كمن فقَدت عيناى مفتقَدُ

يقول فيها

لا يَبْعَدَنْ هالكٌ كانت منيته * كما هوى من عِضاهِ الزُّبية الأسد(١)

جاءت منيتُه والعينُ هادئةٌ * هلاّ أتته المنايا والقنا قُصُد(٢)

فخرّ فوق سرير الملك مُنْجدِلاً * لم يحمه مُلْكه لما انقضى الأمَدُ

لا يرفع الناس صُبحاً بعد ليلهمُ * إذ لا يُهزُّ الى الجانى عليك يَدُ

علتك أسياف من لا دونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد

اذا بكيتُ فان الدمع منهملٌ * وإن رثيتُ فان الشعر مطَّرِدُ

انا فقدناك حتى لا اصطبار لنا * ومات قبلك أقوام فما فقدُوا

قد كنت أسرف فى مالى فتُخلِفُه * فعلمتنى الليالى كيف أقتصد

وقال فيها يذكر الأتراك ويحض على اصطناع العرب

لما اعتقدتم أناساً لا حِفاظ لهم * ضِعتم وضيعتمُ من كان يعتقدُ

(١) العضاه جمع عاضهة وهي الحية تقتل لساعتها ، والزبية تلعة المثل فى النصرة

الاسد (٢) قصد : جمع قصد على وزن كتف أى متكسر

ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم * حمتكم الذادة المنسوبة الحُشُدُ[1]

قومٌ هم الأصل والاسماء تجمعكم * والدين والمجد والأرحام والبلد

إن العبيد اذا أذللتهم صلُحوا * على الهوان وان أكرمتهم فسدوا

أبو حية النميرى[2]

وقال أبو حية النميرى

رمته فتاة[3] من ربيعة عامرٍ * نَؤُوم الضحى فى مأتمٍ أىّ مأتمِ

فقلن لها فى السرّ نفديك لايرح * صحيحاً والاّ تقتليه فألِمى

فألقت قِناعاً دونه الشمس واتقت * بأحسن موصولَيْن كف ومِعصَمِ

وقالت فلما أفرغت فى فؤادهِ * وعينيه منها السحر قالت له نَمِ

فأصبح لايدرى أفى طلعة الضحى * تروّح أم داجٍ من الليل مظلمِ[4]

---

(١) الذادة جمع ذائد وهو المدافع، والحشد بضمتين جمع حشد، على وزن كتف، وهو من لايدع عند نفسه شيئا من الجهد والنصرة والمال (٢) هو الهيثم بن ربيع المتوفى نحو سنة ١٦٠ (٣) رواية الحماسة (رمته أناة) والاناة: المرأة فيها فتور عند القيام. والمأتم: كل مجتمع فى حزن أو فرح، أوهو خاص بالنساء، أو بالشواب من النساء ونؤوم: كثيرة النوم، ونؤوم الضحى كناية عن المرأة المترفة. وبعد هـذا البيت كما فى الحماسة:

بِجاه كخوط البان لا متتابع ولكن بسيما ذى وقار وميسم

والخوط: الغصن الرطيب. والميسم بالكسر، أثر الحسن، ومثله الوسامة

(٤) مؤدى البيتين الاخيرين أنه نام فى حمى تلك الفتاة، ولكن رواية الحماسة تؤدى معنى يخالف هذا إذ تذكر أنه رحل مزوداً بالحسرة، وذلك قوله:

وقالت فلما أفرغت فى فؤاده وعينيه منها السحر قلن له قم

فود بجدع الانف لو أن صحبه تنادوا وقالوا فى المناخ له نم

فراح ومايدرى أفى ساعة الضحى تروح أم داج من الليل مظلم

والظاهر أن صاحب زهر الآداب كان يستملى ذاكرته فتخونه فى بعض الاحيان.

أخذ قوله « فألقت قناعاً دونه الشمس » من قول النابغة الذبيانى

قامت تَراءى بين سَجْفَىْ كِلَّةٍ * كالشمس يوم طلوعها بالأسعُدِ [١]

سقط النَّصيف ولم ترد إسقاطَهُ * فتناولتـه واتقتنا باليـدِ

وقال أبو حية يرثى سلمة بن عياش

كأن أبا حفص فتى البأس لم يَجُبْ * به الليل والبيض القِلاص النجائب

الى الغاية القصوى ولم يهد فتية * كراماً وتخطوه الخطوب النوائب

ويُعْمِلْ عتاقَ العِيس حتى كأنها * اذا وُضعت عنها العلايا المشاجب [٢]

بعيد مثانى الهمِّ يُمسى وماله * سوى الله والعضْبِ السُّرَيجىِّ صاحب [٣]

يروم جسيمات العلى فينالهـا * فتًى فى جسيمات المكارم راغبُ

فان يُمس وَحْشاً بابه فلربمـا * تَواتَرُ أفواجاً اليه المواكب [٤]

يحيّون بسَّاماً كأن جبينهُ * هلال بدا وانجاب عنه السحائب

وماغائبٌ من غاب يرجى إيابهُ * ولكنه من ضُمِّنَ اللحدَ غائب

وزعم الصولى ان أباحية إنما قالها فى محمد بن سليمان بن على بن عبيد الله ابن العباس

وكان أبو حية جيد الطبع ، مألوف الكلام ، رقيق حواشى الشعر ، وسئل الاصمعى عن قيس بن الملوح المجنون ، فقال لم يكن مجنوناً ، وانما كانت به لُوثة كلُوثة أبى حية [٥] وهو القائل

رمتنى وسِتر الله بينى وبينها * عشية أحجار الكناس رَميمُ

---

(١) الكلة : الناموسية

(٢) العيس : الجمال — العلايا : الامتعة ، مفردها عليان ، بالكسر — المشاجب : أعواد من خشب تعلق عليها الثياب ، مفردها مشجب (٣) السريجى نسبة إلى سريج وهو قين كان مضرب المثل فى صنع السيوف (٤) وحش موحش لا أنيس به

(٥) اللوثة بالضم مس الجنون

رميم التى قالت لجارات بيتها * ضَمِنْتُ لكم أن لا يزال يهيم
ألا رُبَّ يومٍ لو رمتنى رميتها * ولكن عهدى بالنضال قديم
فياعجبا من قاتل لى أودّهُ * أشاط دمى شخصٌ علىّ كريم [1]
يرى الناس أنى قد سلوت و إننى * لمدنَفٌ أحناءِ الضلوع سقيم [2]

جناية المشيب

وأنشدنى اسحق ابن ابراهيم الموصلى فى مثله ولم يسم قائله

هل الأُدم كالآرام والزُّهر كالدُّمى [3] * مغاودتى أيامهنَّ الصوالح
زمانَ سلاحى بينهن شبيبتى * لها سائقٌ من حسنهن ورامحُ
فأقسمْن لا يسقيننى قطر مزنةٍ * لشيبى ولو سالت بهن الاباطحُ [4]

وقال هارون بن على بن يحيي المنجّم. [5]

الغانيات عهودهن * الى انصرام وانقضابِ
مَن شابَ شِبْنَ له المودةَ * بالخديعة والكذاب [6]
فانعَم بهن وزَنْد سنـــك فى الشبيبة غير خابى [7]
مادمت فى ورق الصبا * وغصونه الخضر الرِّطاب
فافخر بأيام الصبا * واخلع عذارك فى التصابى
واعط الشباب نصيبه * مادمت تعذر بالشباب

وقال أشجع بن عمرو السُّلمى

---

(١) أشاط . احرق (٢) المدنف : هو المريض ثقل عليه المرض — والاحناء جمع حنو ، بالكسر والفتح ، وهو كل ما فيه اعوجاج من عظم البدن (٣) الادم جمع ادماء وهى السمراء ، والزهر جمع زهراء وهى البيضاء . وفى الاصل (الدهر) وهو تحريف (٤) انظر بكاء الشباب فى كتاب « مدامع العشاق » لترى كيف افتن الشعراء فى النوح على لذات الصبا وعهود الشباب (٥) هو منجم اشتهر بعلم الهيئة وعمل آلاتها . توفى فى بغداد سنة ٣٧٦ (٦) شبن : مزجن (٧) غير خاب : غير منطفىء ؛ ويقال : خبا لهبه إذا سكن فور غضبه

ومالىَ لا أعطى الشباب نصيبهُ ☆ وغصناه يهتزان فى عوده الرطب
رأيت الليالى ينتهبن شبيبتى ☆ فأسرعت باللذات فى ذلك النهب
فان بنات الدهر يخلسن لذتى ☆ فقد جُزْنَ سلمى وانتهين الى حربى
وقد حوّلت حالى الليالى وأسرجتْ ☆ على الرأس أمثال الفتيل من العطبِ
وموت الفتى خيرٌ له من حياته ☆ اذا كان ذا حالين يصبو ولا يُصبى

وقال آخر :

ما العيش إلا أن تحبّ ☆ وان يحبك من تحبهْ

وصف الشباب

فقر تتصل بهذه الابيات فى وصف الشباب

— أطاع الشباب وغرّته ، وأجاب الصبا وشرّته

— جرّ إزار الصبا ، وأذال ذيول الهوى (١) وركض فى ميدان التصابى ، وجنى ثمرات الملاهى

— هو فى اقتبال شبابه ، وحداثة أترابه ، وريعان عمره ، وعنفوان أمره

— هو فى إبَّان شبابه واعتداله ، وريعان إقباله واقتباله

— بعثه على ذلك أشَر الصبا ، ولين الغصن ، وشرخ الشبيبة ، وسكر الحداثة

— فتى السن ، رطيب الغصن ، عمره فى إقباله ، ونشاطه فى استقباله ، وشبابه فى اقتباله ، وماؤه بحاله

— فلان فى حكم الاطفال الذين لم يعضّوا على نواجذ الرجال

— هو فى عنفوان شبيبة تُخاف سقطاتها وهفواتها ، ولا تؤمن جُيَّحاتها ونزواتها

— هو فى سُكْرَىِ الشباب والشراب ، و بين نزوات الشبان ، ونزغات الشيطان

— شبابه أعمى عن الرشد ، أصم عن العذل

— قد لبي داعى هواه ، وانغمس فى لجة صباه

---

(١) أذال : أهان

— قد هجم بسكر الحداثة على سكرات الحوادث

— يجرى الى الصِّبا جرْىَ الصَّبا

— فلان غُفلٌ من سِمة التجربة ، جامح فى عذار الغفلة ، صعب الرأس على لجام العظة

— هو من سلطان الصبا فى النوبة الاولى ، قد خلع عذاره ومِقوَده ، وألقى الى البطالة باعه ويده

— هو بين خُمار الغداة وسكر العشى (١) لا يعرف الصحو ، ولا يفارق اللهو

— فلان لا يفيق ، ولا يذكر التوفيق

— هو بين غِرَر الشباب ، وغرر الاحباب .

نجابة الشباب

ويتعلق بهذه الالفاظ ألفاظ لهم فى نجابة الشباب وترشحهم للمعالى .

— قد جمع نضارة الشباب الى أبهة المشيب ، وهو على حدوث ميلاده ، وقرب إسناده شيخ قدر وهيبة ، وان لم يكن شيخ سن وشيبة

— هو بين شباب مقتبل ، وعقل مكتمل ، قد لبس برد شبابه على عقل كهل ورأى جزل ، ومنطق فصل ، للدهر فيه مقاصد ، وللأيام فيه مواعد .

— أرى له فى فصل ضمان الايام ، وودائع الحظوظ والاقسام ، تباشير نجح ، ومخايل نصر وفتح

— قد استكمل قوة الفضل ولم يتكامل له سن الكهل

— ما زالت مخايله وليدا وناشئا ، وشمائله صغيرا ويافعا ، نواطق بالحسن عنه ، وضوامن النجح فيه

— قد سما الى مراتب أعيان الرجال ، التى لا تدرك مع الكمال والاكتهال

— حمِدَت عزائمه ، قبل أن حلّت تمائمه ، وشهدت مكرماته قبل أن تدرج لداته (١)

(١) الخمار بالضم ما يعترى الشارب من الالم عند فقد الشرب

(١) اللدات : جمع لدة وهو الترب بالكسر ، أى المماثل فى السن وفى الاصل (اللذات) بالذال المعجمة وهو تحريف

— وقال البحترى :

لاتنظرن إلى العباس من صغرٍ * فى السنّ وانظر الى المجد الذى شادا

إن النجوم نجوم الأفق أصغرها * فى العين أذهبُها فى الجوّ إصعادا

— وقال آخر :

رأيت العقل لم يكن انتهاباً * ولم يقسم على قدر السنينا

فلو أن السنين تقسّمتهُ * حوى الآباء أنصبة البنينا

— وقال الفضل بن جعفر الكاتب :

فان خلّفته السن فالعقل بالغٌ * به رتبة الكهل المؤهّل للمجد

فقد كان يحيي أوتي الحكم قبله * صبياً وعيسى كلّم الناس فى المهد

بين ابن مناذر وأبى حية النميرى

وكان أبو حية كثير الرواية عن الفرزدق ، وعمر ، حتى التقى بابن مناذر فاستنشده شعره ، فأنشده أبو حية :

ألا حيّ من أجل الحبيب المغانيا * لَبِسْنَ البلى ممّا لبسن اللياليا

إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ * تقاضاه شيءٌ لايمل التقاضيا

حنتك الليالى بعدما كنت مرّة * سوىّ العصا لوكُنّ يبقين باقيا

فقال ابن مناذر : أوَ شعرٌ هذا ؟ فقال أبو حيّة : ما في شعرى عيب غير أنك تسمعه[1] وفى هذه القصيدة يقول أبو حية :

ولما أبت إلا التواءً بودها * وتكديرها الشرب الذى كان صافياً

شربتُ برَنْق من هواها مكدّرٍ * وكيف يعاف الرنْق من كان صاديا

(١) تجد فى (بكاء الملاح) من كتاب «مدامع العشاق» فصلا ممتعا عن ابن مناذر وعن غرامه الذى صار مضرب الأمثال

أعباء الكهولة

وقد قال عمرو بن قميئة [١] فى معنى قول أبى حية :

كانت قناتى لاتلين لغامزٍ * فألانها الإصباحُ والامساء
ودعوت ربى فى السلامة جاهداً * ليُصحّنى فاذا السلامة داء

وقال النمِر بن تَوْلب [٢] :

يود الفتى طول السلامة والبقا * فكيف يرى طول السلامة يفعلُ
يعود الفتى من بعد حُسنٍ وصحةٍ * ينوء اذا رام القيام ويُحمَلُ [٣]

وقد روى فى الحديث الشريف : كفى بالسلامة داء

وقد أحسن حُمَيد بن ثور فى قوله :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحةٍ * وحسبك داءً أن تصح وتسلما
ولن يلبث العصران يوم وليلةٌ * اذا طلبا أن يدركا ما تيمما

حميد بن ثور [٤]

وهذان البيتان من قصيدة طويلة ، وهى أجود شعر حُمَيد ، ومن أجود ما فيها :

---

(١) شاعر جاهلى نشأ يتيما وأقام فى الحيرة مدة وخرج مع امرىء القيس حين توجه الى قيصر فمات فى الطريق . وفيه يقول امرؤ القيس :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لاتبك عينك انما * نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وقد سمته العرب عمرا الضائع لموته فى غربة وفى غير مطلب ولا أرب

(٢) شاعر مخضرم من شعراء الطبقة الثانية فى الجاهلية ، أدرك الاسلام وهو كبير السن فوفد على الرسول وكتب عنه كتابا لقومه ، وكان جوادا واسع القرى كثير الاضياف

(٣) ينوء : ينهض بتثاقل وإعياء (٤) من شعراء الاسلام أدرك عمر بن الخطاب وقال الشعر فى أيامه وقد أدرك الجاهلية أيضا

وما هاج هذا الشوق إلا حمامةٌ * دعت ساق حُرٍّ تَرحةً وترنُّما
تروح عليه والهاً ثم تغتدى * مولّهة تبغى له الدهرَ مَطعَما
تؤمل فيه مؤنساً لانفرادها * وتبكى عليه إن زقا وترنما
كأن على أشراقه نور خمرة * إذا هو مدّ الجيد منه ليَطْعما
فلما اكتسى الريش السُّحام ولم تجد * لها معه فى ساحة الحى مجثما[1]
تنحَّت قريباً فوق غصن تذاَّبت * به الريح صِرفاً أىّ وجه تيمّما[2]
فأهوى لها صقر مُسِفٌّ فلم يدع * لها ولداً إلا رِماماً وأعظُما
فأوفت على غصن ضحيًّا ولم تدع * لنائحة فى نوحها متَلوَّماً
عجبت لها أنّى يكون غناؤها * فصيحاً ولم تفغَرْ بمنطقها فما[3]
فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها * ولا عربيًّا شاقه صوت أعجما

ومن خبيث الهجاء قوله فى هذه القصيدة يخاطب رجلين بعثهما :

وقولا اذا جاوزتما أرض عامرٍ * وجاوزتما الحيين نهداً وخثعما
نُزيعان من جرم بن ريان انهم * أبوا أن يريقوا فى الهزاهز محجَما[4]

وما هُجيت جَرْم بأشد من هذا ، يريد أنهم لذلتهم لم يَتِرُوا أحداً فيطالبهم بذَحْل .

جناية الليالى

وقال الأصمعى قيل لبعض الصالحين : كيف حالك ؟ قال كيف حال من يفنى ببقائه ، ويسقم بسلامته ، ويؤتى من مأمنه

وقال محمود الوراق :

يحب الفتى طول البقاء كأنهُ * على ثقةٍ أن البقاء بقاء

---

(١) السحام : الاسود ، والمجثم مكان الرقاد (٢) تذأبت : أتت من كل جانب كما يفعل الذئب (٣) تفغر : تفتح (٤) الهزاهز الحروب ، والمحجم : وعاء الحجامة والفصد

اذا ما طوى يوماً طوى اليومُ بعضَه * ويطويه إن جَنَّ المَساء مساء
زيادته فى الجسم نقصُ حياتِهِ * وأنَّى على نقص الحياة نماء[1]
جديدان لا يبقى الجميع عليهما * ولا لهما بعد الجميع بقاء

وقال المتنبي :

زيادة شيبٍ وهى نقص زيادتى * وقوة عشقٍ وهى من قوتى ضعف

وبيت محمود الأخير كقول البحترى :

أناةً أيها الفلك المُدار * أنَهْبٌ ماتصرّف أم جُبار[2]
ستَفنَى مثل ماتُفنى وتَبْلى * كما تُبلى فيُدرَكَ منك ثار
تناب النائبات إذا تناهت * ويَدْمُرُ فى تصرّفه الدمارُ
وماأهل المنازل غير ركبٍ * مطاياهم رواحٌ وابتكارُ

ويقول فيها :

لنا فى الدهر آمالٌ طوالٌ * نُرجِّيها وأعمارٌ قصارُ
أما وأبى بنى حارِ بن كعبٍ * لقد طرد الزمان بهم فساروا
أصاب الدهر دولة آل وهبٍ * ونال الليلُ منهم والنهارُ
أعارهُمُ رداءَ العز حتى * تقاضاهم فردّوا ما استعاروا
وقد كانوا وأوجههم بدورٌ * لمبصرِها وأيديهم بحار

أخذ قوله « ستفنى مثل ما تفنى » أبو القاسم بن هانىء فقال :

تفنى النجوم الزُّهرُ طالعةً * والنيِّران الشمسُ والقمرُ
ولئن تبدَّت فى مطالعها * منظومةً فلسوف تنتثر
ولئن سعى الفلك المدارُ بها * فلسوف يسلمها وينفطرُ

وقد استقصى على بن العباس الرومى للمعنى الاول فقال :

---

(١) النماء : الزيادة (٢) جبار : مهدر لا قود فيه

والدهر يُبلي الفتى من حيث يُنشئه * حتى تكرّ عليه ليلة القُرُب
يغذوه فى كل آنٍ وهو يأكله * ويحتسى تعباً منه على تعب
يُودى بحال فحالٍ من شبيبته * تسرُّب الماء فى مستأنف الكُثُب
حسبُ امرئ من جَنَى دهر تطاوُلُه * وان أُجِمّ فلم ينكب ولم يُنَب
فى هُدْنة الدهر كاف من وقائعه * والعمر أقدح مِبراةً من الوَصَب

وقال أيضا :

يا بانى الحصن أرساه وشيّده * حرزاً لِشِلْوٍ من الاعداء مشجون[1]
انظر الى الدهر هل فاتته بغيته * فى مطمح النسر أو فى مسبح النون[2]
ومن تحصّن مَنخُوبا على وجل * فانما حصنه سجنٌ لمسجون
أشكو الى الله جهلا قد أضرّ بنا * بل ليس جهلا ولكن علم مفتون

وقال الطائى :

وان تُبْنَ حيطانٌ عليه فانما * أولئك عُقَّالاتُه لا معاقلُه

ودخل يحيى بن خالد على الرشيد وقد ابتدأت حاله فى التغير ، فأُخبر أنه مشغول ، فرجع ، فبعث اليه الرشيد : خنتنى فاتهمتنى ، فقال : إذا انقضت المدة كان الحتف فى الحيلة ، والله ما انصرفت إلا تخفيفا

— أخذه ابن الرومى فقال وقد فصده بعض الاطباء فزعم أن الفصد زاد فى علته

غلط الطبيب علىّ غلطة موردٍ * عجزت محَالته عن الإصدار[3]
والناس يلْحون الطبيب وإنما * غلَطُ الطبيب إصابة المقدارِ

(١) شلو : جزء . ومشجون : مشعوب ومكسور (٢) النون : الحوت (٣) المحالة : الحيلة ومنه (المرأ يعجز لا المحالة) ويخطىء من يقول : المرء يعجز لا محالة

وصف الثغر

وقال أبو حية النميرى:

سقتنى بكأس الحب صِرفاً مُروَّقاً * رِقاق الثنايا عذبة المترنَّق[1]
وخُمصانةٍ تفترُّ عن متنشّقٍ * كَنَوْرِ الأقاحى طيّب المتذوَّق[2]
اذا امتضغت بعد امتناع من الضحى * أنابيب من عُود الاراك المخلَّق[3]
سقت شُعب المسواك ماء غمامةٍ * فضيضاً بخرطوم الرحيق المروَّق[4]

وأنشد الثورى

ترى الدُّر منثوراً اذا ما تكلمت * وكالدر منظوماً اذا لم تكلّمِ
تعبَّدُ أحرار القلوب بدلّها * وتملأ عين الناظر المتوسِّمِ

والبيت الأول من هذين كقول البحترى :

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه[5]

قال أبو الفرج الرياشى سمعت الأصمعى يقول : أحسن ما قيل فى وصف الثغر قول ذى الرمة :

وتجلو بفرع من أراكٍ كأنهُ * من العنبر الهندىّ والمِسْكِ يُصْبَحُ
ذرى اقحوان واجه الليل وارتقى * اليه الندى من رامة المتروِّحِ
هِجان الثنايا مُغْرِبٌ لو تبسمت * لأخرس عنه كاد بالقول يفصح[6]

---

(١) المترنق : العين ، وتقول : رنق النوم فى عينيه خالطهما (٢) خمصانة : ضامر البطن — والمتنشق : الثغر ، لانك تنشق منه نكهته العطرة ، والمتذوق هو الريق. لانك تلذ تذوقه (٣) المخلق : المدهون بالخلوق وهو ضرب من الطيب (٤) الفضيض : ما تناثر من الماء (٥) قبل هذا :

ولما التقينا واللوى موعد لنا تعجب رائى الدر حسنا ولاقطه

(٦) هجان الثنايا : يريد ان ثناياها ناصعة البياض . من قولهم : ابل هجان ، أى. بيض كرام

ومن قديم هذا المعنى وجيده قول النابغة الذبيانى فى صفة المتجردة امرأة النعمان ابن المنذر

تجلو بقادمتى حمامة ايكةٍ * بَرَداً أُسِفَ لثاثه بالإثمدِ[1]
كالأقحوان غداةَ غبِّ سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى
زعم الهمام بأن فاها باردٌ * عذْبٌ مقبَّله شهىٌّ المورد
زعم الهمام ولم أذقه أنه * يروى بريَّا ريقها العطِش الصَّدِى

ومن قوله (ولم أذقه) أخذ كل من أتى بهذا المعنى ففتقه الناس بعده .

قال المتوكل الليثى :

كأن مدامة صهباءِ صِرفاً * ترَقْرَقَ بين راووق و دنِّ
تُعَلُّ بها الثنايا من سليمى * فِراسة مقلتى وصحيح ظنى

وقال بشار :

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * إلا شهادةَ أطرافِ المساويكِ
قد زرتِنا مرةً فى الدهر واحدةً * ثنِّى ولا تجعليها بيضة الديكِ
يا رَحمة الله حُلى فى منازلنا * حَسبى برائحة الفردوس من فِيكِ

وقيل لبشار : يا أبا معاذ ، كم بين قولك ، وأنشد هذه الابيات ، و بين أن تقول

إنما عظم سليمى خلتى * قصب السكر لا عظم الجمل
واذا قُرِّب منها بصلٌ * غلب المسك على ريح البصل

فقال :

انما الشاعر المطبوع كالبحر : مرّة يقذف صدفة ، ومرة يقذف جيفة[2]

---

(١) الاثمد : الكحل (٢) يريد أن الشاعر المطبوع له سقطات ، ومن هنا كانت سقطات المتنبى مثلا فاضحة ، لان الاجادة المطلقة فوق طاقة الانسان ، وقد يطرد هذا الحكم فى كثير من نواحى الحياة الانسانية

وصف الجوارى السود

وقد تناول هذا المعنى أبو الحسن على بن العباس الرومى من أقرب متناوَل ، فقال وكشفه بأوضح عبارة فى صفته لجارية أبي الفضل عبد الملك بن صالح السوداء ، بعد أن استوفى جميع صفاتها ، وكان قد اقترح عليه وصفها :

وصفت فيها الذى هَوِيت على الوهـ * ـم ولم نختبر ولم نَذُقِ
إلا بأخبارك التى رُفِعَتْ * منك الينا عن ظبية البُرَق (١)
حاشا لسوداءِ منظرٍ سكنت * ذُراك الا عن مخبرٍ يقِقِ (٢)

وهذه الأبيات من قصيدة له وصف فيها السواد، واحتج بتفضيله على البياض، حتى أغلق فيه الباب على من بعده ، ومنع أن يقصد فيه أحد قصده ، إلا كان مقصر السهم عن غرض الاحسان . وقد نبه على بن عبدالله بن العباس المسيب على فضائلها وأجاد التشبيه وكشف عن وجوهِ الابداع ، وضروب الاختراع .

وقد مدح الناس السواد والسُّود فأكثروا ، فمن جيد ما قالوا فيه قول أبى حفص الشطرنجى :

أشبهكِ المسك وأشبهتِهِ * قائمةً فى لونهِ قاعِدَهْ
لاشكَّ إذ لونكما واحدٌ * أنكما من طِينةٍ واحدَهْ

فأخذ ابن الرومى هذا المعنى وأضاف اليه أشياء أخر توسعا واقتداراً فقال :

يُذْكرك المسك والغواليّ والسك * ذوات النسيم والعَبَقِ (٣)

وهذه الأشياء وان كانت ناقصة عن المسك ، فهى ممدوحة بالطيب ، غير مستغنى عن ذكرها فى التشبيه

فأما زيادته على جميع من تعاطى مدح السواد فقوله:

---

(١) البرق : جمع برقة بالضم وهي مكان تكثر فيه الظباء (٢) يقق : ناصع البياض
(٣) السك : نوع من الطيب

سوداء لم تنتسب الى بَرَص الشُّـ * ـرِ ولا كُلْفَةٍ ولا بَهَقِ (١)

والأبيض الشديد البياض معيب ، وقد دل عليه قوله :

وبعض ما فُضِّلَ السواد بهِ * والحق ذو سُلَّمٍ وذو نَفَقِ

ألاّ يعيب السَّوادَ حُلْكَتُه * وقد يُعاب البياض بالبَهَقِ (٢)

قوله (الحق ذو سُلم وذو نفق) أراد أن الحق يتصرف فى جهات ، وضرب الصعود والنزول لذلك مثلا ، ثم قصد لوصف هذه السوداء بالكمال فى الصفة ، ومن عيب السود أن أكفّهم عابسة متشققة ، وأطرافهم ليست بناعمة لينة ، وكذلك لايزال الفَلَح فى شفاههم ، وهى الشقوق المذمومة الموجودة فى أكثر السود فى أوساط الشفاه ، وأيضا فان الاسود مهجوّ بخبث العَرَق ، فنفى هذه الصفات المذمومة الموجودة فى أكثر السود عنها ، فقال :

ليست من العُبْس الأكفّ ولا الفُلْـ * ـح الشِّفاهِ الخبائث العرقِ

ثم عاج بخاطره على وصف هذه السوداء بأضداد تلك الصفات المذمومة ، فقال :

فى لين سَمُّورةٍ تخيّرها الفرّا * ءُ أو لين جيِّد الدلَق (٣)

ومن بديع مدح السوداء قوله :

أكسبها الحب انها صُبِغَتْ * صبغةَ حَبِّ القلوب والحَدَقِ

فانصرفت نحوها الضمائر والابـــصارُ يعشقن أيما عَشَقِ

فأخبر أنّ القلوب انما أحبتها بالمجانسة التى بينها وبين حَبِّ القلوب من السواد ، وكذلك الحدق .

ومن جيد تشبيهات أبى نواس وقد نبّه نديماً للصبوح فأخبر عن حاله وقال

فقام والليل يجلوهُ الصباح كما * جلا التبسُّم عن غُرِّ الثنيَّاتِ

(١) الكلفة : النمش يوجد فى الوجه ، والبرص والبهق معروفان

(٢) الحلكة . شدة السواد ، ومنه : ظلام حالك (٣) الدلق : دويبة كالسمورة

— ولعلى بن العباس عليه التقدم بقوله :

يفترّ ذاك السواد عن يقَقٍ * من ثغرها كاللآلىء النَّسَقِ (١)

كأنها والمزاحُ يضحكها * ليلٌ تعرَّى دُجاه عن فَلَقِ (٢)

وفضل هذا الكلام على ذاك أن هذا قدم لمعناه فى التشبيه مقدمة أيدته ، ووطّأت له الآذان (٣) ، وأصغت الافهام الى الاستحسان ، وهى قوله :

* يفترُّ ذاك السواد عن يقق *

— وفى هذه السوداء يقول : وقد سأله أبو الفضل الهاشمى أن يستغرق صفات محاسنها الظاهرة والباطنة فقال :

لها حِرٌ يستعير وَقْدَتَهُ * من قلب صَبٍّ وصَدْرِ ذى حَنَق (٤)

كأنما حَرُّهُ لخابرهِ * ما ألهبتْ فى حشاه من حُرَقِ

يزداد ضِيقاً على المِراس كما * تزداد ضيقا أُنشوطة الوهَقِ (٥)

ثم فكر فيما فكر فيه النابغة ، وقد أمره النعمان بوصف المتجردة فوصف ما يجوز ذكره من مظاهر محاسنها ، ثم كره أن يذكر من فضائلها مالا يسوغ لمثله أن يذكر منها ، فرد الأخبار عن تلك الفضائل الى صاحبها وهو الملك ، فقال :

زعم الهمام بأن فاها باردٌ * عذبٌ إذا قبّلته قلت ازْدَدِ

فاحتذى على بن العباس هذا فقال بعد ما سأله أن يستغرق فى وصف فضائلها الظاهرة والباطنة :

خُذْها أبا الفضل كسوةً لك من * خَزِّ الاماديح لا من الخِرَقِ

وصفتُ فيها التى هويتَ على الوهـ * ـم ولم نختبر ولم نذقِ

إلا بأخبارك التى وقعت * منك الينا عن طيبةِ البُرَقِ

حاشا لسوداءِ منظرٍ سكنت * ذُراك الا عن مخبر يقِقِ

---

(١) نسق : منسق (٢) تعرى : تكشف (٣) وطأت : مهدت (٤) الحر : بكسر الحاء هو الفرج (٥) الوهق : الحبل يرمى فى أنشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان

وهذا المعنى أومأ اليه النابغة ايماءً خفيا تذهب معرفته عن أكثر الناس ، ولو آثر النابغة ترك الاختصار وهمّ بكشف المعنى وايضاحه ما زاد على هذا الكشف الذى كشفه ابن الرومى

— وأصحاب المعانى ينشدون للفرزدق

وجَفْن سلاح قد رُزئت فلم أنُح * عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى بطنه من دارم ذو حفيظةٍ * لو آن المنايا أنسأَته لياليا [(١)]

ومعناه عندهم أنه رثى امرأة توفيت حاملا ، فقال علي بن العباس وقد وصف هذه المرأة السوداء :

أَخْلِقْ بها أن تقوم عن ذَكَرٍ * كالسيف يَفْرى مُضاعف الحَلَقِ
إن جفون السيوف أكثرها * أسودُ والحق غير مختلقِ

فهذه زيادة بينة ، وعبارة واضحة ، لم تحتج الى تفاسير أصحاب المعاني .

— وقال مما لم ينشده المتنبى :

غُصنٌ من الآبنوس ركّب فى * مؤتزَرٍ مُعجبٍ ومنتطَقِ
يهتز من ناهِدَيه فى ثَمرٍ * ومن دواجى ذُراه فى وَرَقِ

وهذا معنى قد بلغ قائله من الاجادة ، فوق الارادة ، وامتثل أبو الفضل الهاشمى ما أشار به ابن الرومي فأولدها فأنجبت

— وفى معنى قول الفرزدق قال الطائى وأحسن وذكر ولدين توأمين ماتا لعبدالله ابن طاهر :

ان تُرْزَ فى طرفَىْ نهارٍ واحدٍ * رُزأَين هاجا لوعةً وبلابلا
فالثِّقلُ ليس مضاعفاً لمطيةٍ * إلا إذا ما كان وَهْماً بازلا [(٢)]
لهفى على تلك المشاهد منهما * لو أُمهلَتْ حتى تكون شمائلا
لغدا سكوتُهما حِجًى وصِباهما * حُكْما وتلك الاريحة نائلا
إن الهلال اذا رأيت نماءَهُ * أيقنت أنْ سيكونُ بدرا كاملا

---

(١) الحفيظة : قوة الاباء (٢) الوهم : الجمل الضخم القوى ، والبازل المكتمل السن

التهنئة بتوأمين

وعلى ذكر التوأمين ألفاظ لأهل العصر فى التهنئة بتوأمين :

— تيسّرت مِنحتان فى وطن ، وانتظمت موهبتان فى قَرَن [(١)]

— طلع فى أفق الكمال نجما سعد ، وشهابا عز ، وكوكبا مجد ، فتأهلت بهما ربوع المحاسن ، ووُطِّئت لهما أكناف المكارم ، واستشرفت اليهما صدور الأسرة والمنابر

— بلغنى خبر الموهبة المشفوعة بمثلها ، والنعمة المقرونة بِعدلها [(٢)] فى الفارسين المقبلين ، رضيعى العز والرفعة ، وقرينى المجد والمنَعة ، فشملنى من الاغتباط ما يوجبه ازدواج البشرى ، واقتران غادية بأخرى

والشىء يذكر بما قارب ناحية من انحائه ، وجاذب حاشية من ردائه [(٣)]

شىء من الهجاء

وقال بعض أهل العصر يهجو رجلا وضمّن قول النابغة :

* كالأقحوان غداة غب سمائه *

وأزاحه عن بابه ، فجاء مليحا فى الطبع ، مقبولا فى السمع

يا سائلى عن جعفر عهدى بهِ * رَطْبَ العِجانِ وكفُّه كالجلمدِ [(٤)]

كالأقحوان غداة غِبِّ سمائهِ * جفّت أعاليه وأسفله ندى [(٥)]

---

(١) القرن : الحبل المفتول من لحاء الشجر أو من الصوف (٢) العدل بالكسر النظير (٣) هذه العبارة من كلام المؤلف ، لبيان موجب الاستطراد فى الكلام عن التوأمين (٤) العجان : الاست. والجلمد : الصخر (٥) هذا التضمين يذكر بقول بعض المولدين :

تصدى إلى ايرى فقلت له اتئد   وعيشك لو أبصرته وهو ثائر

رأيت الذى لا كله أنت قادر   عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ومن مستحسن ما روى فى هذا التضمين قول الآخر وضمن بيتا لمهلهل ابن ربيعة

وسائلةٍ عن الحسن بن وهبٍ * وعمّا فيه من كرم وخيرِ
فقلت هو المهذب غير أنى * أراه كثير إرخاء الستورِ
وأكثر ما يغنّيه فتاهُ * حُسَيْنٌ حين يخلو بالسُّرورِ
فلولا الريح أسمعَ من بِحجر * صليل البِيض تُقرع بالذكورِ

وهذا البيت لمهلهل مما يعدّونه من أول كذب العرب وكانت قبل ذلك لا تكذب فى أشعارها [1] وكانت بين الموضع الذى كانت فيه هذه الواقعة وهى بالجزيرة وبين حجر وهى قصبة باليمامة مسافة بعيدة ، فأخرجه هذا الشاعر بقوة مُنّته ، ونفاذ فطنته ، الى معنى آخر مستظرف فى بابه · وهذا المذهب أحسن مذاهب التضمين .

ومن مليح ما فى هذا الباب تضمينات الحمدونى فى طيلسان أحمد بن حرب المهلبى ، وسيأتى ما أختاره من ذلك فى غير هذا الموضع

والاصل :

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

(١) هذا ترديد للفكرة المشهورة من ان العرب فى جاهليتهم كانوا لا يتجاوزون الواقع حين يصفون ، وهذا فيما أرى غلو فى تقدير أهل البادية ، والمعقول أن طبيعة الناس تبيح المغالاة بلا تفريق بين الطبقات الاجتماعية

وصف الافواه

وقد جاء فى صفة الثغور والأفواه والريق شعر كثير .

— قال جميل

تمنيت منها نظرةً وهى واقفٌ * تُريك نقيًّا واضح الثغر أشنبا (١)

كأن عريضاً من فضيض غمامةٍ * هزيم الذرى تمرى له الريح هيْدَبا (٢)

يصفّق بالمسك الذكى رضابهُ * إذا النجم من بعد الهدوء تصوّبا (٣)

—وقال :

وكأن طارقها على عَلَلِ الكرى * والنجم وهْناً قد بدا لتغوّرِ

يَسْتَافُ ريح مُدامة مَعْلولةٍ * بُرضابِ مِسكٍ فى ذكىِّ العنبرِ

—وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومى

يمج ذكىَّ المسك منها مفلَّجٌ * نقىّ الثنايا ذو غُروب مؤشّرُ (٤)

يَرِفّ اذا تفترّ عنــهُ كأنهُ * حَصَى بَرَدٍ أو أُقحوانٌ منوّرُ

—وقال الهذلى :

وما صهباء صافية لصبٍّ * كلون الصِّرف مُنْجابٌ قَذاها

تُشَجّ بنطفةٍ من ماءِ مُزْنٍ * أحلّته برضراضٍ عُراها

بأطيبَ مشرعاً من طعم فيها * اذا ماطار عن سِنةٍ كراها

وقال آخر :

وشق عنها قِناع الخز عن بَرَدٍ * كالدُّرِّ لا كَسَسٌ فيه ولا ثعَلُ (٥)

---

(١) أشنب من الشنب بالتحريك وهو رقة وبرد وعذوبة في الاسنان (٢) العريض : القطعة من السحاب ، والفضيض ما تناثر من المطر والماء ، والهزيم الصوت ، والذرى الاعالى ، والهيدب : ذيل السحاب (٣) تصوب : انحدر (٤) مؤشر : من الاشر بالتحريك وهو تحزيز أطراف الثنايا والغروب جمع غرب بالفتح وهو ماء الرضاب (٥) الكسس : قصر الاسنان ، والثعل زيادة سن أو دخول سن تحت سن

كأنه اقحوان بات يغربُهُ * طَلٌ من الدَّجْنِ سقَّاط الندى هطلُ
كأنَّ صِرفاً كُميتَ اللون صافيةً * شُجَّت بماءِ سماءٍ شنَّه جبلُ (١)
فُوها اذا ماقضت من نومها سِنَةً * أو اعتراها سبات النوم والكسل

وقال آخر :

هِجان اللون واضحة المحيَّا * قطيع الصوت آنسة كسول (٢)
تَبسَّمُ عن أغرَّ له غُروبٌ * فُرات الريق ليس به فُلول (٣)
كأن صَبيب غادية لصبٍّ * تشجُّ به شآميةٌ شَمول
على فيها اذا الجوزاء عالتْ * محلِّقةً وأردفها رعيل (٤)

وقال ابن المعتز :

يا نديمىَّ اشربا واسقيانا (٥) * قد بدا الصبح لنا واستبانا
واقتلا همَّنا بصِرْفٍ عقار * واتركا الدهر فما شاء كانا
ان للمكروه لذْعةَ شرٍ * فاذا دام على المرء هانا
وامزجا كأسنا بريقةِ ألْمى * طاب للعطشان ورداً وحانا
من فم قد غرس الدر فيهِ * ناصح الريق إذا الريق خانا (٦)

وقال ابن الرومى :

يارُبَّ ريقٍ بات بدر الدُّجى * يمجُّه بين ثنايا كا
يروى ولا ينهاك عن شربه * والماء يرويك وينها كا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

واذا سألتك رشْف ريقك قلت لى * أخشى عقوبة مالك الاملاك
ماذا عليك جعلت قبلك فى الثَّرى * من أن أكون خليفة المسْواك

---

(١) كميت اللون : فيها سواد وحمرة ، وشجت : مزجت ، والشن التبريد
(٢) هجان اللون : بيضاء ، وقطيع الصوت هى التى يتكسر كلامها لرقته
(٣) فرات : عذب (٤) الرعيل : جماعة النجوم (٥) رواية الديوان (لا تملا حثنا وسقيانا) (٦) ناصح الريق : لم تتغير نكهته

أيجوز عندك أن يكون متيمٌ * صبٌّ بحبِّك دون عود أراكِ

وهذا المعنى يجاوز الإحصاء ، ويفوت الاستقصاء ، وكله مأخوذ من قول امرئ القيس

كأنَّ المدام وصوْب الغمامْ * و ريح الخزامى ونشْر القطر [(١)]

يعلُّ به برْد أنيابها * إذا طرب الطائر المستحِر [(٢)]

فجمع ما فرقوه ، وأخذه الجعفرى فقصر عنه :

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى وذَوْب العَسلْ

يعلُّ به برد أنيابها * اذا النجم وسط السماء اعتدل

فتنة الساقى

ويلحق بهذه المعانى من شعر أهل العصر قول أبى على محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمى وذكر خمراً

من كفِّ ساقٍ أهيف حركاتهُ * فِتنٌ تقنَّعَ بالملاحةِ واعتَجَرْ [(٣)]

ناولته كأسى وكسْرُ جفونهِ * يوحى الىّ أن ارتقبهم واصطبر

فثنى لها أقلام دُرٍّ رَخْصَةٍ * تهوى الى أفراد دُرّ ذى أشَر [(٤)]

فتحدّرت من كأسهِ فى ثغرهِ * كالشمس تَغْرُب فى هلالٍ من قمر

واهدى أبو الفتح كشاجم لبعض القيان مسوا كا وكتب اليها :

قد بعثناه لكى تجلو بهِ * واضحاً كاللؤلؤ الرطب أغر

طاب منه العَرْف حتى خِلتهُ * كان من ريقك يُسْقى فى السَّحر [(٥)]

وأمَا والله لو يعلمُ ما * حظهُ منكِ لأنى وشكر

ليتنى المُهدَى فيروى عطشى * بَرْد أنيابك فى كل سَحَرَ [(٦)]

---

(١) القطر بالضم العود الذى يتبخر به (٢) المستحر : الحران (٣) اعتجر : من الاعتجار وهو لبسة خاصة بالنساء والغلمان (٤) رخصة : لينة

(٥) لايطيب الريق في السحر إلا عند اكتمال القوة (٦) يتمنى لو أنه كان المسواك

شعر ابن أبى ربيعة

وكان ذُكر بحضرة ابن أبى عتيق شعر عمر بن أبى ربيعة والحارث بن خالد المخزوميين ، فقال رجل من ولد خالد بن العاصى بن هشام بن المغيرة صاحبنا الحارث أشعر ، فقال ابن أبى عتيق : دع قولك يا ابن أخى فلشعر ابن أبى ربيعة لَوْطةٌ بالقلب [١] وعَلَقٌ بالنفس ، ودرك للحاجة ، ليس لشعر الحارث ، وما عُصى الله بشعر قط أكثر مما عصى بشعر ابن أبى ربيعة ، فخذ عنى ما أصفُ لك :

— أشعر قريش من رَقَّ معناه ، ولَطُفَ مَدْخله ، وسهل مَخْرجه ، وتعطَّفت حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأعرب عن صاحبه

— فقال الذى من ولد خالد بن العاصى صاحبنا الذى يقول :

انى وما نحروا غداة منًى * عند الجمارتؤودها العُقْلُ [٢]

لو بُدّلت أعلى منازلها * سِفْلاً وأصبح سفلها يعلو

فيكاد يعرفها الخبير بها * فيردُّه الإقواء والمحْل [٣]

لعرفت مغناها بما احتملت * منى الضلوع لأهلها قبلُ

فقال ابن أبى عتيق : يا ابن أخى استر على صاحبك ، ولا تشاهد المحاضر بمثل هذا ، أما تطيَّر الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ، ما بقى الا أن يسأل الله حجارة من سجّيل وعذابا أليما

— ابن أبى ربيعة كان أحسن الناس للربع مخاطبةً وأجمل مصاحبةً إذ يقول :

سائلا الربع بالبُلَىِّ وقولا * هجت شوقا لى َالغداة طويلا

أين أهلٌ حلّوك إذ أنت مسرو * رٌ بهم آهلٌ أراك جميلا

(١) لوطة بالقلب : علوق به (٢) العقل : جمع عقال (٣) الاقواء : خلاء الديار ، والمحل : الجدب

قال ساروا وأمعنوا واستقلوا * وبكرهى لو استطعت سبيلا
سئمونا وما سئمنا مقاماً * واستحبوا دماثةً وسهولا[1]

مزيد المدنى

وها هنا حكاية تأخذ بطرف الحديث : دخل مِزيد المدنى على مولى لبعض أهل المدينة وهو جالس على سرير ممهد ، ورجل من ولد أبى بكر الصديق وآخر من ولد عمر رضى الله عنهما جالسان بين يديه على الأرض ، فلما رأى المولى مزيدا تجهّمه وقال : يا مزيد ما أكثر سؤالك ، وأشد إلحافك ، جئت تسألنى شيئاً ؟ قال لا والله ، ولكنى أردت أن أسألك عن معنى قول الحارث بن خالد

إنى وما نحروا غداة منى * عند الجمار تؤودها العُقْلُ
لو بُدلت أعلى منازلها * سفلا وأصبح سفلها يعلو

فلما رأيتك ورأيت هذين بين يديك عرفت معنى الذى قال . فقال: اعزُب فى غير حفظ الله ! وضحك أهل المجلس

بكاء الديار

وأخذ الحارث قوله :

لعرفت مغناها بما احتملت * منى الضلوع لأهلها قبلُ

من قول امرئ القيس ، قال على بن الصباح ورّاق أبى محلم قال لى أبو محلم أتعرف لامرئ القيس أبياتا سينية قالها عند موته فى قروحه والحلة المسمومة غير قصيدته التى أولها

* ألما على الربع القديم بعسعسا *

---

(١) فى الطبعة الثالثة من كتاب « حب ابن أبى ربيعة وشعره » شذرات مهمة عن الحارث بن خالد المخزومى الذى وقف شطرا من حياته وجاهه فى مغازلة الحسان ، وأخباره مع عائشة بنت طلحة تعين مذاهبه فى الحياة الوجدانية

فقلت لا أعرف غيرها ، فقال :

— أنشدنى جماعة من الرواة

لمن طَلَلٌ دَرَست آيهُ * وغيَّره سالف الأحْرَسِ[١]
تَنكره العين من حادثٍ * ويعرفه شغفُ الأنفسِ

— وقد أخذه طُرَيح بن اسماعيل الثقفى فقال

تستخبر الدِّمنَ القِفار ولم تكنْ * لتردّ اخبارا على مُستخبرِ
فظللت تحكم بين قلب عارفٍ * مَغْنى أحبتهِ وطرف مُنكرِ

— وقال الحسن بن وهب اشارةً إلى هذا المعنى

أبليت جسمى من بعد جِدتهِ * فما تكاد العيون تُبْصِرُهُ
كأنه رسم منزل خلقٍ * تعرفه العين ثم تنكرُهُ

— وقال يحيى بن منصور الذهلى

أما يستفيقُ القلب إلا انبرى لَهُ * تذكُّر طيف من سعادَ ومربعِ
أُخادع عن عرفانه العين إنهُ * متى تعرف الاطلال عينىَ تدمعِ

— وقال آخر :

هى الدار التي تع * رف لِمْ لا تعرفُ الدارا
ترى منها لأحبا * بك أعلاماً وآثارا
فيبدى القلب عرفاناً * وتبدى العين إنكارا

وقال أبو نواس ، وتعلق أول قوله بهذا المعنى ، وأنا أنشد الأبيات كلها لملاحتها ، إذ كان الغرض فى هذا التصرف هو إرادة الافادة :

ألا لا أرى مثلى امترى اليوم فى رسم[٢] * تَغَصُّ به عينى ويلفظه وهْمى
أتتْ صوَرُ الأشياء بينى وبينهُ * فظنى كلا ظنٍّ وعلمى كلا علم

---

(١) الاحرس : الدهر (٢) رواية الديوان « مثل امترائى فى رسم »

فطب بحديث من حبيب مساعدٍ[1] * وساقية بين المراهق والحُلُم[2]
ضعيفة كَرِّ الطرف تحسب أنها * قريبة عهد بالإفاقة من سُقْمِ
تَفَوَّقُ مالى من طريف وتالدٍ * تفوُّقَ الصهباء من حَلَب الكَرْمِ[3]
وإنى لآتى الوصل من حيث يُبتغى[4] * وتعلم قوسى حين أنزع من أرمى

شعر أبي نواس

وروى أبو هفان قال كان أبو عبد الله محمد بن زياد الاعرابى[5] يطعن على أبى نواس ويعيب شعره، ويضعّفه، ويستلينه. فجمعه مع بعض رواة شعر أبى نواس مجلس والشيخ لا يعرفه، فقال له صاحب أبى نواس:

أتعرف أعزك الله أحسن من هذا وأنشده (ضعيفة كر الطرف) الأبيات، فقال لا والله، فلمن هو؟ قال للذى يقول:

رسمُ الكرى بين الجفون محيلُ * عفَّى عليه بكاً عليك طويلُ
يا ناظراً ما أقلعت لحظاتُهُ * حتى تشحَّطَ بينهن قتيلُ

فطرب الشيخ وقال: ويحك، لمن هذا، فوالله ما سمعت أجود منه لقديم ولا لمحدَث، فقال لا أخبرك أو تكتبه، فكتبه، وكتب الأول، فقال الذى يقول:

---

(١) رواية الديوان «من نديم موافق» (٢) بين المراهق والحلم: يريد أن سنها قاربت سن الاحتلام وليست مع ذلك طفلة فهى كما قال صاحب البدائع: «طفلة فى المنظر، وغادة فى المخبر» (٣) تفوق مالى: تأكله، من قولهم تفوق ناقته حلبها، وتفوق الفصيل اللبن شربه (٤) رواية الديوان «وإنى لآتى الأمر» وهى أدق.

(٥) هو ابن الاعرابى المتوفى سنة ٢٣١. كان نحويا عالما باللغة والشعر، ولم يكن أحد من الكوفيين أشبه رواية برواية البصريين منه، وكان يزعم أن الأصمعى وأبا عبيدة لا يحسنان قليلا ولا كثيرا. قال ثعلب: شاهدت ابن الاعرابى وكان يحضر مجلسه زهاء مئة انسان كل يسأله أو يقرأ عليه ويجيب من غير كتاب. قال: ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتابا قط وما أشك فى انه أملى على الناس ما يحمل على أجمال.

ركبٌ تساقوا على الأكوار بينهمُ * كأس الكرى فانتشى المسقيُّ والساقى
كأن أرؤسهم والنوم واضعها * على المناكب لم تُخلق بأعناق
ساروا فلم يقطعوا عقداً لراحلةٍ * حتى أناخوا إليكم قبل أشواقِ
من كل جائلة الطرفين ناجيةٍ * مشتاقةٍ حملت أوصال مشتاقِ

فقال لمن هذا؟ وكتبه، فقال: للذى تذمه، وتعيب شعره، أبى على الحكمى!
قال اكتم علىّ، فوالله لا أعود لذلك أبداً.

أخذ قوله (كأن أرؤسهم والنوم واضعها) أبو العباس بن المعتز فقال يصف شرباً

كأن أباريق اللجين لديهمُ * ظباء بأعلى الرقمتين قيامُ
وقد شربوا حتى كأن رؤوسهم * من اللين لم يخلق لهن عظامُ

البيت الأول من هذين من قول علقمة بن عبدة :[1]

كأن ابريقهم ظبيٌ على شرف * مفدَّم بسبا الكتان ملثومُ[2]

أراد بسبائب[3] فحذف

وقد أحسن مسلم بن الوليد فى قوله :

إبريقنا سلب الغزالة جيدها * وحكى المديرُ بمقلتيه غزالا
يسقيك بالألحاظ كأس صبابةٍ * ويديرها من كفه جِريالا[4]

طرفة أدبية

وأنشد الحارث بن خالد أبياته :

* إنى وما نحروا غداة منى *

(١) هو علقمة الفحل أحد معاصرى امرىء القيس

(٢) مفدم : مسدود ، والفدام هو السدادة ، والملثوم الذى وضع عليه اللثام وهو كالفدام

(٣) السبائب : جمع سبيبة وهي الحبل (٤) الجريال : الخمر

لعبد الله بن عمر ، فلما بلغ الى قوله :

لعرفت مغناها بما احتملت * منى الضلوع لاهلها قبل

قال له ابن عمر : قل ان شاء الله ، قال اذاً يفسد الشعر يا أباعبدالرحمن ، فقال: لا خير فى شيء تفسده ان شاء الله!

تظرف الحارث بن خالد

وكان الحارث بن خالد أحد المجيدين فى التشبيب ، ولم يكن يعتقد شيئاً من ذلك ، وانما يقوله تظرّفا وتخلعاً ، وكان أكثر شعره فى عائشة بنت طلحة ، فلما قتل عنها مصعب بن الزبير قيل له : لو خطبتها ! قال : إنى لأكره أن يتوهم الناس علىّ انى كنت معتقداً لما أقول فيها

وهو القائل :

يا أم عِمران مازالت وما بَرِحَتْ * بنا الصبابة حتى مسَّنا الشَّفقُ (١)

القلب تاق اليكم كى يلاقيَكم * كما يتوق الى مَنْجاته الغَرِقُ

توفيك شيئاً قليلا وهى خائفةٌ * كما يمسُّ بظهر الحيَّة الفرِقُ (٢)

أخذ هذا الطائى فحسَّنه فقال :

تأبى على التصريد إلاّ نائلا * إلاّ يكن ماء قراحاً يُمْذَقِ

نَزْراً كما استكرهت عابر نفحةٍ * من فارة المسك التى لم تفتق

عائشة بنت طلحة

وحجّت عائشة بنت طلحة ، فوجه اليها يستأذنها فى الزيارة ، فقالت : نحن حرام ، فأخِّر ذلك حتى نُحلّ ، فلما أحلّت أدلجت ولم يعلم ، فكتب اليها

ما ضرّكم لو قلتمُ سدداً * إن المنية عاجلٌ غدُها

---

(١) الشفق : الخوف (٢) الفرق: الخائف

ولها علينا نعمة سلفت * لسنا على الأيام نجحدها
لو تمت أسباب . نعمتها * تمت بذلك عندنا يدها
إنى وإياها كمفتتن * بالنار تحرقه ويعبدها

ابن أبى عتيق

وابن أبى عتيق هذا هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان من أفاضل زمانه علماً وعفافا ، وكان أحلى الناس فكاهة ، وأظرفهم مزاحاً ، وله أخبار مستظرفة سيمر منها ما يستحسن ان شاء الله

روى الزبير بن أبى بكر أنه دخل على عائشة يعنى بنت طلحة رضى الله عنهما وهى لما بها ، فقال كيف أنت جعلت فداك ؟ قالت فى الموت ، قال فلا إذاً ، انما ظننت فى الأمر فسحة ، فضحكت ، وقالت : ما تدع مزحك بحال !

وفيه يقول عمر بن أبى ربيعة القرشى:

ليت شعرى هل أقولَنْ لركب * بفلاة هُم لديها خُشوع
طالما عرّستمُ فاستقلوا * حان من نجم الثريا طُلوع
إن همّى قد نفى النوم عنى * وحديث للنفس منى يروع
قال لى فيها عتيقٌ مقالاً * فجرت مما يقول الدموع
قال لى ودّع سليمى ودعها * فأجاب القلب لا أستطيع
لا تلمنى فى اشتياقى اليها * وابكِ لى مما تُجنّ الضلوع

الثريا بنت على (١)

قال أبو العباس محمد بن يزيد قوله (حان من نجم الثريا طلوع) كناية ،

(١) فى كتاب « حب ابن أبى ربيعة وشعره » فصل مطول عن الثريا بنت على ، وفصول أخرى شائقة عن الملاح اللائى فتن عمر بن أبى ربيعة وصيرنه مضرب المثل فى التغنى بالحسن والهيام بالجمال

وانما يريد الثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكانت موصوفة بالجمال، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فنقلها الى مصر وفى ذلك يقول عمر وضرب لهما المثل بالنجمين

أيها المنكح الثريَّا سهيلاً ❋ عمرك الله كيف يلتقيانِ
هى شامية اذا ما استقلت ❋ وسهيلٌ اذا استقل يمانى

فمات سهيل عنها ، أو طلقها ، فخرجت الى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة في دمشق تطلب فى دين عليها ، فبينا هى عند أم البنين ابنة عبد العزيز اذ دخل الوليد فقال : من هذه عندك ؟ قالت الثريا جاءتك تطلب فى دين ارتكبها . فأقبل الوليد عليها فقال : أتروين من شعر عمر بن أبى ربيعة شيئاً ؟ قالت نعم ، أما إنه رحمه الله كان عفيفاً عفيف الشعر ، أروى له قوله:

ما على الرسم بالبُلَيَّين لو بيَّن ☆ رجْع السلام أو لو أجابا
فالى قصر ذى العشيرة بالطا ☆ ئف أمسى من الأنيس يبابا
ربما قد ثوى به حىٌّ صدقٍ ☆ ظاهرى العيش نعمة وشبابا
وحسانا جواريا خفرات ☆ حافظات عند الهوى الأحسابا
لا يكثّرن بالحديث ولا ينعق ☆ ن ينعقن بالبهام الظّرابا (١)

فلما خلا الوليد بأم البنين قال : لله درّ الثريا ! أتدرين ما أرادت بانشادها ما أنشدت من شعر عمر ؟ قالت لا ، قال فانى لما عرّضت لها بعمر عرضت لى بأن أمى أعرابية

وأم الوليد ولادة ابنة العباس بن جزء بن الحارث بن زهير العبسى وهى أم سليمان ، ولا تُعلم امرأة ولدت خليفتين فى الاسلام غيرها، وغير الخيزران وهى سبية من خرشنة ولدت موسى الهادى وهارون الرشيد ابنى محمد المهدى ، وشاهسفرم بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز ، فانها ولدت للوليد بن عبد الملك

(١) الظراب : دويبة خبيثة الرائحة

يزيد بن الوليد الناقص وابراهيم بن الوليد المخلوع جلس فى الخلافة بعد أخيه يزيد مدة يسيرة ثم جاء مروان بن محمد بن مروان آخر ملوك بنى أمية فخلعه وولى بعده

عزة كثير

وشبيه بقول الثريا فى باب التعريض أنه دخلت عزة على عبد الملك بن مروان فقال لها : أنت عزة كثير ؟ قالت أنا أم بكر الضمرية ، قال لها يا عزة هل تروين من شعر كثيّر شيئاً ؟ قالت ما أعرفه ، ولكن سمعت الرواة ينشدون له :

قضى كل ذى دَين فوفّى غريمه * وعزة ممطولٌ معنًى غريمها

قال : أفتروين قوله

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى ياعزّ لا يتغير
تغير حالى والخليقة كالذى * عهدت ولم يخبر بسرك مخبرِ

قالت ما سمعت هذا ، ولكن سمعتهم ينشدون :

كأنى أنادى صخرةً حين أعرضَت * من الصُّمِّ لو تمشى بها العُصْم زلّتِ
غضوباً فما تلقاك إلا بخيلةً * فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّتِ (١)

ظرف ابن أبى عتيق

قال وكل ما ذكر ابن أبى ربيعة فى شعره من عتيق ، أو أبى عتيق ، فانما هو ابن أبى عتيق ، وكان عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، واسم أبى ربيعة حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، يكنى أبا الخطاب ، أمه أم ولد سبية من حضرموت ويقال من حمير ومن ثم أتاه الغزل لأنه يقال (عشق يماني ، ودَلٌّ حجازى)

---

(١) ليس لكثير أجمل من هذه التائية ؛ وتجدها برمتها مضبوطة مشروحة فى كتاب « مدامع العشاق » عند الكلام عن بخل الحسان

قال اسحق بن ابراهيم الموصلي :

إن قلبي بالتل تلِّ عِزاز * مع ظبي من الظباء الجوازي [1]

شادن لم ير العراق وفيه * مع ظَرْف العراق دَلُّ الحجازِ

وقال الطائي وذكر نفسه :

قد ثقّفت منه الحجاز وسهّلت * منه العراق ورقّقته المشرقُ [2]

وهجرت الثريا عمر فقال :

قال لي صاحبي ليعلم ما بي * أتحب القَتُول أخت الربابِ

قلت وجدي بها كوجدك بالما * ءِ اذا ما فقدت بَرْد الشرابِ

أرهقت أم نوفل إذ دعتها * مهجتي ما لقاتلي من متابِ

أبرزوها مثل المهاة تهادى * بين خمسٍ كواعبٍ أتراب

وهي مكنونة تحدَّر منها * في أديم الخدين ماء الشباب

ثم قالوا تحبها قلت بَهْراً * عدد الرمل والحصى والتراب

ولما بلغ ابن أبي عتيق قوله :

من رسولي الى الثريا فاني * ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

قال إياي أراد ، وبي هتف ونوّه ، لا جرم لاذقت طعاما أو أشخص اليها ، وأصلح بينهما . قال مولى لبني تميم فنهض ونهضت معه ثم خرج الى السوق الى الضمرتين فأتى قوما من بني الديل بن بكر يكرون النجائب ، فقال بكم تكرونني راحلتين الى مكة ؟ قالوا بكذا وكذا درهما ، فقلت لبعض التجار استوضعوا شيئا ، فقال ابن أبي عتيق : ويحك ان المكاس ليس من أخلاق الناس [3] ثم ركب واحدة وركبت أخرى وأجدّ السير، فقلت: ارفق بنفسك ، فقال ويحك ! أبادر حبل الوصل أن يتقضّبا . وما أملح الدنيا اذا تم الوصل بين عمر والثريا ! فقدمنا مكة

(١) الجوازي هي الظباء التي تجتزىء بالعشب عن الماء

(٢) المشرق مخلاف باليمن (٣) المكاس : الشدة في الاخذ والعطاء

وأتى باب الثريا ، فقالت : والله ما كنت لنا زوّاراً ، فقال أجل ، ولكن جئت برسالة ، يقول لك ابن عمك : ضقت ذرعا بهجرها والكتاب فلامه عمر ، فقال ابن أبي عتيق إنما رأيتك مبادرا تلتمس رسولا ، فخففت في حاجتك ، فانما كان ثوابي أن أشكر

كمثل الشيطان

ووصف ابن أبي عتيق لعمر امرأة من قومه ، وذكر جمالا رائعا ، وعقلا فائقا ، فرآها عمر فشبَّب بها ، فغضب ابن أبي عتيق وقال : تتشبب بامرأة قومي ؟ فقال عمر :

لا تلمني عتيقُ حسبي الذي بي * ان بي يا عتيق ما قد كفاني

ان بي مضمراً من الحب قد أبـ * ـلى عظامي مكنونهُ وبراني

* لا تلمني وأنت زينتها لي *

فقال ابن أبي عتيق :

* أنت مثل الشيطان للانسانِ *

فقال عمر : هكذا ورب الكعبة قلت ! فقال ابن أبي عتيق : ان شيطانك ورب القبر ربما ألمّ بي !

رملة بنت عبد الله

وحجت رملة بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات فقال عمر فيها :

أصبح القلب في الحبال رهينا * مُقْصداً يوم فارق الظاعنينا

ولقد قلت يوم مكة سِرّاً * قبل وشك من بينكم يُلوينا

أنت أهوى العباد قربا وبعداً * لو تُواتين عاشقا محزونا

قاده الحينُ يوم سرنا الى الحج * جهاراً ولم يخف أن يحينا

فاذا نعجة تُراعي نِعاجا * ومهىً يُجَلّ النواظر عِينا

فسبتني بمقلةٍ وبجيدٍ * وبوجه يضيء للناظرينا
قلت من أنتمُ فصدت وقالت * أمُبِدٌّ سؤالك العالمينا [1]
قلت بالله ذى الجلالة لما * أن تبلّت الفؤاد أن تصدقينا
أىٌّ من تجمع المواسم أنتمْ * فأبيني لنا ولا تكذبينا
فرأت حرصيَ الفتاة فقالت * أخبريه بعلم ماتكتمينا
نحن من ساكني العراق وكنا * قبلها قاطنين مكة حينا
قد صدقناك إذ سألت فمن أنـ * ـت عسى أن يجرّ شأنٌ شئونا
ونرى أننا عرفناك بالنعـ * ـت ظنوناً وما قبلنا يقينا
بسواد الثنيتين ونعت * قد نراه لناظرٍ مستبينا

صفقة أبى غبشان

قولها (وكنا قبلها قاطنين مكة حيناً) أرادت اذ كانت مكة لخزاعة . وكان آخر من نبذ مفتاح الكعبة من خزاعة أبو غبشان فباعه من قصى بزق خمر فقيل فى المثل (أخسر صفقة من أبى غبشان) وكان أبو غُبشان إذ باع المفتاح قُصيّاً مريضاً قد يئس من نفسه ، فلما أبلّ من مرضه لامه قومه ، وسألوه استرجاعه ، وذلك الذى هاج الحرب بين خزاعة وقريش ، فظفر قصى واستولى على مكة ، وجمع قريشاً بها ولذلك سمِّي مجمعاً . قال مطرف الخزاعى

أبوكم قُصَيٌّ كان يدعى مُجمِّعاً * به جمّع الله القبائل من فِهْرِ

وقال الطائى :

ولما نضا ثوب الحياة وأوقعت * به نائبات الدهر ما يتوقّعُ
غدا ليس يدرى كيف يصنع مُعدِمٌ * ذَرَي دمعُه فى خدّه كيف يصنعُ
ولم أنس سعي الجود خلف سريرهِ * بأكسف بالٍ يستقلُّ ويظلَعُ [2]

---

(١) أمبد سؤالك العالمين : اى هل انت مقسمه بددا وتفاريق على الناس بحيث يعمهم جميعاً (٢) يستقل ويظلع : ينهض ويسقط

وتكبيره خمساً عليه معالنا * وان كان تكبيرَ المصلين أربعُ
وما كنت أدرى يعلم الله قبلها * بأنّ الندى فى أهله يتشيَّعُ
غدوا فى زوايا نعشه وكأنما * قريش قريش يوم مات مُجمَّعُ

وقال الشاعر فى أمر قصى وأبى غبشان :

أبو غبشان أظلم من قصيٍّ * وأظلم من بنى فهرٍ خزاعه
فلا تَلْحوا قصيًّا فى شِراهُ * ولوموا شيخكم اذ كان باعه

حب ابن أبى ربيعة

وكان عمر أسود الثنيتين . قال مولى ابن أبى عتيق بلال: أتيت الثريا مسلماً عليها فقالت أنشدنى لعمر فأنشدتها

* أصبح القلب فى الحبال رهينا *

فقالت الثريا : إى والله لئن سلمت له لأردّنّ من شأوه ، ولأثنين من عنانه ، ولأعرفنّه نفسه ! فمررت فيها حتى انتهيت الى قوله :

قلت من أنتمُ فصدّت وقالت * أَمُبِدٌّ سؤالك العالمينا

فقالت : أوَقد أجابته بهذا أى وقت ؟ فلما انتهيت الى قوله

* وترى أننا عرفناك بالنعت *

قالت جاءت النوكاء بآخر ما عندها فى موقف واحد (١)

وسأله أخوه الحارث وهو المعروف بالقَبَّاع وكان من أفاضل أهل دهره ، أن يترك الشعر ، ورغب اليه فى ذلك ووعظه ، فقال : أما ما دمت بمكة فلا أقدر ، ولكنى أخرج الى اليمن . فخرج فلما سار الى هناك لم تدعه نفسه وترك الشعر فقال :

هيهات من أَمَة الوهاب منزلنا * اذا نزلنا بسيف البحر من عدَن (٢)
واحتلّ أهلك أجياداً وليس لنا * الا التذكر أو حظٌّ من الحزَن

---

(١) النوكاء : الحمقاء (٢) سيف البحر ، بكسر السين ، ساحله

بل مانسيت غداة الخيف موقفها * وموقفي وكلانا ثَمّ ذو شَجَن

وقولها للثريا وهى مُطرقَةٌ * والدمع منها على الخدّين ذو سَنَن[1]

بالله قولى له فى غير معتبةٍ * ماذا أردت بطول المكث فى اليمن

ان كنت حاولت دنيا أوظفرت بها * فما أخذت بترك الحج من ثمن

فلما بلغ الشعر الحارث قال قد علمنا أنه لايفى[2]

وروى سفيان بن عيينة عن ابن جريج قال : لزمنى دين مرة فضاقت ساحتى وبلادى بى . فتوجهت الى معن بن زائدة باليمن ، فقال ما أقدمك هذه البلدة ؟ قلت دين طردنى عن وطنى ، قال : يقضى دينك ، وترد الى وطنك محبوًّا محبوراً قال فأقمت عنده ، ثم رأيت الناس يرحلون الى الحج فحننت الى مكة وذكرت قول ابن أبى ربيعة، وذكر الأبيات، فأتيت باب معن فقلت للحاجب استأذن لى على الامير، فلما دخلت عليه قال إن لك لحادث خبر ! قلت أستودع الله الامير واستحفظه عليه ، قال وماهاج هذا منك ؟ فقلت رأيت خروج الناس الى الحج وذكرت قول عمر فحننت الى مكة ، فقال أنت وحنينك ، وإن كنت بفراقك ضنينا ، وسيتبعك ما تحتاج اليه ، فسر مصاحباً . قال فسرت الى رحلى فأتبعنى بمال وثياب ومطايا ودواب ، وسرت الى مكة من فورى .

وكان عمر على غزله ومايذكره فى شعره عفيفا

حدث المغيرة ابن عبد الرحمن عن أبيه قال دخلت مع أبى مكة فجاءه عمر فسلم عليه وأنا غلام شاب وعلىّ جبة ، فجعل يأخذ بخصلة من شعرى فتمتد فى يده ثم يرسلها فترجع ، فيقول واشباباه ! فقال لى يا ابن أخى قد سمعت قولى : قلت لها وقالت لى . وكل مملوك لى حرّ إن كنت قط كشفت عن فرج حرام ! قال فقمت وفى نفسى من يمينه شيء فسألت عن رقيقه فقيل لى : أما فى هذا الحول فسبعون

---

(١) السنن : الطرائق (٢) ارجع إلى نقض هــذا الرأى فى كتاب « حب ابن أبى ربيعة وشعره » فى الفصل الذى عنوانه « الجوانب الجدية فى حياة ابن أبى ربيعة »

ويستحسن قول عمر فى المساعدة :

وخلٍّ كنت عينَ النصح منه * اذا نظرت ومستمعاً مطيعا
أطاف بغيّةٍ فنهيت عنها * وقلت له أرى أمراً شنيعا
أردت رشادَه جهدى فلما * أبى وعصى أتيناها جميعا

وهذا مأخوذ من قول دريد بن الصِّمة الجشمى (١)

أمرتهمُ أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الاّ ضحى الغد
فقلت لهم ظنّو بألفَىْ مدجَّجٍ * سراتهمُ فى الفارسىّ المسرَّد (٢)
فلما عصونى كنت منهم وقد أرى * غوايتهم واننى غير مهتدى
وما أنا إلا من غزية إن غوت * غويت وان ترشد غزية أرشدِ

ومن جيد شعره :

تقولين إنى لست أصدقك الهوى * وإنىَ لا أرعاكِ حين أغيب
فما بال طرفى عفّ عما تساقطت * له أنفسٌ من معشر وقلوب
عشية لا يستنكر القوم أن يروا * سِفاهَ حجًى ممن يقال لبيب
ولا فتنة من ناسك أومضت له (٣) * بعين الصبا كسلْى القيام لعوب
تروّح يرجو أن تحط ذنوبه * فآب وقد زِيدت عليه ذنوب
وما النسك أسلاني ولكن للهوى * على العين منى والفؤاد رقيب

ونظر عمر بن أبى ربيعة الى فتى من قريش يكلم امرأة فى الطواف فعاب ذلك عليه ، فذكر انها ابنة عمه ، فقال ذلك أشنع لأمرك ، قال إنى خطبتها الى عمى وانه زعم أنه لايزوجنى حتى أصدقها أربعمائة دينار وأنا غير قادر على ذلك ،

---

(١) أحد الشعراء الابطال ، غزا نحو مئة غزوة ولم يخب فى واحدمنها ، عمر طويلا حتى سقط حاجباه على عينيه . أدرك الاسلام ولم يسلم فقتل على دين الجاهلية يوم حنين

(٢) ظنوا ، هنا ، معناها تيقنوا . والمدجج : التام السلاح . والمسرد : المحكم النسج وهو صفة للدرع (٣) أومضت له : سارقته النظر

وذكر من حاله وحبه لها . فأتى عمر عمه فكلمه فى أمرها فقال انه مملق فزوجه. وساق عمر عنه المهر ، وكان عمر حين أسن حلف أن لايقول بيتا إلا أعتق رقبة ، فانصرف الى منزله يحدث نفسه فجعلت جاريته تكلمه ولا يجيبها فقالت إن لك لشأنا ، وأراك تريد أن تقول شعراً ، فقال :

تقول وليدتى لما رأتنى * طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت أمراً * وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاء * اذا ما شئت فارقت القرينا
لعمرك هل رأيت لها سمياً * فشاقك أم لقيت لها خدينا
فقلت شكى الىّ أخ محبٌ * كبعض زماننا إذ تعلمينا
فقص علىّ ما يلقى بهندٍ * فذكّر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وان تعزّى * مشوق حين يلقى العاشقينا
فكم من خُلة أعرضت عنها * لغير قِلىً وكنت بها ضنينا
أردت بعادها فصددت عنها * وان جنّ الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم

قال عثمان بن ابراهيم : حججت أنا وأصحاب لنا فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة فرأينا عمر بن أبى ربيعة وقد نسك وترك قول الشعر ، فقال بعضنا لبعض : هل لكم فيه ؟ فملنا اليه وسلمنا عليه ، وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا . فقال له بعضنا أيعجبك قول الفرزدق

سرت لعينك سلمى بعد مَغْفاها * فبِتَّ مُستلهياً من بعد مَسْراها
فقلت أهلا وسهلا من هداك لنا * إن كنت تمثالها أو كنت إياها
تأتى الرياح التى من نحو بلدتكم * حتى تقول دنت منا بريّاها
وقد تراخت بهم عنا نوًى قُذُفٌ * هيهات مُصبَحها من بعد ممساها(١)

---

(١) نوى قذف : بعيدة

من أجلها أتمنى أن يلاقيني * من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها
كيما أقول افتراق لا اجتماع له * وتضمر النفس يأساً ثم تسلاها
ولو تموت لراعتنى وقلت لها * يا بؤس للدهر ليت الدهر أبقاها

فلم يهش لذلك ، فقال الآخر أيعجبك قول العذرى :

لو حز بالسيف رأسى فى مودتها * لمرّ يهوى سريعا نحوها راسى
ولو بَلِي تحت أطباق الثرى جسدى * لكنت أبلى وماقلبى لكم ناسى
أو يقبض الله روحى صار ذكركمو * روحا أعيش به ماعشت فى الناس
لولا نسيمٌ لذاكركم يروِّحنى * لكنت محترقا من حرّ أنفاسى

فتحرك ثم قال : يا ويحه ! أبعد ما يحز رأسه يميل اليها ؟ ثم أنشأ يحدثنا فقال : أتانى خالد الدليل ،فقال : ان هندا وأترابها بموضع كذا وكذا من الصحراء أيام الربيع فقلت كيف الحيلة ؟ فقال تتلثم وتكتفل [٢] كأنك طالب ضالة ، ففعلت فدفعت اليهن ، فقلن يا أعرابى ما تطلب ، فقلت ضالة لى ، فقلن قد كلِلْتَ يا اعرابى ، فلو جلست فأصبت من حديثنا وأصبنا من حديثك ، ولعلك تروح الى وجود ضالتك ، فنزلت ، فلما امتدّ الحديث بنا حسرت هند لثامى ، وقالت أتراك خدعتنا ؟ نحن والله خدعناك ، و بعثنا اليك خالدا ، رأينا خلاء ومنظراً فأردناك ونظرت فى درعى فأعجبنى ما رأيت ، فقلت يا أبا الخطاب ؟ قال عمر فقلت لبيك! وفى ذلك أقول :

ألم تسأل الاطلال والمتربَّعا * ببطن حُليَّات دوارس بلقعا [١]
الى السَّرح من وادى المغمَّس بدِّلت * معالمه و بلاً ونكباء زعزعا [٢]

---

(١) اكتفل : ركب فوق الكفل ، بالكسر ، وهوشىءمستدير يتخذمن خرق أو غيرها ويوضع على سنام البعير (٢) حليات : اسم موضع (٣) المغمس : موضع قرب مكة فى طريق الطائف . والنكباء : الريح التى تنكب عن مهاب الرياح ، وريح زعزع شديدة

فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعد ما * نكأن فؤادا كان قدْ مَّاموجَّعا (١)
لهند واتراب لهند اذ الهوى * جميع واذ لم نخش أن يتصدّعا
واذ لانطيع العاذلين ولا نرى * لواشٍ لدينا يطلب الهجر مطمعا
واذ نحن مثل الماء كان مزاجه * كما صفّق الساقى الرحيق المشعشعا
تنوحين حتى عاود القلب خبله * وحتى تذكرت الحبيب المودّعا
فقلت لمطريهنّ بالحسن انما * ضَرَرْتَ فهل تسطيع نفعاً فتنفعا
وأشريت فاستشرى وقد كان قد صحا * فؤاداً بأمثال المها كان مولعا (٢)
لئن كان ما حدثت حقا فما أرى * كمثل الالى أطريت فى الناس أربعا (٣)
فقال تعالَ انظر فقلت وكيف لى * أخاف حديثا أن يشاع فيشنعا
فقال اكْتفِل ثم التثم فأت باغيا * فسلم ولا تكثر بأن تتورّعا
فأقبلت أهوِى مثل ما قال صاحبى * لموعدهِ أبغى قلوصاً موقّعا (٤)
فلما تواقفنا وسلّمت أقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما رأيننى * وقلن امرؤٌ باغ أكل وأوضعا (٥)
وقرّبن أسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قِسْنَ أصبعا
فلما تنازعن الأحاديث قلن لى * أخفتَ علينا أن نُغَرّ ونخدعا
فبالأمس أرسلنا بذلك خالداً * إليك وبينا له الأمر أجمعا
فما جئتنا الا على وَفْق موعدٍ * على ملأٍ منا خرجنا له معا
رأينا خلاءً من عُيون ومنظراً * دَميث الرُّبى سهل المحلة مُمْرِعا (٦)

---

(١) نكأ الجرح أصابه من جديد (٢) أشريته فاستشرى : هجته فهاج ، وشرى الشر ، على وزن رضى ، استطار . وشرى زيد غضب ولج ، ومثله استشرى ، ومنه الشراة للخوارج ، سموا بذلك للجاجتهم وإمعانهم في الخروج ، لا لأنهم شروا أنفسهم وباعوها فى الطاعة كما وهم بعض الناس (٣) الاطراء : المبالغة فى الثناء

(٤) الموقع : البعير تكثر عليه آثار الدبر (٥) أكل راحلته وأوضعها : أتعبها وأجهدها

(٦) دميث : سهل — والممرع : المخصب

وقلن كريمٌ نال وصل كرائمٍ * فحق له فى اليوم أن يتمتعا

وقوله: (وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا). يقول هذه الوجوهُ مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر شيئا عن الناظرين اليها ، وقد أشار الى هذا المعنى الشمّاخ بن ضِرار [1] يصف ناقته :

كأنّ ذراعيها ذراع مُدلةٍ * بُعَيْد الشباب حاولت أن تعذّرا

من البيض أعطاها اذا اتصلت دعَتْ * فِراس بن غنم أو لقيط بن يَعْمُرا

بها شَرَقٌ من زعفران وعنبرٍ * أطارت من الحسن الرداء المحبَّرا

عائشة بنت طلحة

قال وكانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لاتستر وجهها ، فلما دخلت على مصعب بن الزبير قال لها فى ذلك ، فقالت ان الله تعالى وسمنى بميسم جمال فأحببت أن يراه الناس ، والله ما بى وصمة أستتر لها

وقال على بن العباس الرومي يصف قينة :

لم يعتصم عودها بزامرةٍ * ولا انضوى وجهها الى السِّترِ

وقد ردد معنى قوله لم يعتصم عودها بزامرة فقال يصف برعة الكبيرة :

غنّتْ فلم تحوج الى زامر * هل تحوج الشمس الى شمعه

كأنما غنت لشمس الضحى * فألبستها حُسنها خِلْعه

كأنما رنّة مسموعها * رقة شكوى سبقَت دَمْعه

تهدى الى قلبك ما يشتهى * كأنها قد أطلعت طلعه

يجتمع الظرف لجلاَّسها * والحسن والاحسان فى بُقعه

---

(١) هو معقل بن ضرار المتوفى سنة ٢٢ كان أرجز الناس على البديهة . شهد القادسية وتوفى فى غزوة موقان

طَفّل على من حصلت عنده * فبعض تطفيل الفتى رفعه (١)
ربيع غيث فانتجع روضَهُ * فلن يُعابَ الحر بالنجعه (٢)

عمامة ابن الرومى

وكان ابن الرومى لايزال معتمًا وكان يغضب اذا سئل عن ذلك . وسأله بعض الرؤساء لم تَعْتَمُّ ؟ فقال بديها :

يا أيها السائلى لأخبرَهُ * عنِّىَ لِمْ لا أزال معتجرا
أستر شيئا لو كان يمكننى * تعريفه السائلين ما سُترا

وقد بين العلة التى أوجبت اعتمامه فى قوله :

تعممت إحصانًا لرأسىَ بُرْهةً * من القُرّ يوماواالحَرُور اذا سَفَعْ
فلما دهى طول التعمم لمتى * وأودى بها بعد الاطالة والفرع
عزمت على لبس العمامة حيلة * لتستر ما جرّت علىّ من الصَّلَع
فيالك من جانٍ علىّ جنايةً * جعلتُ اليه من جنايته الفَزَع
وأعجب شىء كان دائى جعلته * دوائى على وأعجِبْ بأن نفع

وهذا كقوله وان لم يكن فى معناه ، وقد رأيت من ينسبه الى كشاجم :

طربت الى المراة فروّعتنى * طوالع شيبتين ألمّتا بى
فأما شيبةٌ ففزعت منها * الى المقراض حبًا للتصابى
وأما شيبة فصفحت عنها * لتشهد بالبراءة من خِضابى
فأعجِبْ بالدليل على مَشيبى * أقمتُ به الدليل على شبابى

وهو القائل فى صفة رجل أَصلَع

يجذب من نقرته طُرَّةً * الى مدى يقصر عن مِيلِهِ
فوجهه يأخذ من رأسِهِ * أخذ نهار الصيف من ليلِهِ

(١) التطفيل : غشيان الوليمة من غير دعوة (٢) النجعة : الأرتحال فى سبيل الكلأ

وقال أعرابى

قد ترك الدهر صَفاتى صفصفا * فصار رأسى جبهة الى القفا [١]

كأنه قد كان ربعاً فعفا

سليمان بن عبد الملك

قال أعرابى لسليمان بن عبد الملك :

إنى أكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله ، فانّ وراءه إن قبلته ما تحبه .

قال هاتِه يا أعرابى ، فنحن نجود بسعة الاحتمال على من لا نأمن غيبته ، ولا نرجو نصيحته ، وأنت المأمون غيبا ، الناصح جيبا [٢]

قال فانى سأطلق لسانى بما خرست عنه الألسن ، تأدية لحق الله تعالى ، إنه قد اكتنفك رجال أساؤا الاختيار لأنفسهم . وابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم . وخافوك فى الله . ولم يخافوا الله فيك ، فهم حَرْب للآخرة . وسلم للدنيا . فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه . فانهم لم يألوا الامانة تضييعا . والأمة كَسْفاً وخسفا . وأنت مسئول عما اجترموا . وليسوا مسئولين عما اجترمت . فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك . فان أعظم الناس عند الله غبنا من باع آخرته بدنيا غيره .

فقال سليمان: أما أنت يا أعرابى فقد سللت لسانك وهو سيفك ، قال: أجل يا أمير المؤمنين، لك لا عليك .

وروى العتبى عن أبيه عن مولى لعمرو بن حُرَيث قال:

شخصت الى سليمان بن عبد الملك فقيل لى انك ترد على أفصح العرب .

(١) الصفاة : الصخرة ، والمراد بها حال المرء (٢) نصح الجيب : كناية عن سلامة الطوية.

وسيسألك عن المطر فانظر ما تجيبه . فقلت ما عندى من الجواب إلا ماعند العامة . فقيل لى : ما ذلك بمقنع عنده . فلقينى أعرابى فقلت :هل لك فى درهمين؟ فقال إنى والله محتاج اليهما ، حريص عليهما . فما شأنك ؟ قلت لو سألك سائل عن هذا المطر، بم كنت تجيبه ؟ قال أو يعيا بهذا أحد؟ قلت نعم سائلك ! قال: أتعيا أن تقول : أصابتنا سماء ، عمد لها الثرى ، واتصل بها العرى ، وقامت منها الغدُرُ ، وأتتك فى مثل وجار الضبع . فكتبت الكلام وأعطيته درهمين فكان هجِّيراى على الراحلة [1] فاذا نزلت أقبلت عليه وأمثل نفسى كأنى واقف بين يديه وقد سلمت عليه بالخلافة وهو يسألنى عن المطر ! فلما انتهيت اليه سألنى فاقتصصت الكلام فكسر إحدى عينيه ، وقال: إنى لأسمع كلاما ما أنت بأبى عُذْرته [2]. قلت صدقت وحياتك يا أمير المؤمنين اشتريته بدرهمين ! فاستغرب ضحكا ،ثم أحسن صلتى

وصف رجل ماجد

وقال أعرابى يمدح رجلا :

حليمٌ مع التقوى شجاع مع الجدَى * ندٍ حين لا يندَى السحاب سَكوب

ويجلو أموراً لو تضيَّفن غيره * لمات خفاتاً أو لكاد يذوب

شديد مناط القلب فى الموقف الذى * به لقلوب العالمين وجيب

فتًى هو من غير التخلُّق ماجد * ومن غير تأديب الرجال أديبُ

وقال بعض المحدثين يمدح :

فتًى يجعل المعروف قبل سؤالهِ * ويجعل دون العذر فضل التكرُّمِ

أغرُّ متى تقصد به فضل حظه * تصب ومتى تطلب به الغنم تغنمِ

(١) كان هجيراه على الراحلة : اى لم يزل يكرره وهو سائر (٢) ليس بأبى عذرته: ليس صاحبه ؛ والعذر ؛ أو العذرة ، البكارة ، وهو أبو عذر هذا الكلام أى اول من افتض بكارته ، يعنى أنه مبدعه

على رأيه ينضم مُنصَدِع الصفا * وينحل من عقد العُرى كل مُبْرَمِ
له عزمة أغنى من الجيش فى الوغى * وخطرة رامٍ كالحسام المصمم

البديع الهمذانى [1]

جملة من كلام أبى الفضل أحمد بن الحسين الهمذانى بديع الزمان

وهذا اسم وافق مسماه ، ولفظ طابق معناه ، كلامه غض المكاسر ، أنيق الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطفا ، والهوى يعشقه ظرفا ، ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى [2] أغرب بأر بعين حديثا ، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره واستنخبها من معادن فكره ، وأبداها للابصار والبصائر ، وأهداها للافكار والضمائر ، فى معارض عجمية ، وألفاظ حوشية ، فجاء أكثر ما أظهر تنبو عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حُجُبها الاسماع ، وتوسع فيها ، إذ صرّف ألفاظها ومعانيها ، فى وجوه مختلفة ، وضروب متصرّفة ، عارضها بأربعمائة مقامة فى الكُدْيَة ، تذوب ظرفا وتقطر حسنا . لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى ، وعطف مساجلتها ، ووقف مناقلتها ، بين رجلين ، سمى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الاسكندرى ، وجعلهما يتهاديان الدر ، و يتنافثان السحر ، فى معان تضحك الحزين ، وتحرك الرصين تُتَطلَّع منها كلُّ طريفة ، و يوقف منها على كل لطيفة . وربما أفرد أحدهما بالحكاية وخص أحدهما بالرواية . وسأذكر منها مالا يخل طوله بالشرط المعقود . ولا ينافى حصوله الغرض المقصود. [3]

---

(١) هو أشهر كتاب القرن الرابع وأبقاهم أثرا . كانت وفاته سنة ٣٩٨ وسيتحدث عنه صاحب زهر الآداب فى مواطن متفرقة (٢) ابن دريد هو محمد بن الحسن « لا الحسين كما ورد فى الاصل » المتوفى سنة ٣٢١ كان فيما وصفوه أعلم الشعراء وأشعر العلماء (٣) مؤدى هذا الكلام أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات وأنه حاكى ابن دريد فى أحاديثه ؛ وقد استغللت هذا النص فى كتاب الذى وضعته بالفرنسية عن النثر فى القرن الرابع . وقد دهش المسيو مارسيه لهذه الفكرة وعجب كيف اتفق الناس

كتابه الى أبى نصر الميكالى

كتب الى أبي نصر احمد بن على الميكالى :

كتابى أعزالله الأمير ، وبودّى أن أكونه ، فأسعد به دونه ، ولكن الحريص محروم ، لو بلغ الرزق فاه ، لولاّه قفاه . فرّق الله بين الأيام ، تفريقها بين الكرام وألهمها أن تورد بعقل ، وتُصدر بتمييز ، وماذلك على الله بعزيز ، وأنا فى مفاتحة الأمير ، بين ثقة تَعِد ، ويد ترتعد . ولم لا يكون ذلك ؟ والبحر وان لم أره ، فقد سمعت خبره ، ومن رأى من السيف أثره ، فقدعاين أكثره ، والليث وان لم ألْقَه فلم أجهل خُلقه ، وماوراء ذلك من تالد أصل وحسب ، وطارف فضل وأدب ، وبعد همة وصيت ؛ فمعلوم تشهد به الدفاتر ، والخبر المتواتر ، وتنطق به الاشعار ، كما تصدق به الآثار ، والعين أقل الحواس إدراكا ، والاذن أكثرها استمساكا ، وإن بعدت الدار فلا ضير : فان أيسر البعدين ، بعد الدارين ، وخير القربين قرب القلبين.

وكتب اليه فى سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة :

الأمير الفاضل ، والشيخ الرئيس ، رفيع مناط الهمة ، بعيد مثال الحرمة ، فسيح مجال الفضل ، رحيب منخرق الجود ، رطيب مكسر العود

فلو نظمت الثريا * والشِّعريَيْنِ قريضا

وكامل الأرض ضربا * وشعب رضوى عروضا

وصُغت للدر ضدا * وللهواء نقيضا

إلى اليوم على أن البديع هو منشىء فن المقامات . ولكنى من جانب آخر أذكر أنى لم أر مثل هذا الكلام في غير زهر الآداب ولا أزال ألتمس له مصدراً آخر ولم أعثر على شىء إلى اليوم . ويزيد فى الدهشة أن صاحب زهر الآداب يروى المسألة على أنها مقبولة معروفة لم تمس بنقض ولا تكذيب وقد نقلها عنه ياقوت فى معجم الادباء

بل لو جاوت عليه * سود النوائب بيضا
أو ادعيت الثريا * لأخمصيه حضيضا
والبحر عنـد لهاه * يوم العطاء مغيضا

لما كنت إلا فى ذمة القصور ، وجانب التقصير ، فكيف وأنا قاعد الحالة فى المدح ، قاصر الآلة عن الشرح ، ولكنى أقول : الثناء منجح أنى سلك ، والسخىُّ جوده بما ملك ، وإن لم تكن غُرة لائحة ، فلمحة دالة ، وإن لم يكن صَدّاء فماء[1] وان لم يكن خمر ، فخل ، وان لم يصبها وابل فطل ، وبذل الموجود غاية الجود ، وبعض الجهد آخر المجهود ، وماش ، خير من لاش[2] ووجود ما قل . خير من عدم ما جل ، وقليل فى الجيب ، خير من كثير فى الغيب . وجهد المقل خير من عذر المخل ، وحمار أيس ، خير من فرس لَيْس[3] وكوخ فى العيان ، خير من قصر فى الوهم . وزيت ، خير من ليت ، وما كان ، أجود من لو كان ، وقد قيل : عصفور فى الكف ، أجود من كركى فى الجو . ولأن تقطف ، خير من أن تقف ومن لم يجد الجميم ، رعى الهشيم[4] ومن لم يحسن صهيلا نهَق ، ومن لم يجد ماء تيمَّم

والامير الرئيس أدام الله نعماه . لاينظر فى قوافى صنيعته إلى ركاكة ألفاظها و بعد أغراضها ، ولكن إلى كثرة جذرها[5] ، وثقل مهرها ، وقلة كفؤها ، وانى منذ فارقت قصبة جرجان ، ووطئت عتبة خراسان ، ما زففتها إلا اليه ، ولا وقفتها إلا عليه ، هذا على تمرغى فى أعطاف المحن ، وضرورتى الى أبناء الزمن ، وان كان الامير الرئيس يرفع لكل لفظ حجاب سمعه ، ويفسح لكل شعر فناء طبعه ، فهاك من النثر ماترى ، ومن النظم ما يترى

---

(١) صداء : ماء يضرب به المثل فى الحلاوة ، ويقال : ماء ولا كصداء
(٢) لاش : لاشىء ، ويقابله ماش ، وهي عبارة مولدة
(٣) الأيس : القهر ، يريد أن حمار الضرورة خير من الفرس المعدوم
(٤) الجميم : النبت الغزير ، والهشيم اليابس (٥) الجذر ما تكافأ به المغنية

أدهق الكاس فعرف الفجـــر قد كاد يلوح

فهو للناس صباحٌ * ولذى الرأى صَبوح

والذى يمرح بى فى * حلبة اللهو جَموح

فاسقنيها والأمانىُّ * لها عرف يفوح

ان للأيام أسرا * رأبها سوف تبوح

لا يغرنَّك جسمٌ * صادق الحس وروح

انما نحن الى الآجا * ل نغدو ونروح

ويك هذا العمر تبريـ * ح وهذا الروح ريح

بينما أنت صحيح الجـ * سم اد أنت طريح

فاسقنيها مثل ما يلـ * فظه الديك الذبيح

قبل أن يضرب فى العمـ * ر بىَ القدح السنيح

انما الدهر غرور * ولمن أصغى نصيح

ولسان الدهر بالوعـ * ظ لواعيه فصيح

نستبيح الدهر والايا * م منا تستبيح

نحن لاهون وآجا * ل المنايا لا تريح

ياغلام الكأس فاليأ * س من الناس مريح

ضاع ما نحميه من * أنفسنا وهو مبيح

وقنوعا فمقام الذلِّ * بالحر قبيح

أنا يا دهر بأبنا * ئك شِقٌّ وسطيح[1]

وبأبكار القوافى * لاعلى كفؤٍ شحيح

يابنى ميكال والجو * د لعلاتى مزيح

شرفاً ان مجال الـ * فضل فيكم لفسيح

---

(١) شق وسطيح : كاهنان يضرب بهما المثل فى معرفة الغيب

وعلى قدر سنا الممدو * ح يأتيك المديح
فهناك الشرف الار * فع والطرف الطموح
والندى والخلق الط * اهر والخلق الصبيح
مرتقى مجد يحار الطر * ف فيه ويطيح
أى هذا الكرم الما * ثل والخلق السجيح
كان هذا الجود ميتاً * عاده منك المسيح

هذه أطال الله بقاء الأمير، هدية الوقت، وعفو الساغة، وفيض البديهة ومسارقة القلم، ومسابقة اليد للفم، وجمرات الحدة، وثمرات المدة، ومجاراة الخاطر للناظر، ومباراة الطبع للسمع، ومجاذبة الجنان للبيان. والشعر اذا لم تتقدمه روية ولم تنضجه نية. لم يفتح له السمع بابه. ولم يرفع له القلب حجابه. واذا لبس الامير هذه على علاتها رجوت أن يكون بعدها ما هو أفتن، وأحسن، وأرصن، فرأيه أيده الله فى الوقوف عليها موفق ان شاء الله

عتابه للميكالي

وله اليه معاتبة :

لئن ساءنى أن نلتنِي بمساءةٍ * لقد سرّنى انى خطرت ببالكِ

الأمير الفاضل، الشيخ الرئيس، أطال الله بقاه، الى آخر الدعاء، في حال برّه وجفائه متفضل، وفى يومَيْ إبعاده وإدنائه متطوّل، وهنيئاً له من حِمانا ما يحلّه، ومن عُرانا ما يحُله، ومن أعراضنا ما يستحله، بلغنى أنه آدم الله عزه استزاد صنيعته وكنت أظننى مجتنيًا عليه، مُساءً إليه، فاذا أنا فى قرارة الذنب، ومثارة العتب، وليت شعرى أى محظور فى العشرة خضرته، أو مفروض من الخدمة رفضته، أو واجب فى الزيارة أهملته، وهل كنت إلاضيفاً أهداه بلدٌ شاسع، وأدّاه أملٌ واسع، وحداه فضل وإن قل، وهداه رأى وان ضل، ثم لم يُلقِ إلا فى آل ميكال

رحله ، ولم يصل إلا بهم حبله ، ولم ينظم الافيهم شعره ، ولم يقف إلا عليهم شكره،
ثم ما بعدت صحبة إلادنت مهانة ، ولازادت حرمة الا نقصت صيانة ، ولاتضاعفت
مِنَّة ، الا تراجعت منزلة ، ولم تزل الضعة بنا حتى صار وابل الإعظام قطرة ، وعاد
قميص القيام صِدْرة ، وذلك التقرب ازورارا ، وطويل السلام اختصارا ، والاهتزاز
إيماء ، والعبارة اشارة ، وحين عاتبته آمُل إعتابه ، وكاتبته أنتظر جوابه ، وسألته
أرجو إيجابه ، أجاب بالسكوت ، وأعتب بالقنوت ، فما ازددت الا له ولاء ، وعليه ثناء ،
لاجرَم أنى اليوم أبيض وجه العهد ، واضح محجة الودّ ، طويل عنان القول ، رفيع
حكمة العذر ، وقد حمّلت فلاناً من الرسالة ما تجافى عنه القلم ، والامير الرئيس أطال
الله بقاءه ينعم بالاصغاء لما يورده موفقاً ان شاء الله

(وله اليه فى هذا الباب) أنا فى خدمة الأمير الرئيس ، أطال الله بقاءه ،
مترجّح بين أن أشربها رنقة ولا أسيغها ، وأجلج منها مضغة ولا أجيزها ، و بين
أن أطويها على غرّها ، ولا أرتضع أخلاف درّها

فلانفسى تطاوعنى لرفضٍ * ولاهمى توطننى لخفضِ

و بقى أن أقرصه بأنامل العتب ، وأجمشه بألحاظ العذل ، وأعرفه انى ماأطوى
مسافة مزار الامتجشما ، ولا أطأعتبة دار إلامتبرما ، ولست كمن يبسط يده مستجديا
أو ينقل قدمه مستعديا ، فان كان الأمير الرئيس أيده الله يسرح طرفه منى فى طامح
أو طامع ، فليعد للفراسة نظرا

فما الفقر من أرض العشيرة ساقنا * اليك ولكنا بقربك نتجحُ

وأجدنى كلما استفزنى الشوق الى تلك المحاسن ، أطير إليها بجناحين عجلا
وأرجع بعرجاوين خجلا ، ولولا أن الرضى بذلك ضرب من سقوط الهمة ، وأن
العتاب نوع من أنواع الخدمة ، لصنت مجلسه عن قلمى ، كما أصونه عن قدمى
ولملت إلى أرض الدعاء فهو أنجع ، و إلى جانب الثناء فهو أوسع ، وسأفعل لتخف
مؤنتى ، ولا تثقل وطأتى

اذا ما عتبت فلم تُعْتِب * وهنت عليك فلم تعن بى(١)
ساوت فلو كنت ماء الحياة * لعِفت الورود ولم أشرب

أبيات مختارة

قطعة من مفردات الابيات لأهل العصر فى معان شتى تجرى مجرى الامثال

— أبو فراس الحمدانى :

اذا كان غير الله للمرء عُدّةً * أتته الرزايا من وجوه المكاسبِ

— وله :

عفافك عىٌّ انما عفة الفتى * اذا عفّ عن لذاته وهو قادرُ

— وقال المتنبى :

كلُّ حلم أتى بغير اقتدارٍ * حجةٌ لاجئٌ إليها اللئامُ

— وله :

وإذا كانت النفوس كباراً * تعبت فى مُرادها الأجسامُ

— وله :

وإذا أتتك مذمتى من ناقصٍ * فهى الشهادة لي بأنى كاملُ

— وله :

لا يُعْجِبنَّ مَضيما حسن بزته * وهل تروق دفينا جودة الكفنِ

— وله :

من أطاق التماس شىء غِلاباً * واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا

— وله :

والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفةٍ فلعلّةٍ لا يظلمُ

(١) أعتبه : أزال عتبه

— وله :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبهُ * انى بما أنا باكٍ منه محسود

— وله :

ذكر الفتى عمره الثانى، وحاجته * ماقاته، وفضول العيش أشغالُ

والمتنبي أكثر المحدثين افتناناً واحساناً فى الاغراب بهذا الباب، والاستقصاء يخرج عن شرط الكتاب

— وقال السرى الموصلى :

خذوا من العيش فالأعمار فائتةٌ * والدهر منصرمٌ والعيش منقرضُ

— وله :

فانك كلما استودعتَ سرًّا * أنمُّ من النسيم على الرياضِ

— وقال أبو اسحق الصابى :

الضب والنون قد يرجى التقاؤهما * وليس يرجى التقاء اللبِّ والذهبِ

— وقال ابن نباتة :

مثلٌ خلعت على الزمان رداءهُ * عوَزَ الدراهم آفة الاجواد

— وله :

يهوى الثناء مبرِّزٌ ومقصرٌ * حب الثناء طبيعة الانسانِ

— وقال أبو الحسن السلامى :

تبسّطنا على اللذات لمّا * رأينا العفو من ثمر الذنوبِ

— وقال ابن لنكك البصرى :

وماذا أرجّى من حياة تكدَّرتْ * ولوقد صفتْ كانت كأحلام نائم

— وقال أبو طالب المأمونى :

لى فى ضمير الدهر سرٌّ كامنٌ * لابدّ أن تستلّه الاقدارُ

وقال أبو الفضل بن العميد :

الرأى يصدأ كالحسام لعارضٍ * يطرا عليه وصقله التذكيرُ

— وقال أبو الفتح:

بطِرْتم فطرتم والعصا زَجْرُ من عصى * وتقويم عبد الهُون بالهون رادعُ

— وله:

إذا بلغ المرء آمالهُ * فليس له بعدها مقترَحْ

— وقال الصاحب اسماعيل بن عباد:

إن أم الصقر فى الودِّ * لِمَقــــــلاتٌ نزور

— وله:

من لم يعدنا إذا مرضنا * إن مات لم نشهد الجنازة

— وله:

حفظ اللسان راحة الانسانِ * فاحفظه حفظ الشكر للاحسان

— وقال اسماعيل الناشى:

وكنت أرى أنّ التجارب عُدّةٌ * فخانت ثقات الناس حتى التجارب

— وقال أبو الفتح البستى:

لا ترجُ شيئاً خالصاً نفعهُ * فالغيث لا يخلو من العيثِ

— وله:

ولم أر مثل الشكر جنة غارسٍ * ولا مثل حسن الصبر جُبّة لابسِ

— وله:

وطول مُقام الماء فى مستقرِّهِ * يغيره ريحاً ولوناً ومطعما

— وله:

ما استقامت قناة رأيَ إلا * بعد ما عوَّج المشيب قناتى

— وقال أبو الفضل الميكالى:

هو الشوك لا يعطيك وافر منّةٍ * يد الدهر إلا حين تضرب به جلداً

— وله:

ذو الفضل لا يسلم من قَدْحِ * وإن غدا أقوم من قِدْحِ

— وقال شمس المعالى :

وفى السماء نجوم ما لها عددٌ * وليس يكسف إلا الشمس والقمر

هذا مأخوذ من قول الطائى :

أن الرياح اذا ما استعصفت قصفت * عيدان نجدٍ فلم يعبأن بالرتم[1]

بنات نعش ونعش لا كسوف لها * والشمس والبدر منها الدهر فى الرقم

— وقال أبو الحسن على بن عبد العزيز القاضى:

الهجر أروح من وصل على حذر * والموت أطيب من عيش على غَرَر

— وقال أبو بكر الخوارزمى:

لا تغرنك هذه الاوجه الغرُّ * فيارب حيةٍ فى رياض

أبو العيناء

قال أبو العيناء: كان عيسى بن فرخان شاه يتيه علىّ فى ولايته الوزارة ، فلما صُرف رهبنى ، فلقينى فسلم علىّ فأحفى . فقلت لغلامى من هذا ؟ قال أبو موسى. فدنوت منه وقلت :

أعزك الله ، والله لقد كنت أقنع بايمائك دون بيانك ، و بلحظك . دون لفظك . فالحمد لله على ما آلت اليه حالك . فلئن كانت أخطأت فيك النعمة . فلقد أصابت فيك النقمة . ولئن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال عليك . لقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك . ولله المنة اذ أغنانا عن الكذب عليك . ونزهنا عن قول الزور فيك . فقد والله أسأت حمل النعم . وما شكرت حق المنعم

فقيل له يا أبا عبد الله لقد بالغت فى السب . فما كان الذنب ؟ قال سألته حاجة أقل من قيمته . فردنى عنها بأقبح من خلقته

---

(١) الرتم : نبت ضعيف

بين أبى الصقر وابن الرومى

وقال على بن العباس الرومى لابى الصقر اسماعيل بن بلبل لما نكبه الموفق أبو أحمد وألمّ فى بعض قوله بقول أبى العيناء :

لا زال يومك عبرةً لغدك * وبكت بشجوٍ عين ذى حَسدك
فلئن نكبت لطالما نكبت * بك هِمة لجأت الى سندِك
لو تسجد الايام ما سجدت * إلاّ ليوم فتّ فى عضدك
يا نعمة ولّت غضارتها * ما كان أقبح حسنها بيدك
فلقد غدت برداً على كبدى * لما غدت حرًّا على كبدك
ورأيت نُعمى الله زائدةً * لما استبان النقص فى عددك
ولقد تمنت كل صاعقة * لو أنها صُبت على كتدك [1]
لم يبق لى مما برى جسدى * إلا بقاء الروح فى جسدك

وله فيه أهاج كثيرة لما نكب، منها قوله :

خفِّض أبا الصقر فكم طائر * خرّ سريعا بعد تحليق
زُوِّجت نعمى لم تكن كفأها * فصانها الله بتطليق
لا قُدِّست نعمى تسربلتها * كم حجة فيها لزنديق [2]

وكان أبو الصقر لما ولى الوزارة مدحه ابن الرومى بقصيدته النونية التى أولها :

أجْنَينك الورد أغصان وكثبان * فيهن نوعان : تفاح ورمان
وفوق ذينك أعناب مهدلة * سود لهن من الظلماء ألوان
وتحت هاتيك عناب تلوح به * أطرافهن قلوب القوم قنوان

---

(١) الكتد : مجتمع الكتفين (٢) يريد أن النعم التى تسربلها هذا الرجل وليس لها بأهل ، قوت حجة الزنادقة فى جحود الاله ، لانه لو كان هناك عدالة إلهية لحيل بين اللئام وبين جميع الطيبات

غصون بانٍ عليها الدهرَ فاكهةٌ * وما الفواكه مما يحمل البانُ
ونرجسٌ بات سارى الطل يضربهُ * وأقحوان منير اللون ريّان
ألّفن من كل شيء طيب حسنٍ * فهنّ فاكهة شتى وريحان
ثمار صدق اذا عاينت ظاهرها * لكنها حين تبلو الطعم خُطبان(١)
ولا يدُمنَ على عهدٍ لمعتقدٍ * والغانيات كما شبّهن بستان
يميل طوراً بحمل ثم يعدَمُه * ويكتسى ثم يُلْفى وهو عُرْيانُ

وهي أكثر من مائتى بيت مرّ له فيها احسان كثير ، فأنشدها أبا الصقر ، فلما سمع قوله:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمرى ولكن منه شيبانُ

قال هجانى ، قيل له إن هذا من أحسن المدح ألا تسمع ما بعده:

وكم أبٍ قد علا بابن ذُرى شرفٍ * كما علت برسول الله عدنانُ

قال أنا بشيبان لا شيبان بى فقيل له فقد قال:

ولم أقصّر بشيبان التى بلغت * بها المبالغ أعراقٌ وأغصانُ
لله شيبان قوم لا يشوبهُم * رَوْع اذا الروع شابت منه وُلْدان

— فقال لا والله لا أثيبه على هذا الشعر ، وقد هجانى .

— قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى : كنت يوماً عند عبيد الله بن عبدالله بن طاهر ، وقد ذكروا قصيدة ابن الرومى هذه النونية فقال : هذه دار البطيخ فاقرؤا تشبيهاتها تعلموا ذلك ! فضحك جميع من حضر

وفى هذه القصيدة يقول من المختار فى النسيب :

يارُبّ حُسّانة منهن قد فعلت * سوءاً وقد يفعل الأسواء إحسانُ
تُشكى المحب وتُلْفَى الدهر شاكية * كالقوس تُصمى الرمايا وهى مرنان(٢)

---

(١) الخطبان : نبات مر ، يضرب به المثل فيقال : أمر من نقيع الخطبان . وهو بضم الخاء المعجمة (٢) تشكى المحب : تحمله بظلمها على الشكاية — والرمايا جمع رمية ، يعنى مرمية ، وتصمى تقتل وتبيد

— وهذا كقوله فى قصيدة يصف فيها قوس البندق :

لها رَنَّةٌ أولى بها من تصبيهُ * وأجدر بالإعوال من كان مُوجَعا

— يقول فيها :

لا تَلحياني وإياها على ضَرَعى * وزهوها لجّ مفتونٌ وفتّانُ

إنى مُلِكت فبى للرق مسكنة * ومُلِّكت فلها بالمُلك طُغيان

لى مذنأت وجنة ريّا بمشربها * من عَبرتى وفمٌ ما عِشت ظمآنُ

— وفيها فى مدح بنى شيبان

قومٌ سماحتهم غيثٌ ونجدتُهُمْ * غوثٌ وآراؤهم فى الخطب شُهْبان

تلقاهمُ ورماح الخَطّ حولهُمُ * كالأُسد ألبسها الآجام خَفّان[١]

صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا * منهنّ فى سُبُل العلياء ما صانوا

المنعمون وما منّوا على أحدٍ * يوما بنُعمى ولو منوا لما مانوا[٢]

— يقول فيها فى أبى الصقر :

يفديه مَن فيه عن مقدار فديته * عن المفاداة تقصير ونقصان

قومٌ كأنهُمُ موتى اذا مُدِحوا * وما لهم من حبير الشعر أكفان

صاحى الطباع اذا سالت هواجِسه * وان سألت يديه فهو نشوان

يصْحِيه ذهنٌ ويأبى صحوَهُ كرمٌ * مستحكم فهو صاح وهو سكران

فردٌ جميعٌ يراه كل ذى بصرٍ * كأنه الناس طرًّا وهو إنسان

— وهذا كقول أبى الطيب :

ولقيت كل الفاضلين كأنما * ردّ الإله نفوسهم والاعصرا

نسقوا لنا نَسَق الحساب مقدّما * وأتى فذلك اذ أتيت مؤخرا

وقد تقدم .

---

(١) خفان ، بفتح الخاء المعجمة ، أجمة فى سواد الكوفة (٢) مان : كذب ، والاسم المين ، بالفتح

— وقال :

فان يك سيارُ بن مكرمٍ انقضى ✽ فانك ماء الورد إن ذهب الوَرْدُ
مضى وبنوه وانفردتَ بفضلهم ✽ وألف اذا ما جُمِّعت واحد فردُ

—وقال البحترى :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً ✽ لدى المجد حتى عُدّ ألف بواحدِ

— ومدحه وعاتبه بقصائد كثيرة فما أنجحت ، فمن ذلك قوله فى قصيدة طويلة يمدحه

فى وجهه روضة للحسن مونقةٌ ☆ ماراد فى مثلها طرفٌ ولا سرحا(١)
طلٌّ الحياء عليها ساقطٌ أبداً ☆ كاللؤلؤ الرطب لو رقرقته سفحا
أنا الزعيم لمكحولٍ بغرته ☆ أن لايرى بعدها بؤساً ولا ترحا
مهما أتى الناس من طول ومن كرم ☆ فانما دخلوا الباب الذى فتحا
يعطى المزاح ويعطى الجد حقهما ☆ فالموت إن جد، والمعروف إن مزحا
وافى عطارد والمريخ مولده ☆ فأعطياه من الحظين ما اقترحا
ان قال لا قالها للآمريه بها ☆ ولم يقلها لمن يستمنح المنحا
فى كفه قلم ناهيك من قلم ☆ نبلا وناهيك من كف بما اتشحا
يمحو ويثبت أرزاق العباد به ☆ فما المقادير إلا ما محا ووحى(٢)
كأنما القلم العلوىّ فى يده ☆ يجريه فى أى أنحاء البلاد نحا
لما تبسم عنك المجد قلت له ☆ قهقه فلا نغلاً تبدى ولا قلَحا(٣)
أثنى عليك بنعماك التى عظمت ☆ وقد وجدت بها فى القول منفسحا
أمطر بذاك جنانى تكسه زهرا ☆ أنت المحيا برياه إذا نفحا
أنشدتها على توالى الاختيار، وكذلك أجرى فى كثير من الاشعار

---

(١) راد وارتاد معناها واحد (٢) وحى : كتب ، قال رؤبة «لقدر كان وحاه الواحى»
(٣) النغل والقلح : فساد الاسنان

وقال يعاتبه ويستبطئه :

عقيد الندى أطلق مدائح جمةً * حبائس حسرى قد أبت أن تسرّحا
وكنت متى تنشد مديحاً ظلمته * يُرى لك أهجى ما يُرى لك أمدحا
عذرتك لو كانت سماء تقشّعت * سحائبها أو كان روض تصوّحا
ولكنها سُقيا حرمت رُويها * وعارضُها مُلْق كلاكل جُنَّحا[1]
وأكلاء معروفٍ حرمت مَريعها * وقد عاد منها السهل والحزن مسْرحا
عرضت لأورادى وبحرك زاخرٌ * فلما أردن الوِرْد ألفين ضَحْضحا
فلو لم ترد أوراد غيرى غماره * لقلت سرابٌ بالمتان توضّحا
فيا لك بحراً لم أجد فيه مشرباً * وان كان غيرى واجداً فيه مسبحا
مديحى عصا موسى وذلك أننى * ضربت به بحر الندى فتضحضحا
سأمدح بعض الباخلين لعلّه * اذا اطرد المقياس أن يتسمّحا
فياليت شعرى ان ضربت به الصفا * أيبعث لى منه جداول سُيَّحا
كتلك التى أبدت ثرى الارض يابساً * وشقت عيوناً فى الحجارة سفّحا
ملكت فأسجِحْ يا أبا الصقر انهُ * اذا ملك الاحرارَ مثلُك أسجحا

وماضرع الى أحد هذه الضراعة ، ولا فى طوقه هذا الاحتمال ، وهذه الأبيات الأخيرة انما ولد أكثرها من قول أبى تمام الطائى لمحمد بن عبد الملك الزيات

فلو حاردَتْ شَوْلٌ عذرت لِقاحها * ولكن حرمت الدَّرّ والضَرْع حافل
أكابرَنا عطفاً علينا فاننا * بنا ظمأ بَرْحٌ وأنتم مناهلُ

— وفيه يقول :

هذا مقامى يابنى وائلٍ * من مستجيرٍ بكمُ عائذِ
أنشب فيه الدهر أظفارَهُ * وعضه بالناب والناجذِ

---

(١) الكلاكل : الصدور ، وجنح : جمع جانح ، وهو المائل

فأنصفوا منه أخا حُرْمةٍ * لاذ بكم منه مع اللائذِ
فما أرى الدهر على جورِهِ * يخرج من حكمكم النافذِ

— وقال أيضاً :

يا أيها السيد الذى وَهَنْتَ * أنصار أموالهِ ولم يهنِ
فأصبحت فى يد الضعيف وذى الـ * قوّة والباقىّ واللسِنِ
غيرى على انى مؤملك الأ * قدم سائلْ بذاك وامتحنِ
مادح عشرين حِجة كُمُلا * محرومها عنك غير مضطغنِ
فضلك أو عدلك الذى ائتمن اللهُ * عليهِ أجلّ مؤتمنِ
إن كنتُ فى الشعر ناقداً فطنا * فلتعطنى حق حِصّة الفطِنِ
وان أكن فيه ساقطاً زَمِناً * فلتعطنى حق حصة الزَّمِنِ
سُمْ بىَ ديوانك الذي عدلت * جدواه بين الصحيح والضمِنِ[1]
كثّر بشخصى من استطعت من النا * س فان لم أزنك لم أشِنِ
ماحق من لان صدره لك بالودّ * لقاءه بجانب خشِنِ

— وقال أبو العباس الرومى لرجل مدحه فى كلمة :

أبعد لِقاىَ دونك كل قَفْرٍ * يدِقّ الشخص فيه أن يُلاقَى
وإعمالى اليك به المطايا * وقد ضرب الظلام له رِواقا
ورفضى النوم إلا أن ترانى * أعانق واسط الكُور اعتناقا
تسوق بنا الحداة فليس تدرى * أشوقاً كان ذلك أم سِيَاقا
أصادف دِرّة المعروف شكْرَى * لديك ولا أذوق لها ذُواقا[2]

— يقول فيها :

غداً يعلو الجياد وكان يعلو * اذا مااستفره السِّبت الرِّقاقا[3]

---

(١) الضمن ، على وزن كتف ، المريض (٢) شكرى ، على وزن سكرى ، ملآنة
(٣) استفره : طلب الفاره القوى من الخيل ، والسبت بكسر السين المهملة جلود البقر : يريد أنه كان يركب الخيل من الدواب

أعنتها الشسوع فان عراها * حفاء الكد أنعلها طراقا
فزُوِّج بعد فقرٍ منه نعمى * أرانى الله صُبْحَتَها الطلاقا

عود الى أبى العيناء

قال أبو القاسم على بن حمزة بن شمردل حدثنى أبىقال : سألت أباالعيناء عن نسبه فقال : أنا محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، وأصل قومى من بنى حنيفة من أهل اليمامة، ولحقهم سباء فىأيام المنصور ، فلما صار ياسر فى قيده أعتقه، فولاؤنا لبنى هاشم

وكان أبو العيناء ضرير البصر ، ويقال ان جده الاكبر لقى علىبنأبىطالب رضى الله عنه فأساء مخاطبته ، فدعاعليه وعلى ولده بالعمى ، فكل من عمى منهم صحيح النسب !

قال الصولى : حدثنى أبو العيناء قال:لما أُدخلت علىالمتوكلفدعوت له وكلمته استحسن كلامى وقال لى : إن فيك شرًّا ! فقلت يا أمير المؤمنين، ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسىء باساءته ، فقد زكّى الله تعالى وذم ، فقالفى التزكية (نعم العبد انه أواب) وقال فى الذم (همّاز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم) وقال الشاعر :

إذا أنا لم أمدح على الخير أهلهُ * ولم أذمم الجِبسَ اللئيم المذمَّا[1]
ففيمَ عرفت الخير والشر باسمِهِ * وشقَّ لىَ الله المسامع والفما

وان كان الشر كفعل العقرب التى تلسع السَّنىّ والدنِىّ بطبع لا بتمييز فقد صان الله عبدك عن ذلك !

فقال لى بلغنى انك رافضىّ ، فقلت يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضيا

(١) الجبس : هو الدنىء الجبان ، ويجمع على أجباس ، قال
ماض إذا الاجباس بعدالكرى تناكحت أزواج أحلامها

و بلدى البصرة ، ومنشئى فى مسجد جامعها ، وأستاذى الأصمعى ، وليس يخلو القوم أن يكونوا أرادوا الدين أو الدنيا ، فان كانوا أرادوا الدين فقد أجمع الناس على تقديم من أخروا ، وتأخير من قدموا ، وان كانوا أرادوا الدنيا فأنت وآباؤك أمراء المؤمنين ، لادين إلا بك ، ولا دنيا إلا معك . قال كيف ترى دارى هذه ؟ قال قلت رأيت الناس بنوا دورهم فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك . فقال لى ما تقول فى عبيدالله بن يحيى؟ قلت نعم العبد لله ولك مقسَّم بين طاعته وخدمتك ، يؤثر رضاك على كل فائدة ، وما عاد بصلاح ملكك على كل لذة . قال فما تقول فى صاحب البريد ميمون بن ابراهيم ، وكان قد علم أنى واجد عليه لتقصير وقع منه فى أمرى ، فقلت يا أمير المؤمنين يدٌ تسرق واستٌ تضرط ! وهو مثل اليهودى سرق نصف جزيته ، فله إقدام بما أدَّى ، وإحجام بما أبقى ، إساءته طبيعة ، وإحسانه تكلف .

قال قد أردتك لمجالستى ، قلت لا أطيق ذاك ، وما أقول ذلك جهلا بمالى فى هذا المجلس من الشرف ، ولكنى محجوب ، والمحجوب تختلف عليه الاشارة ، ويخفى عليه الايماء ، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان ووجهك راض أو بكلام راض ووجهك غضبان ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت . قال صدقت ، ولكن تلزمنا ، قلت لزوم الفرض الواجب اللازم . فوصلنى بعشرة آلاف درهم

أحاديثه مع المتوكل

ولأبى العيناء مع المتوكل مجالس أدخل الرواة بعضها فى بعض وسأورد مستظرفها ان شاء الله

— قال له المتوكل يوما: يا أبا العيناء لا تكثر الوقيعة فى الناس ، قال إن لى فى بصرى لشغلا عن الوقيعة فيهم . قال ذلك أشد لحيفك فى أهل العافية !

— وقال له يوماً هل رأيت طالبيا حسن الوجه قط ؟ فقال يا أمير المؤمنين أرأيت

أحدا قط سأل ضريراً عن هذا ؟ قال لم تكن ضريراً فيما تقدم ، وانما سألتك عما سلف ، قال نعم رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فى ما رأيت أجمل منه ، قال المتوكل تجده كان مؤاجراً وتجدك كنت قواداً عليه ! فقال أبو العيناء :وفرغت لهذا يا أمير المؤمنين ، أترانى أدع موالىّ على كثرتهم ، وأقود على الغرباء ؟ قال اسكت يامأبون ؟ قال مولى القوم منهم ! قال المتوكل أردت أن أشتفى به منهم فاشتفى لهم منى !

— وكان أبو العيناء أحدّ الناس خاطراً ، وأحضرهم نادرة ، وأسرعهم جواباً وأبلغهم خطاباً

— والمتوكل أول من أظهر من خلفاء بنى العباس الانهماك على شهوته ، وكان أصحابه يَستخفون ويُسفون بحضرته ، وكان يهاتر الجلساء ، ويفاخر الرؤساء ، وهو مع ذلك من قلوب الناس محبّب ، واليهم مقربٌ : إذ أمات ما أحياه الواثق من إظهار الاعتزال ، واقامة سوق الجدال

رسائل أبى العيناء

قال محمد بن مكرم الكاتب :

من زعم أن عبد الحميد أ كتب من أبى العيناء إذا أحسّ بكرم ، أو شرع فى طمع ، فقد ظلم . كتب إلى أبى عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد ، وهما يطالبان بمال يبيعان له ما يملكانه من عقار وأثاث وعبد وأمَة ، وقد أعطى بخادم أسود لعبيد الله خمسون دينارا

« قد علمت أصلحك الله أن الكريم المنكوب أجرى على الأحرار من اللئيم الموفور ، لأن اللئيم يزيد مع النعمة لؤما ، والكريم لا يزيد مع المحنة إلا كرما ، هذا متكل على رازقه ، وهذا يسيء الظن بخالقه ، وعبدك إلى ملك « كافور » فقير ، وثمنه على ما اتصل بى يسير ، لأنه بخدمته السلطان ، يعرفنى

الرؤساء والاخوان ، ولست بواجد ذلك فى غيره من الغلمان ، فان سمحت به فتلك عادتك ، وان أمرت بأخذ ثمنه فمالك مادتى ، أدام الله دولتك ، واستقبل بالنعمة نكبتك

فأمر له به

— وسمع ابن مكرم يقول: من ذهب بصره قلت حيلته. قال ما أغفلك عن أبى العيناء !

وكتب أبو العيناء الى عبيد الله بن سليمان :

— أنا أعزك الله تعالى وولدى وعيالى زرع من زرعك ، إن سقيته راع وزكا ، وإن جفوته ذبل وذوى ، وقد مسنى منك جفاء بعد بر ، وإغفال بعد تعاهد ، حتى تكلم عدو ، وشمت حاسد ، ولعبت بى ظنون رجال كنت بهم لاعباً ، ولهم مجرِّسا ، ولله در أبى الاسود فى قوله :

لا تُهنِّى بعد إذ أكرمتنى * فشديدٌ عادة منتزَعة

فوقّع فى رقعته :

— أنا ، أسعدك الله، على الحال التى عهدت ، وميلى اليك كما علمت ، وليس من أنسأناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل لنا ، واقتسام زماننا، وكان من حقك علينا أن تذكرنا بنفسك ، وتعلمنا أمرك ، وقد وقعت لك برزق شهرين ، لتريح غلتك ، وتعرفنى مبلغ استحقاقك ، لأطلق لك باقى أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام

— وكان اذا خرج من داره يقول : اللهم إنى أعوذ بك من الرَّكْب والرُّكَب والآجُرّ والخشب ، والروايا والقِرب

نوادره وفكاهاته

قطعة من خطابه وجوابه :

— دخل على أبى الصقر بعد ما تأخر عنه فقال : ما أخرك عنا ؟ قال سُرق حمارى : قال وكيف سرق ؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك ! قال فلم لم تأتنا على غيره ؟

قال قعد بى عن الشراء قلة يسارى ، وكرهت ذلة المكارى ، ومنّة العوارى

— وزحمه رجل بالجسر على حماره فضرب بيديه على أذنى الحمار ، وقال : يا فتى قل للحمار الذى فوقك يقول: الطريق !

— ودخل على ابراهيم بن المدبّر وعنده الفضل ابن اليزيدى وهو يلقى على ابنه مسائل من النحو. فقال فى أى باب هذا ؟ قال فى باب الفاعل والمفعول به . قال هذا بابى وباب الوالدة حفظها الله ! فغضب الفضل وانصرف ، وكان البحترى حاضراً فكتب بعد ذلك بقصيدته الى ابراهيم بن المدبر التى أولها

ذكّرتنيك روحةٌ للشمولِ * أوقدت لوعتى وهاجت غليلى

أى شىء ألهاك عن سر من را * ء وظل للعيش فيها ظليل (١)

وفيها يقول :

أقتصاراً على أحاديث فضلٍ * وهو مستكره كثير الفضُول

فعلامَ اصطفيت منكَسف البا * ل معاد المخراق نزْرَ القبول

ان تزره تجده أخلق من شيـ * ب الغوانى ومن تعفّى الطلول

مسرجاً ملجماً وما متع الصبـ * ح ادّلاجا للشحذ والتطفيل (٢)

غير أن المعلمين على حا * ل قليلو التمييز ضعْفى العقول

فاذا ما تذاكر الناس معنًى * من متين الاشعار والمجهول

قال هذا لنا ونحن كشفنا * غيبه للسؤال والمسؤول

ضرب الأصمعى فيهم أم الاحمـ * ر أم ألقحوا بأير الخليل (٣)

جُلُّ ما عنده التردد فى الفا * عل من والديه والمفعول

— وعزى بعض الأمراء فقال : أيها الأمير! كان العزاء لك لابك ، والعناء لنا لالك ، واذا كنت البقية ، فالرزية عطية ، والتعزية تهنية

(١) سر من راء : هى مدينة سر من رأى (٢) متع الصبح : ظهر ، والشحذ والتطفيل : التسول والسؤال (٣) الاحمر : هو خلف الاحمر

— وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق فقال : لو كان فى زمن بنى اسرائيل ونزل ذبح البقرة ما ذُبح غيره ! قيل: فأخوه عمر ؟ قال كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا

— وكان موسى بن عبد الملك قد اغتال نجاح بن سلمة فى شراب شربه عنده. فقال المتوكل بعد ذلك لأبى العيناء :ما تقول فى نجاح بن سلمة ؟ قال ما قال الله تعالى : فوكزه موسى فقضى عليه ! فاتصل ذلك بموسى فلقى الوزير عبيدالله بن يحيى ابن خاقان فقال : أيها الوزير أردت قتلى فلم تجد إلى ذلك سبيلا إلا بأدخال أبى العيناء إلى أمير المؤمنين مع عداوته لى ، فعاتب عبيد الله أبا العيناء في ذلك فقال والله ما استعذبت الوقيعة فيه حتى ذممت سريرته لك . فأمسك عنه . ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال: كيف كنت بعد ؟ قال: فى أحوال مختلفة خيرها رؤيتك ، وشرها غيبتك . فقال قد والله اشتقتك ! قال إنما يشتاق العبد ، لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه ' وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه .

— وقال له المتوكل : من أسخى من رأيت ؟ قال ابن أبى دواد . قال المتوكل تأتى إلى رجل رفضته فتنسبه إلى السخاء ؟ قال إن الصدق يا أمير المؤمنين ليس فى موضع من المواضع أنفق منه فى مجلسك ، وان الناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود لأن سخاء البرامكة منسوب إلى الرشيد وسخاء الفضل والحسن ابنى سهل منسوب إلى المأمون ، وجود بن أبى دواد منسوب إلى المعتصم ، فاذا نسب الناس الفتح وعبيدالله ابنى يحيى إلى السخاء فذلك سخاؤك يا أمير المؤمنين . قال صدقت. فمن أبخل من رأيت ؟ قال موسى بن عبد الملك . قال:وما رأيت من بخله ؟ قال رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ، ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة . فقال له :قد وقعت فيه عندى مرتين وما أحب لك ذلك فالقه واعتذر اليه ، ولا يعلم أنى وجهت بك .قال يا أمير المؤمنين،من يستكتمنى بحضرة ألف ؟ قال لن تخاف ، قال على الاحتراس من الخوف . فصار إلى موسى فاعتذر كل واحد منهما إلى

صاحبه ، وافترقا عن صلح . فلقيه بعد ذلك بالجعفرى فقال: يا أباعبد الله قد اصطلحنا فمالك لا تأتينا ؟ قال: أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس ؟ فقال موسى ما أرانا إلا كما كنا !

— وقال له المتوكل : ابراهيم بن نوح النصرانى واجد عليك ، قال : ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم !

— قال ان جماعة من الكتاب يلومونك ، فقال :

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضباناً علىّ لئامها

قال المتوكل له : أكان أبوك فى البلاغة مثلك ؟ قال : لو رأى أمير المؤمنين أبى لرأى عبداً له لا يرضانى عبداً له

— وقيل لأبى العيناء: ان المتوكل قال لولا انه ضرير البصر لنادمته ، فقال: ان أعفانى من رؤية الأهلة ، وقراءة نقش الفصوص ، فأنا أصلح للمنادمة

— ولقيه رجل من اخوانه فى السَّحَر ، فجعل يعجب من بكوره ، فقال أراك تشاركنى فى الفعل وتفردنى بالتعجب !

— ووقف به رجل من العامة فأحس به فقال: من هذا ؟ قال: رجل من بنى آدم . قال مرحباً بك، أطال الله بقاك ، وبقيت فى الدنيا ، ما ظننت هذا النسل إلا قد انقطع !

— ودخل على عبيد الله بن سليمان فقال : اقرب منى يا أبا عبد الله ، فقال أعز الله الوزير ، تقريب الأولياء ، وحرمان الأعداء ، قال تقريبك غنم ، وحرمانك ظلم ، وأنا ناظر فى أمرك نظراً يصلح من حالك ، ان شاء الله

— وقال له يوماً : اعذرنى فانى مشغول. فقال له :إذا فرغت من شغلك لم تحتج اليك ، وأنشده

فلا تعتذر بالشغل عنا فانما * تُناط بك الآمال ما اتصل الشغلُ

ثم قال: ياسيدى قد عذرتك، فانه لا يصلح لشكرك ، من لا يصلح لعذرك ،

— وأقبل اليه يوماً فقال : من أين يا أباعبد الله ؟ قال : من مطارح الجفاء !

— و قال له مرة : نحن فى العطلة مرحومون ، وفى الوزارة محرومون ، وفى القيامة كل نفس بما كسبت رهينة

— وسار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد فقيل هو مشغول يصلى ، قال : لكل جديد لذة ! وكان صاعد نصرانيا قبل الوزارة

— ودخل الى عبيد الله بن سليمان فشكا اليه حاله فقال : أليس قد كتبنا لك الى ابراهيم ابن المدبر فقال : كتبت الى رجل قد قصر من همته طول الفقر ، وذل الأسر ، ومعاناة محن الدهر ، فأخفقته فى طلبتى ! قال أنت اخترته؟ قال وما علىّ أعز الله الوزير فى ذلك ، قد اختار موسى قومه سبعين رجلا ، فما كان منهم رشيد ، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتباً ، فرجع الى المشركين مرتداً ، واختار على ابن أبى طالب أباموسى حاكما له فحكم عليه !

ابراهيم بن المدبر

وكان ابراهيم بن المدبر أسره صاحب الزنج بالبصرة وحبسه ، فاحتال حتى ثقب السجن وهرب ، فلذلك ذكر أبو العيناء ذل الأسر ، وكان قد ضرب فى وجهه ضربة بقي أثرها إلى أن مات .

— ولذلك قال البحترى :

ومبينة شهرَ المنازل وسمها * والخيل تكبو فى العجاج الكابى
كانت بوجهك دون عرضك اذ رأوا * أن الوجوه تصان بالاحساب
ولئن أسرت فما الإسار على امرئ * نصر الإسار على الفرار بعاب [1]
نام المضلل فى سُراك ولم تخف * عين الرقيب وقسوة البواب
فركبتها هولا متى تخبر بها * يقل الجبان أتيت غير صواب
ماراعهم إلا استراقك مصلتاً * فى مثل بُرد الأرقم المنساب [2]

(١) العاب : العيب (٢) المصلت: السيف ، والارقم : الحية

تحمى أُغَيْلِمَةً وطائشة الخطى * تصل التقلُّب خشية الطلاب
قد كان يوم ندى بطَولك باهراً * حتى أضفت إليه يوم ضِراب (١)
ذكرمن البأس استعذت الى الذى * أعطيت فى الاخلاق والآداب
ووحيدة أنت انفردت بفضلها * لولاك ما كتبت على الكتّاب

صاحب الزنج

قال أبو بكر الصولى حدثنى محمد بن أبى الازهر وقد ذاكرته خبر على صاحب الزنج قال: ادعى أنه على بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فنظرت مولده ومولد محمد بن أحمد الذى ادعاه فكان بينهما ثلاث سنين . وكان لمحمد بن أحمد ولد اسمه على مات بعد هذا المدعى اسمه ونسبه بزمان . ثم رجع عن هذا النسب فادعى أنه على بن محمد ابن عبد الرحيم بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان ابن زيد بن على . قال أبو عبيدة محمد بن على بن حمزة ولم يكن ليحيى ولد يقال له رحيب ولا غيره لانه قتل بن ثمانى عشرة سنة ولا ولد له . قال بشر بن محمد بن السرى بن عبد الرحمن بن رحيب: هو ابن عم أبى لحا على بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ورحيب رجل من العجم من أهل ورتين من ضياع الرى وهو القائل لبنى العباس

بنى عمنا إنّا وأنتم أناملٌ * تضمنها من راحتيها عقودها
بنى عمنا وليّتم الترك أمرنا * ونحن قديماً أصلها وعمودها
فما بال عُجم الترك تقسم فيئنا * ونحن لديها فى البلاد شهودها
فأقسم لاذقت القراح وان أذق * فبُلغة عيش أو يباد عميدها (٢)

— وقال أيضا :

لهف نفسى على قصورٍ ببغدا * دَ وما قد حوته من كل عاصٍ

(١) الضراب : الطعان (٢) البلغة : مايتبلغ به

وخمور هناك تشرب جهراً * ورجال على المعاصى حِراص

لست بابن الفواطم الزُّهر إن لم * أقحم الخيل بين تلك العراصِ

وله فى هذا المعنى شعر كثير قد ناقضه البغداديون ، وكانت مدته حين نَجَم إلى أن قتل أربع عشرة سنة ، وجملة من قتل ألف ألف وخمسمائة ألف

ملح أبى العيناء

— وذكر أبو العيناء رجلا فقال : ضحك كالبكاء ، وتودد كالعزاء ، ونوادر كندب الموتى !

—وكان يهاتر بن مكرم كثيراً: كتب اليه ابن مكرم يوما: (قد ابتعت لك غلاماً من بنى ناشر ، ثم من بنى ناعظ ثم من بنى نهد) فكتب اليه (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين)

— وولد لأبى العيناء ولد فأتى ابنُ مكرم فسلم عليه ووضع حجراً بين يديه وانصرف فأحس به فقال : من وضع هذا ؟ فقيل ابن مكرم ، قال :لعنه الله! انما عرّض بقول النبى صلى الله عليه وسلم : الولد للفراش وللعاهر الحجر .

—وقال لابن مكرم وقد قدم من سفر : مالك لم تهد البناهدية ؟ قال لم آت بشىء وانما قدمت فى خف.قال : لو قدمت فى خف لخفت روحك !

— وأتى الى باب ابراهيم بن رياح فحُجب فقال : إذا شغل بكأس يمناه ، وبحر يسراه ، وانتسب إلى أب لا يعرف أباه ، لا يحفل بحجاب من أتاه

— وقدم اليه أبو عيسى بن المتوكل سكباجة فجعل لا تقع يده الا على عظم ، فقال : جعلت فداك هذه قِدر أو قبر !

— ودعا ضريرا ليعشيه فلم يدع شيئاً إلا أكله ، فقال : يا هذا دعوتك رحمة فتركتنى رحمة

انتهى الجزء الأول

فهرست الجزء الأول

من كتاب زهر الآداب

صفحة	
٤	مقدمة الطبعة الاولى
٢١	مقدمة الطبعة الثانية
٣٣	مقدمة المؤلف
٣٨	إن من البيان لسحرا
٣٩	عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر
٤٠	غلام يتكلم فى حضرة عمر بن عبد العزيز
٤١	السحر الحلال
٤٣	وصف رجل نبيل
٤٢	كلمة تهديد
٤٣	حلاوة الحديث
٤٤	علية بنت المهدى
٤٦	قيد الاوابد
٤٨	عود الى حلاوة الحديث
٥٣	الشعر والبيان
٥٤	عبد الله بن كعب
٥٥	حكومة عمر فى الشعر
٥٥	جمرات العرب
٥٦	انتقام امرأة
٥٦	تعريض قادح
٥٧	دفع شعر جرير

صفحة	
٥٨	فضل الشعر
٥٩	شذور من كلام الرسول
٦٢	شعراء الرسول
٦٤	أبو سفيان
٦٤	شعر كعب بن مالك
٦٥	قصة النضر بن الحارث
٦٦	وفاة رسول الله .
٦٩	مناقب أبى بكر
٧٠	رثاء أبى بكر
٨١	عمر بن الخطاب
٧٣	بكاء عمر
٧٤	عاتكة بنت زيد
٧٤	عثمان بن عفان
٧٥	على بن أبى طالب
٨٢	عمرو بن عبد ود
٨٣	بيضة البلد
٨٤	هوان قبيلة عاملة
٨٤	كلام الصحابة والتابعين
٨٥	آثار معاوية
٨٦	الاحنف بن قيس
٨٨	شعر زهير
٩٠	التهنئة والتعزية

صفحة		صفحة	
٩١	فتن الحياة	١٢٨	ابراهيم بن هرمة
٩١	كلمات مأثورة	١٢٩	موسى بن عبد الله
٩٣	أهل البيت	١٣٠	الجناح المهيض
٩٤	وصف قريش وبنى هاشم	١٣٠	العباس بن الحسين
٩٦	الحسن بن على	١٣٢	موسى بن جعفر
٩٨	المصيبة بأبناء النبوة	١٣٢	على بن موسى
٩٩	بين الحسن ومحمد بن الحنفية	١٣٣	دعبل بن على
٩٩	الدنيا فى رأى الحسين	١٣٥	أوصاف الاشراف
١٠٠	معاوية والحسين	١٣٧	الابتداء بحمد الله
١٠١	ابن أبى ربيعة وسكينة	١٣٨	محمود الوراق
١٠٢	على بن الحسين	١٣٩	البيان
١٠٢	قصيدة الفرزدق فى على بن الحسين	١٤٠	الكلام البليغ
١٠٥	هيبة اللقاء	١٤١	وصف القرآن
١٠٨	عاقبة الحرب	١٤٢	ماهية البلاغة
١١١	قتال الاقارب	١٤٣	عمرو بن عبيد
١١٣	مالك بن أنس	١٤٤	البلاغة عند أهل الهند
١١٤	شعر أبى تمام	١٤٥	البلاغة فى رأى ابن المقفع
١١٦	محمد بن على	١٤٦	الاطالة والايجاز
١١٧	زيد بن على	١٤٧	المعانى والالفاظ
١١٩	مصرع زيد بن على	١٥٠	بشار بن برد
١١٩	عبد الله بن الحسن	١٥١	وصية أبى تمام للبحترى
١٢٠	الجمال المصون	١٥٢	فضل الليل
١٢١	عود الى عبد الله بن الحسن	١٥٢	فضل التروى والأناة
١٢٣	امرأة محمد بن عبد الله	١٥٤	واجب النساخ
١٢٣	جعفر بن محمد	١٥٤	صور مختلفة للبلاغة
١٢٤	عبد الله بن معاوية	١٥٨	صفة البلاغة والبلغاء
١٢٦	الحسن بن زيد	١٦٢	وصف النثر والشعر

صفحة	
١٦٥	كتاب لابن العميد
١٦٥	كتاب للصاحب بن عباد
١٦٦	أبو الفضل الميكالى
١٦٨	أبو منصور الثعالبى
١٦٩	ألفاظ أهل العصر
١٦٩	رسائل الميكالى
١٧٢	وصف أبى الفضل الميكالى
١٧٤	أمراء البيان
١٧٥	وصف البلاغة
١٧٩	الوزير المهلبى
١٨٠	الحكمة ضالة المؤمن
١٨١	وصف الكتاب
١٨٤	تهادى الكتب
١٨٧	أوصاف الكتب
١٩٠	لوعة الشوق
١٩١	الفهم والافهام
٩٩٢	ربيع القلب والروح
١٩٣	طرفة أدبية
١٩٤	واجب الجليس
١٩٥	الحديث المعاد
١٩٥	أنواع الادب
١٩٦	اللهو المباح
١٩٧	تقسيم الايام
١٩٨	فضل الايجاز
١٩٨	فضل السكوت
١٩٩	ذكاء اياس
٢٠٠	الفرار من الحديث المملول

صفحة	
٢٠٠	طرف أدبية
٢٠٢	ملح الغاضرى
٢٠٣	ملح أشعب
٢٠٤	أبو نواس
٢٠٤	الجماز
٢٠٥	مناقب الرجال
٢٠٦	رواية الشعر والنسيب
٢٠٧	عروة بن أذينة
٢٠٨	ابو السائب المخزومى
٢٠٩	عود الى عروة بن اذينة
٢٠٩	حب الاحوص
٢١٠	يغفر الله لاهل الجمال
٢١١	ابو حازم
٢١١	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
٢١٢	ما يفعل الحب بالقلب
٢١٣	ابو نواس وجنان
٢١٤	ظرف اهل المدينة
٢١٥	التشبيب بأخت الحجاج
٢١٧	وصف الدنيا
٢١٧	بين ابن المعتز وثعلب
٢١٩	شعر ابن المعتز
٢٢١	وصف النار
٢٢٢	عود الى شعر ابن المعتز
٢٢٣	رثاء المنصور
٢٢٣	أوصاف الرجال
٢٢٥	طيب الوصال
٢٢٥	نثر ابن المعتز

صفحة	
٢٢٧	وصف الماء
٢٣٠	بركة الجعفرى
٢٣١	قصور المتوكل
٢٣٣	وصف موضع
٢٣٤	دار البحر
٢٣٥	المياه والغدران
٢٣٧	وصف الرعد والبرق
٢٤٢	الشرب فى الصحو
٢٤٣	الوامق الممنوع
٢٤٣	وصف رجل حازم
٢٤٤	ابراهيم بن أدهم
٢٤٥	وصف التقى والزهد
٢٤٥	ابن المقفع
٢٤٦	عاصم بن ثابت
٢٤٧	فهم المنصور
٢٤٧	بلية الحسد
٢٤٨	ألسنة الحساد
٢٤٩	وصف الحسد
٢٤٩	التلطف فى الطلب
٢٥٠	نجوى محب
٢٥١	بين ابراهيم بن المهدى وأحمد بن أبى دواد
٢٥٢	أردشير بن بابك
٢٥٣	أخلاق الملوك
٢٥٤	أخت ملك الخزر
٢٥٥	أقوال الملوك والحكماء
٢٥٨	الرأى والعزيمة

صفحة	
٢٥٩	همة سعد بن ناشب
٢٥٩	كلام الملوك
٢٦٠	مقتل المتوكل
٢٦١	وفاء البحترى
٢٦٣	رثاء المتوكل
٢٦٤	أبو حية النميرى
٢٦٦	جناية المشيب
٢٦٧	وصف الشباب
٢٦٨	نجابة الشباب
٢٦٩	بين ابن مناذر وابى حية النميرى
٢٧٠	اعياء الكهولة
٢٧٠	حميد بن ثور
٢٧١	جناية الليالى
٢٧٤	وصف الثغر
٢٧٦	وصف الجوارى السود
٢٨٠	التهنئة بتوأمين
٢٨٠	شىء من الهجاء
٢٨٢	وصف الافواه
٢٨٤	فتنة الساقى
٢٨٥	شعر ابن ابى ربيعة
٢٨٦	مزيد المدنى
٢٨٦	بكاء الديار
٢٨٨	شعر ابى نواس
٢٨٩	طرفة ادبية
٢٩٠	تظرف الحارث بن خالد
٢٩٠	عائشة بنت طلحة
٢٩١	ابن ابى عتيق

صفحة	
٢٩١	الثريا بنت علي
٢٩٢	عزة كثير
٢٩٣	ظرف ابن ابي عتيق
٢٩٥	كفل الشيطان
٢٩٥	رملة بنت عبد الله
٢٩٦	صفقة ابي غبشان
٢٩٧	حب ابن أبي ربيعة
٣٠٣	عائشة بنت طلحة
٣٠٤	عمامة بن الرومي
٣٠٥	سليمان بن عبد الملك
٣٠٦	وصف رجل ماجد
٣٠٧	البديع الهمذاني

صفحة	
٣٠٨	كتابه الى أبي نصر الميكالي
٣١١	عتابه للميكالي
٣١٣	أبيات مختارة
٣١٦	أبو العيناء
٣١٧	بين أبي الصقر وابن الرومي
٣٢٣	عود الى أبي العيناء
٣٢٤	احاديثه مع المتوكل
٣٢٥	رسائل ابي العيناء
٣٢٦	نوادره وفكاهاته
٣٣٠	ابراهيم بن المدبر
٣٣١	صاحب الزنج
٣٣٢	ملح أبي العيناء



هذا كتاب لم يسبق له نظير فى الآداب العربية ، تناول فيه المؤلف بالنقد والتحليل أروع وأبدع ما قال الشعراء فى قهر الحب للنفوس ، وأسره للقلوب ، وفصّل به النوازع الوجدانيه فى نحو سبعين باباً فى كل باب منها بحث شائق طريف . وفيه مقدمة بديعة تمثل رأى المؤلف فى دولة الجمال، هى وحدها كتاب قائم بذاته ، لمن يعنيه فهم تلك القوة الساحرة ، التى تَفْتَن فى استعباد الأحرار !

وانك لتجد فى هذا الكتاب تفصيلا لموجبات الدموع ، والدمع عند الوداع ، والدمع بعد الفراق ، وشكوى الصبابة ، والبكاء عند منازل الأحباب ، ووشاية الدمع ، وسلطان الحب ، وغرام النساء بالنساء ، وطيف الخيال ، وليالى سنتريس ، واليأس والرجاء ، والعتاب ، ونوح الحمام ، وثورة الوجد ، والأرق والسهاد ، ومداراة الرقباء ، وبخل الحسان ، وظلم الحبيب ، والهرب من الفراق ، وبلايا الغيرة ، والرفق بالحبيب المريض ، وأهوال الصدود — وما الى ذلك من الأبحاث الممتعة التي لا تجدها مفصلة في أى كتاب



كتاب يمثل قوة الحق وروعة الجمال

ما بال فريق من الناس ، يؤمنون بما خُلقت له أيديهم وأرجلهم ، وعيونهم وآذانهم ، ثم يرتابون فيما خلقت له عقولهم ؟

فلا وربك لا يؤمنون حتى يعرفوا أن المؤمن عن نعمة العقل مسئول ، وما كنت لأعقّ العقل ، وقد حكّمه الله يوم هدانى إلى الايمان ، فمن كان يريد أن يرى غضبتى للحق ، وعبادتى للجمال ، فليقرأ هذا الكتاب ، ومن كان يريد أن يرى صورة مكررة لمن سلف من الكتاب والشعراء ، فليعلم أن الخمول أحبُّ إلىّ من أن أكون صدًى لأحد من القدماء أو المحدَثين ، وما أهون التضحية فى سبيل الابداع اذا انحصرت في الخمول !

المؤلف

الأخلاق عند الغزالى

يقع هذا الكتاب فى ٤٣٤ صفحة ، وبه كثير من الرسوم التاريخية ، التى تمثل طائفة من المعالم القديمة ، وبه مقدمة شائقة بقلم الأستاذ الكبير الدكتور منصور فهمى — وهذا الكتاب ضرورى جداً لمن يحب الوقوف على فلسفة الأخلاق ، وهو مكتوب بلغة صريحة جريئة تتناسب مع خُطورة الموضوع الذى كتب فيه ، وعلى الأخص عند الكلام عن الفرق بين الخير والشر ، والكفر والايمان ، والشك واليقين ، والجبر والاختيار ، وما الى ذلك من تلك المباحث العويصة التى حار فى فهمها المتقدمون ، وخبط أكثرهم فيها خَبْطَ عَشْواء

وقد قامت حول هذا الكتاب ضجة عنيفة ، فمن الواجب أن يطلع عليه أهل العلم ليقفوا على كُنْهِ ما فيه من آثار حرية الرأى ان كانوا ممن يرفضون الظن ويطلبون اليقين